

# ح عبدالمحسن عبدالعزيز العسكر، ١٤٣٧هـ

فهرمية مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العسكر، عبدالمحسن بن عبدالعزيز

تفسير جزء عمّ. / عبدالمحسن عبدالعزيز العسكر -

الرياض، ١٤٣٧هـ

۲۳۲ص ، ۲۷ x ۲۲ سم

ردمك ٨-٠٢٥٠-٢٠٠٣ ودمك

أ- العنوان ١٤٣٧/٣٥١٩ ١- القرآن - جزء عم - تفسير ديـوي ٢٢٧،٦

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٣٥١٩ ردمك: ٨-٢٥٠٠، ١٠٣٠، ٩٧٨

جَمِيْعُ الْحُقُوقِ مِحُفُوظَةٌ الطَّبْعَةُ الأولى الطَّبْعَةُ الأولى 1270 ص-15.73

خارالتفخيالليسي

المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب. ١٠٤٦٤ الرمز البريدي ١١٤٣٣ ماتف ١٠٤٦٦١٤٢٨٠٨ - فاكس ١٠٤٦٨٤٠٤٠٠

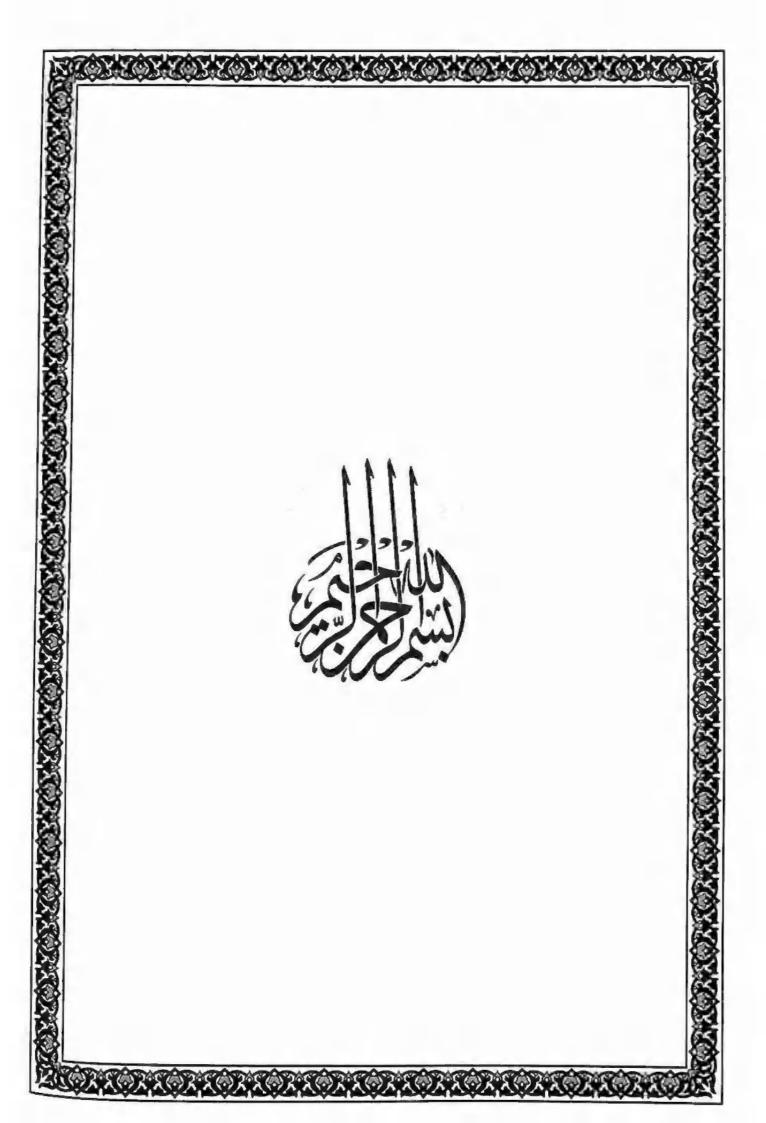
darattawheed@yahoo.com

# بغير المراج و المراج

استَنْبَطَ الآخَكَامِ وَالفَوَائِدِ السَّنَافِ السَّالِكَ الآخَكَامِ وَالفَوَائِدِ السَّنِحَ السَّالِ السَّالِ السَّالِ السَّلِ السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِ السَّلِي الْمَاسِلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي الْمَاسِلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي السَّلِي الْمَاسِلِي السَّلِي السَّلِي السَّ

فَسَّرَالآي د. عَبُداللُجُسِّنُ بِنَ عَبُدالعَزِيْزِالعِسِّكَرَ

خارالتي خياللنشي





الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، شرَّفه الله بالرسالة، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل أمته خير أمةٍ أخرجت للناس، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الغر الميامين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

# أمًّا بعد:

فإنَّ تفسير القرآن هو رأس العلوم الإسلامية، وأكبرها فائدة، وأكثرها عائدة؛ لأن مقصوده بيانُ مُراد الله مِن كلامه في كتابه المبين، والقرآن هو أصلُ علوم الإسلام الأصيلُ الذي منه تتفرع، وهو مصدرها وموردها المبارك الذي منه تنهلُ وتونع ثمارها.

ولم يزل العلماء على مرّ الأعصار واختلاف الأقطار يولون علم التفسير أهمية كبرى من جهودهم واهتمامهم، ولهم في ذلك طرائق شتى؛ فمنهم من فسر القرآن كله، ومنهم فسر سورة منه أو سورًا، ومنهم من خص بالتفسير آياتِ الأحكام فحسب، إلى غير ذلك من طرائقهم رحمهم الله، وكأنهم في جهودهم هذه يتآزرون مجتمعين على كشف معاني القرآني العظيمة، واستنباط هداياته الراشدة؛ فإن الله قال في وصف كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَلْذَا ٱلْقُرُّانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِي أَقُومُ وَبُبُشِرُ ٱلمُؤْمِنِينَ وصف كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَلْذَا ٱلْقُرُّانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِي أَقُومُ وَبُبُشِرُ ٱلمُؤْمِنِينَ وصف كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَلْذَا ٱلْقُرُّانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِي أَقُومُ وَبُبُشِرُ ٱلمُؤْمِنِينَ وصف كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَلْذَا ٱلْقُرُّالَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْكَ فَوْلاً ثَقِيلًا فَي اللهُ اللهُ اللهُ الله والشيء الثقيل مِن شأنه ألَّا يستقلً

به الواحدُ من الناس، ولا العددُ القليل، ومما قيل في تفسير ثِقَل القرآن: ما وُصف به من متانة مبانيه، وسعة معانيه، ووفرة إشاراته، وتجدد هداياته، وتوالي كراماته، ولذا تضافرت جهود علماء الأمة مِن المفسرين والفقهاء والأصوليين واللغويين وغيرهم = على بيان معاني كتاب الله، واستنباط أحكامه، وتفسير كلماته، وضبط لغاته، وكشف وجوه إعرابه، ورصد ما حواه من العلوم والمعارف والشرائع.

وقد رغبنا أن نضرب بسهم في هذا الخير، فجاء هذا التفسير تفسير الجزء الثلاثين (جزء عم يتساءلون)، وكان في الأصل ثمرة مدارسة طويلة بيني وبين شيخي وأستاذي العلامة النحرير أبي عبد الله عبد الرحمٰن بن ناصر البراك ـ نفعنا الله بعلمه وبارك في حياته ـ ثم انفردت أنا بتفسير الآيات، واضطلع شيخنا باستنباط فوائد الآيات وأحكامها، وكان يطيل الوقوف مع الآي لينتزع ما فيها من الأحكام والعلوم والإشارات الدقيقة، وكأني به يقول بلسان الحال ما قاله ابن عباس في الآي لآتي على الآية من كتاب الله في فلودت أنَّ جميع الناس يعلمون منها ما أعلم منها "(1).

ولقد أجاد شيخنا \_ كعادته \_ وأفاد؛ إذْ جاء بما يروق النواظر، ويسُرُّ الخواطر، جزاه الله أحسن الجزاء وأوفاه، وبلَّغه مِن كلِّ خيرٍ مُناه، وكان مما أحسن به أني قرأت عليه ما كتبته بعد ذلك في التفسير، فثقَفه وأضاف إليه مِن علمه وتحقيقه، زاده الله علوًا وشرفًا، وجزاه عني وعن العلم وحملته أحسن ما جزى عالمًا عن علمه وبذله (٢).

<sup>(</sup>۱) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٦٢١)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (١٠٦٢٤)، وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٤): "رجاله رجال الصحيح".

 <sup>(</sup>۲) يقتضيني الواجب أن أشكر - الآن - الذين اقترحوا عليَّ تقييد الفوائد القرآنية ودروس
 التفسير التي يلقيها شيخنا، وفي مقدمتهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ الجليل =

هذا؛ وكان النهج المسلوك في تفسير هذا الجزء الثلاثين ما أخذنا به في تفسير جزء تبارك الذي نشر \_ بفضل الله \_ منذ أمد (١)، وهو النهج المتوسط، فليس هو بالطويل المُسْهَب، ولا بالموجز المقتضب، ولكن بين ذلك، وكان همّنا وسدمنا العناية بتَجْلية معاني كتاب الله وبيان أحكامه، دون توسع باجتلاب أقوال المفسرين والفقهاء، ولا خوضٍ في وجوه البلاغة والإعراب، اللَّهُمّ إلا ما لا بد منه لكشف المعنى أو ترجيح الراجح حين يوجد الخلاف القوي، وهذا \_ في نظرنا \_ ما يحتاجه أكثر

المسلمين، ومَن أراد التوسع فعليه بكتب التفسير البسيطة.

وإنما وقع الاختيار على تفسير جزء (تبارك) وجزء (عمَّ يتساءلون)؛ لأن كثيرًا من المسلمين يحفظون هذين الجزأين، وغالب قراءاتهم في الصلوات منهما، بل أكثر ما يقرأه أئمة المساجد في المحاريب مِن هذين الجزأين، فلذا كان من الأهمية بمكان معرفة معانيهما والوقوف على فوائدهما وأحكامهما، لا سيما أن أكثر سور هذين الجزأين من القرآن المكي، فموضوعاتها تدور على التوحيد، وإثبات وجود الله وربوبيته تعالى لجميع المخلوقات، وإقامة الأدلة العقلية على البعث، وذكر أحوال القيامة وأهوالها، وإبطال حجج المكذبين ودعاوى المبطلين.

وبعد؛ فإنه لا عزَّ للأمة الإسلامية ولا اجتماع لكلمتها ولا استقامة لحالها إلا أن تعود بصدقٍ إلى كتاب الله معتصمةً به، وأن تستقل عن التبعية للأمم الكافرة، روى مسلم في صحيحه عن جابر عليه أن النبي على قال: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله» (٢)،

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وهو من تلاميذ شيخنا الأوفياء، فله ولهم مني
 الثناء المستطاب، ومن الله الأجر والثواب.

<sup>(</sup>١) طبع عدة طبعات، آخرها في سنة ١٤٣٥هـ.

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ من حديث جابر ﷺ،

إِنَّ حقًا على أمة الإسلام إذا أرادت العز والفلاح أن تهتدي بهدى الكتاب العزيز، وتستمسك بعهده، وأن تحل حلاله، وتحرم حرامه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ، المَنُوا مِنكُرُ وَعَكِلُوا الصَّلِحَاتِ لَيُسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا السَّتَخْلَفَ اللَّذِينَ ، المَنُوا مِنكُرُ وَعَكِلُوا الصَّلِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا السَّتَخْلَفَ اللَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمكِنَنَ لَمُم دِينَهُمُ اللَّذِي الرَّفَى لَمُم وَلَيُستَقِلَهُم مِنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَ

ولا بد مع هذا كله للأمه أن تعتز بالقرآن، وتغتبط أعظم الاغتباط بنعمة الإيمان به وتحكيمه والاهتداء بشرائعه؛ فإنه نزل من الحكيم الحميد الرحمٰن الرحيم الذي يعلم السّر في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفَآةٌ لِمَا فِي الصَّدُودِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلُ اللَّهُ وَمِنْكُم وَشِفَآةٌ لِمَا فِي الصَّدُودِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلُ اللَّهُ مِن رَبِّكُم وَشِفَآةٌ لِمَا فِي الصَّدُودِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلُ اللَّهُ وَمِنْكُم مَوْعِظَةٌ لِللَّهُ وَمِنْكُم اللَّهُ وَرَحْمَةٌ لِلللَّهُ وَمِنْكُم اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَمِرْمُوا هُو خَيْرٌ مِنَا يَجْمَعُونَ ﴿ وَلَا الرَّعَد: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ الرَّعَدُ اللَّهُ مُن الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنزِلَ إِلَيْكُ ﴾ [الرعد: ٣٦].

وعلى الأمة أن تُظهر هذه العزة، وتؤمن إيمانًا لا شك فيه أن هذا الكتاب العظيم مشتملٌ على جميع أسباب السعادة، كما أن الإعراض عنه سببُ الهلاك والخسار في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِمّا يَأْتِينَنَّكُم مِنِي هُدَى فَمَن تَبِعَ هُدَاى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ وَالبقرة]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكَفُرُ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: البقرة]، وإن مِن الحفاوة بالقرآن الاعتناء بتفسيره وبيانِ معانيه للناس بعامة خاصتهم وعامتهم، ليعرفوا مراد ربهم وخالقهم، كما أنه من أعظم الأسباب لتوثيق صلتهم بكتاب الله.

<sup>(</sup>١) المستدرك (١/ ١٧١).

قلت: وهذه وصية ذهبية تلقاها مشايخنا عن أشياخهم، وهذا من كمال نصحهم للأمة.

تفسر الآي أنت. هذا هو التفسير. اهـ.

وقد نُقل عن الشيخ محمد ابن عثيمين أن شيخه العلامة المفسر عبد الرحمٰن السعدي (ت١٣٧٦هـ) كان يقول: ينبغي أن يجعل للعامة مجالس في تفسير القرآن.

قلت: وقد ذكر لي صديقنا الشيخ الدكتور سامي الصقير أن شيخه ابن عثيمين أكمل في المسجد تفسير القرآن الذين بدأه شيخه السعدي،

وذلك حين توفي، فشرع الشيخ محمد في التفسير مبتدئًا من حيث وقف شيخه وذلك في سورة آل عمران، رحمة الله على الجميع.

اللَّهُمَّ إنا نُثني عليك الخير كلَّه، وأنت للثناء أهل، ونحمدك \_ إلهنا \_ حمدًا نستديم به نعمك، ونستجلب به توفيقك، ونستدعي به مزيدك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم، واجعله لنا إمامًا وحجة، وافتح علينا فهمًا فيه، واجعله ضياء لبصائرنا، وشفاء لأسقامنا، يا ذا الجلال والإكرام، وأعِدْ علينا مِن بركاته، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم.

وكتب د.عَبِد المُجَسِّنُ بُن عَيِّد العَزْنِيز الْعَسِّكُرَ الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية غرة محرم الحرام ١٤٣٧هـ في مدينة الـرياض حرسها الله تعالى



هذه السورة مكية، وسميت بالنبأ لذكر النبأ العظيم في الآية الثانية، وهو البعث، ولهذا ـ والله أعلم ـ تضمنت السورة بعض أدلة البعث، وذلك في خلق الأرض، والجبال، والسماوات السبع، وذكر الليل والنهار، والنوم والمعاش، وإخراج النبات والجنات بالماء النازل من المعصرات، والتصريح بالنفخ في الصور، وبه البعث من القبور، ثم ذكر بعض أحداث يوم القيامة، من فتح السماء أبوابًا، وتسيير الجبال، ومصير الطاغين والمتقين.

# الآيات:

قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ عَنِ النَّهَ الْعَظِيمِ ﴾ الَّذِي هُرَ فِيهِ مُغْلِغُونَ ﴾ [النبأ].

### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿ أَي: عن أَيِّ شيء يسأل بعضهم بعضًا، وأصل (عَمَّ): (عن) وَ(ما)، أدغمت الميم في النون لاشتراكهما في الغُنة، وحذفت ألف (ما) الاستفهامية تخفيفًا، وللفرق بينها وبين العُنة، وحذفت ألف (ما) الاستفهامية تخفيفًا، وللفرق بينها وبين الموصولة، والضمير في ﴿يَتَاءَلُونَ ﴿ لَكُفَار، وقوله: ﴿عَنِ النّبَإِ ٱلْعَظِيمِ اللّهِ جواب الاستفهام، (النبأ): الخبر الذي له شأن، والمراد به هنا:

\_ قيل: القرآن، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبُواً عَظِيمٌ ﴿ اللهِ آَلَ،

- وقيل: البعث، ويؤيده سياق السورة كلّها، فإنه تضمن أدلة قدرة الله على البعث وأحداث القيامة.

ولا منافاة بين القولين؛ فإن (النبأ) يطلق على الخبر، الذي هو الكلام، وعلى المخبر به، الذي هو تأويل الخبر، فإن القرآن مُنبئ عن البعث، والبعث مخبر عنه، فإنه نبأ أيُّ نبأ! وإخراج الكلام بطريق الاستفهام إشعار بفخامة أمر المستفهم عنه، وتشويق إلى معرفة شأنه، وتوبيخ للمتسائلين الجاحدين ﴿ اللَّذِي هُمْ فِيهِ تُخْلِفُونَ ﴿ الْحَلَافَا كبيرًا، فمنهم من يقطع باستحالة البعث، ومنهم من يشك فيه.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ التعليم بطريق السؤال والجواب.
- ٢ ـ أن القرآن نبأ عظيم، والبعث نبأ عظيم.
  - ٣ \_ اختلاف المكذبين بالقرآن.

- ٤ \_ سؤال بعضهم بعضًا؛ ليعلم كلٌّ بما عند الآخر.
  - ٥ ـ الرد على المكذبين وإبطالُ أقوالهم.
    - ٦ \_ تهديد المكذبين بالعذاب.
    - ٧ ـ تأكيد الردع والزجر والتهديد.

ثم ذكر سبحانه شيئًا من أدلة قدرته على البعث فقال تعالى:

﴿ وَأَلَرْ خَعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَندُا ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿ وَخَلَقْنَكُمْ أَزْوَبُنَا ﴾ وَجَعَلْنَا أَوْتَادًا ﴿ وَخَلَلْنَا أَلَهُارَ مَعَاشًا ﴿ وَبَعَلْنَا أَلَهُارَ مَعَاشًا ﴿ وَبَعَلْنَا فَوَقَكُمْ لَوْمَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿ وَجَعَلْنَا مِلَاجًا وَهَاجًا ﴿ وَمَاجًا فَا فَا فَا فَا فَا فَا فَا اللّهِ اللّهِ وَاللّهُ اللّهِ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

### التفسير:

الكائنات كما يستر الثوب الجسد (١) ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿ إِلَى الْحَالَ اللَّهِ الْحَالُ اللَّهِ وقتًا لطلب المعاش، و(الجعل) في الآيات المتقدمة بمعنى التصيير.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمُ سَبَعًا شِدَادًا ﴿ هَ جَمَع شديدة؛ أي: سبع سماوات قوية الخلق، محكمة البناء، بديعة الصنع، لا يُؤثِّر فيها مَرُّ الأزمان، ولا فروجَ فيها ولا فطور، كما قال تعالى: ﴿وَبَحَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقَفًا عَعْفُوظَ آ﴾ والأنبياء: ٣٦]، والتعبير بالبناء؛ لأنه أريد تشبيهها بالقباب المضروبة على من تحتها.

﴿وَهَاجًا ﴿ اللهِ وَهَاجًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ

ولِنُخْجَ بِهِ حَبَّا فَ كالحنطة والشعير مما يقتاته الناس، ولَبَاتًا الله علمًا للبهائم؛ كالحشائش والتبن، وتقديم الحب مع تأخره في الإخراج؛ لشرفه، لأنه غذاء الإنسان، ووَجَنَّتِ أَلْفَاقًا الله الله عنداء الإنسان، ووَجَنَّتِ أَلْفَاقًا الله عنداء الإنسان، ووَجَنَّتِ أَلْفَاقًا الله الله عنداء الإنسان، وقيل ملفوف، كجذع وأجذاع، أو جمع الأشجار لحسنها، جمع لفق بمعنى ملفوف، كجذع وأجذاع، أو جمع لفيف؛ كشريف وأشراف، وقيل: إنه اسمُ جمع لا مفرد له؛ كالأوزاع للجماعات المتفرقة.

 <sup>(</sup>۱) قال ابن الأثير في المثل السائر (۲/ ۱۳۱): «تشبيه الليل باللباس مما اختص به القرآن
 دون غيره من الكلام المنظوم والمنثور».

والمعنى أن من خلق هذه الأشياء كلها بعد العدم لمنافعكم قادر على أن يبعثكم مرة أخرى بعد الموت، وهو أهون عليه، فلا وجه لاستبعاده.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ الامتنان من الله على عباده بجعل الأرض مهادًا؛ أي: صالحة
 للعيش عليها.

٢ \_ أن تمهيد الأرض نعمة كبرى لبني آدم.

٣ \_ إثبات الجَعْلِ بمعنى التصيير فعلًا لله تعالى؛ لقوله: ﴿ أَلَدْ نَجْعَلِ اللَّهُ مَهَادًا اللَّهُ ﴾ .

٤ \_ الحكمة من خلق الجبال، وهي أن تكون أوتادًا تُثَبِّتُ الأرض
 فلا تميد.

٥ ـ الامتنان بخلق الناس أزواجًا، ذكورًا وإناثًا؛ لِيَتِمَّ نماء البشرية،
 ويحصل السكن والمودة والرحمة بين الزوجين.

٦ ـ الامتنان بجعل النوم قاطعًا للتعب وراحةً للناس، فيستجمُّون به
 من عنائهم في شؤون الحياة.

٧ ـ الامتنان من الله بجعل الليل لباسًا للناس يغطيهم بظلامه،
 فيُسْكَن فيه بالنوم والإيواء إلى المسكن، والإخلاد إلى الدَّعة والراحة.

٨ ـ الامتنان من الله على عباده بجعل النهار وقتًا لطلب معايشهم
 بالتجارة، والصناعة، والزراعة، وغير ذلك.

١٠ ـ أن السماوات شديدة في ذاتها؛ أي: صُلْبة ليست رِخْوَة،
 كما تصير يوم القيامة: ﴿ وَأَنشَقَتِ ٱلسَّمَالَةُ فَهِى يَوْمَ إِذِ وَاهِيَةٌ ﴿ الحاقة].

١١ ـ الامتنان بجعل الشمس مضيئة متوهجة لشدة ضوئها، يضيءُ
 نصف الكرة الأرضية مع بُعْد ما بينهما، وذلك هو وقت النهار.

١٢ ـ الامتنان من الله بإنزال الماء الغزير الذي يُصب صبًا مِن
 السحاب المثقلات به، وهي المعصرات.

١٣ \_ الحكمة من إنزال المطر: وهي إخراج أنواع النبات والحبوب والثمار؛ رزقًا للعباد.

١٤ \_ إثبات الحكمة والتعليل لأفعاله ﴿ لَيُلِّنَا.

■١ - ومن فوائد الآيات جملة: الإشارة إلى أدلة البعث جملة، وهو الذي كذّب به المشركون، فإنّ كل ما ذكر في هذه الآيات دال على كمال قدرته سبحانه، وأكثر أدلة البعث ذكرًا في القرآن الاستدلال بخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وإحياء الأرض بعد موتها، وكلها قد جاء ذكرها في الآيات، ففيها رد على المكذبين بالبعث.

ثم ذكر يوم البعث وسمّاه يوم الفصل، وذكر ما يكون فيه من الأهوال؛ فقال:

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِبِعَنتًا ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِ ٱلصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿ وَفُيْحَتِ السِّمَاءُ فَكَانَتْ أَبُوبًا ﴿ وَشُيِرَتِ ٱلْجَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿ إِللَهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَا ].

### التفسير:

قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصَٰلِ﴾؛ أي: يومَ القيامة، وسُمي يومَ الفصل؛ لأن الله يفصل فيه بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، وفي

وقوله: ﴿وَفُلِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتَ أَبُوباً ﴿ أَي: شُقَة تَلْ لَلْهِ أَي شُقِّة تَلْلَا الله الملائكة بعد أن كانت شديدة وسقفًا ملتئمًا، فصارت أبوابًا بتشققها، كما قال وَقِل: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمْمِ وَنُزِلَ ٱلْمُلَتِكَةُ تَنزِيلًا ﴿ إِللهِ قَانَ]، وعبَّرَ بالماضي في قوله: ﴿وَفُلِحَتِ لَتحقق الوقوع، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ ﴾: ذُهِب بها عن أماكنها حيث قُلِعت وبُسَّت؛ أي: فُتِّت، ﴿فَكَانَتُ سَرَابًا ﴿ أَي اللهِ عَلَى البعد أنه ماء وليس كذلك، صارت مثل السراب، وهو ما يُرى على البعد أنه ماء وليس كذلك،

<sup>(</sup>۱) أخرجه أحمد (۲۵۰۷)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠) وحسَّنه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٨٠). وأجمع العلماء على أنه إسرافيل كما يقول القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٠)، وجاءت بذلك أخبار، ولكنها لا تصح في أفرادها.



والمعنى أنها تلاشت وذهبت، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَبُشَتِ ٱلْجِبَالُ بَسَّا ﴾ [الواقعة].

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ \_ أن من أسماء القيامة يوم الفصل.

٢ ـ أن الله يفصل بين عباده في ذلك اليوم؛ أي: يحكم بينهم فيما
 كانوا فيه يختلفون.

٤ ـ أن أول أحداث يوم القيامة النفخ في الصور، وهي النفخة الثانية، أمَّا النفخة الأولى فهي نفخة الفزع والصعق، وبها نهاية الحياة الدنيا، وعلى إثرها يموت الناس.

٥ \_ إثبات الصور.

٦ أن الناس يأتون من قبورهم إلى المحشر أفواجًا؛ أي:
 جماعات.

٧ \_ إثبات النفخة الثانية وهي نفخة البعث.

۸ ـ أن من أحداث يوم القيامة فتح السماء أبوابًا، وتسيير الجبال،
 حتى تصير إلى مثل السراب، بعد ما تمر بأحوال.

٩ \_ الرد على الفلاسفة في قولهم: إن الفَلَك لا يَقْبل الانخراق.

١٠ \_ الدلالة على كمال قدرته تعالى على التصرف في هذا

الوجود.

# ثم أخبر سبحانه عن حال جهنم وحال أهلها فيها، فقال الكافي:

### 🖓 التفسير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَهُ كَانَتُ﴾؛ أي: في حُكم الله وعلمه، ﴿مِرْصَادًا ﴿ إِنَّ اللهِ وَارصدها ﴿ مِرْصَادًا ﴿ إِنَّ اللهِ وَارصدها للكافرين، ﴿ لِلطَّغِينَ مَابًا ﴿ أَنَ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ و

وقوله: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَ ﴾ أي: في جهنم، ﴿ بَرُدُا ﴾ أي: نسيمًا باردًا يخفف عنهم حرَّ النار، ﴿ وَلَا شَرَابًا ﴿ ) يُسَكِّن عطشهم، يعني لا راحة لهم أبدًا، وتكرار (لا) لتأكيد النفي، وبيان أنه يشمل الأمرين معًا، ويشمل كُلَّا منهما على انفراده، ﴿ إِلَّا حَبِمًا ﴾ أي: ولكن يذوقون فيها ماء في غاية الحرارة، كما قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَا اَ حَبِمًا فَقَطَعَ أَمُعا النار، وقوله: ﴿ وَغَسَاقًا ﴿ ) ؛ أي: صديد أهل النار، وهو نَتِنٌ بارد، من غَسَق يغسِق - كضرَب - إذا انصَبَّ وسال، وقوله: ﴿ إِلَّا حَبِمًا وَغَسَاقًا ﴾ فهو تأكيد لما قبله،

والاستثناء في الآية منقطع؛ لأن الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المُرْوي المبرد للحرارة.

وَكَانَا وَفَاقًا الله الله الله عنه الله عنه الله المعمالهم، ولا يظلم ربك أحدًا، وقوله: ﴿وِفَاقًا الله مصدر وافَق، مؤوَّل باسم الفاعل، وصف به الجزاء مبالغة.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

١ \_ أن من أسماء النار جهنم.

٢ - أن النار موجودة الآن، لقوله: ﴿مِرْصَادًا ﴿ إِنْ النار موجودة الآن، لقوله: ﴿ مِرْصَادًا ﴿ إِنَّ النَّالِ مُوحِدة الآن، لقوله: ﴿ مِرْصَادًا ﴿ إِنَّ النَّالِ مُعِدَة وَمِهِيَّاٰةً .

٣ ـ أن النار مرجع الطاغين؛ وهم الكفار.

٤ ـ أن لبث الكفار في النار سنين متطاولة: قيل: إنها لا نهاية لها، وقيل: مقدرة في علم الله، لذلك استُدِل بالآية على فناء النار، وهو قول مرجوح.

٥ ـ أن أهل النار لا راحة لهم، فلا يخفف عنهم العذاب، لا يومًا
 ولا ساعة.

٦ \_ أن شراب أهل النار الحميم والغساق.

٧ \_ أن أهل النار يعذبون بأشد ما يكون من الحر، وأشد ما يكون من البرد.

٨ \_ أن جزاء الكفار موافق لكفرهم؛ فلم يُظلموا.

٩ \_ أن السبب في عقابهم تكذيبهم باليوم الآخر وبما جاءت به
 الرسل من البينات.

١٠ \_ إثبات الأسباب.

١١ \_ أن الكفار يحاسبون.

١٢ \_ إثبات الحساب والجزاء على الأعمال.

١٣ \_ إحصاء الله لأعمال العباد.

١٤ .. أن أعمال العباد تحصى في كتاب.

١٥ \_ إثبات علم الله بالجزئيات، ففيها:

١٦ \_ الرد على الفلاسفة القائلين بأن الله لا يعلم الجزئيات.

١٧ \_ توبيخ الكفار وهم في العذاب وتيئيسهم من تخفيف العذاب.

١٨ \_ أنه يجتمع لأهل النار أنواع العذاب الحسي والجسدي.

ولما ذكر على ما أعده للطاغين من العذاب، أتبعه بما أعده للمتقين من النعيم، فقال على:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿ صَدَآبِقَ وَأَعْنَبًا ﴿ وَكُواعِبَ أَزَابًا ﴿ وَكُاسًا دِهَاقًا ﴾ لَا يَشْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلَا كِذَبًا ﴿ إِنَّهُ مِن رَبِكَ عَطَاتُهُ حِسَابًا ﴿ وَلَا كِذَبًا ﴿ إِلَيْهًا ].

### 🛞 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَقِينَ مَفَازًا ﴿ أَي: فوزًا، وهو النجاة من المرهوب، وهو النار، والفوز بالمطلوب، وهو الجنة، والمفاز على ذلك مصدر ميمي، ويحتمل أنه اسم مكان؛ فيفسر المفاز بالجنة، والمعنيان متلازمان، وإنْ كان الثاني أظهر؛ أي كونه اسم مكان، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُنَّفِينَ عِندَ رَبِّمٍ جَنَّنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿ القلم].

ثم فسر هذا المفاز بقوله: ﴿ عَدَاتِنَ ﴾؛ أي: بساتين ﴿ وَأَعَنَا ﴾ هذا من عطف الخاص على العام؛ لأن العنب من أفضل الفواكه، كما خصت بالذكر في قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن غَيْمِلٍ وَعِنَبِ فَنُفَجِّرَ الْإِسراء].

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿ إِنَا مَا أَي : ممتلئة ، يقال : دَهَق الكأس - كَجَعَل - وأَدْهَقَها ، إذا ملأها ، والمراد بالكأس هنا الخمر ، من إطلاق المحل على الحال ، و(الدّهاق) وصف للإناء الذي فيه الخمر لما بينهما من التلازم ، فيكون الكأس مستعملًا في معنييه الحقيقي والمجازي ، وجاء عن غير

واحد من السلف؛ كالضحاك وقتادة: أنَّ كلَّ كأس في القرآن هي الخمر(١).

وقد وُصفت الكأس التي في الجنة بعدة صفات في كتاب الله العظيم؛ فمن ذلك ما جاء في سورة الصافات في قوله سبحانه: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسِ مِن مَعِينِ ﴿ ثَنَ بَيْضَاءَ لَذَةٍ لِلشَّربِينَ ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا عَنْوُلُونَ ﴿ فَي قوله سبحانه: ﴿ يَشَرَعُونَ يُهَا كُأْسًا لا لَغَنُّ فِيهَا وَلا تَأْشِرُ ﴿ الطورا، ووصفت في سورة (الإنسان) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسِ بالمزج بالكافور والزنجبيل، في قوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿ فَي هذه السورة (النبأ) وصفت بأنها دِهاق، كما نقدم.

قوله سبحانه: ﴿ لَا يَسَمَعُونَ فِيهَ ﴾؛ أي: في الجنة ﴿ لَغُوا ﴾؛ أي: كلامًا باطلًا، ﴿ وَلَا كِذَّبًا ﴿ الله عَلَى الله على على من الغل، وليس في على سرر متقابلين، قد نزع الله ما في صدورهم من الغل، وليس في الجنة ما يُلغى به ولا ما هو مكذوب، فنفي السمع مراد به نفي المسموع أصلًا، وقوله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلَا كِذَّبًا ﴿ الله الله والباطل، وأبلغ مما لو قيل: لا يلغون ولا يكذبون. وأعيدت (لا) في قوله: ﴿ وَلَا كِذَبًا ﴿ الله على أن النفي يشمل الأمرين معًا، وكل واحد على حدة.

ولما عدد أقسام نعيم أهل الجنة قال: ﴿جَزَآءٌ مِن رَّفِكَ﴾؛ ﴿جَزَآءُ﴾ منصوب على المصدر، أي: جزاهم جزاءً، وهذا كالتأكيد لقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿ إِنَّهُ ﴾، و﴿مِن ﴾ ابتدائية؛ أي: هذا الجزاء من عند الله تعالى،

<sup>(</sup>١) ينظر تخريج أقوالهم في «كليات الألفاظ في التفسير» (٢/ ٥٠٧).

ورَيِكَ مصر الخطاب يحتمل أنه للنبي على والربوبية خاصة، وفي ذلك تشريف له عليه الصلاة والسلام، ويحتمل أنه لكل مَنْ يصلح للخطاب، فتكون الربوبية عامة، وعَطَآء ؛ أي: تفضلًا وإحسانًا من الله، وهذا بدل من وجَزَآء ، وقوله: وحسابًا في صفة للعطاء، أي: كافيًا وافيًا، فهو مصدر أقيم مقام الوصف، من قولهم: أحسبَه الشيء ؛ إذا كفاه حتى قال: حسبي، أي: كافيني.

# 🎇 الفوائد والأحكام:

١ - أن من منهج القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، وتقديم الوعيد
 في أغلب الأحيان.

٢ \_ بشارة المتقين بما أعد الله لهم.

٣ \_ أن التقوى سبب الفوز والسعادة.

٤ \_ تنزيه المتقين عن الطغيان، حيث ذكروا في مقابل الطاغين.

٥ \_ أن الجنة مكان الفوز بكل مطلوب ومحبوب.

٦ \_ أن الجنة ذات حدائق، فيها أنواع الأشجار والثمار والفواكه.

٧ \_ فضل العنب على غيره، وكثرته في الجنة.

٨ ـ أن للمتقين في الجنة أزواجًا شابات أبكارًا ذوات نهود.

٩ ـ أن نساء الجنة على سن واحدة، لقوله: ﴿ أَتْرَابَا ﷺ .

١٠ \_ أن من شراب المتقين في الجنة الخمر، تدار عليهم بالكؤوس ملأى.

١١ \_ تنزيه خمر الجنة عن عيوب خمر الدنيا.

١٢ \_ أن كلام أهل الجنة لا لغو فيه ولا كذب، بل كله من طيب

القول.

١٣ ـ أن كل ما يعطي الله أولياءه المتقين من الكرامة جزاء بسبب أعمالهم.

١٤ ـ أن عطاءه تعالى لأوليائه كثير كاف؛ لكمال نعيمهم.

١٥ ـ أن ما يجزي الله به المتقين من الثواب هو من آثار ربوبيته
 الخاصة المتضمنة لغاية الكرم والإحسان.

ولما ذكر سبحانه سعة فضله، وما أعده لعباده المتقين في الجنة، ذكر من صفاته ما هو مقتض لهذا العطاء، وهو ربوبيته ورحمته، فقال تعالى:

### ﴿ التفسير:

قوله: ﴿ وَرَبِ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: خالقهما ومالكهما ومدبرهما وما فيهما، ﴿ وَمَا بَيْنَهُما ﴾ من جميع المخلوقات من أحياء وجمادات، و﴿ رَبّ عطف بيان من قوله: ﴿ جَزَاء بِن رَبِّكَ ﴾ ، و﴿ الرَّمْنَ ﴾ عطف بيان من ﴿ وَلِهِ وَلَا اللَّهُ وَلَهُ مِن وَلِكَ ﴾ ، و﴿ الرَّمْنَ ﴾ عطف بيان من ﴿ رَبّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أو صفة، هذا على قراءة الخفض في الموضعين ﴿ رَبّ ﴾ و﴿ الرَّمْنَ ﴾ ، وهي قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب، وقرأ الباقون برفعهما، فيكون (رّبّ ) خبر مبتدأ محذوف، قُطع عن الوصفية لغرض المدح، أي: هو ربّ السماوات، و(آلرَّحْمَنُ ) خبر ثان . قوله: ﴿ لاَ بَلِكُونَ ﴾ ؛ أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً ﴿ الله ﴾ قوله: ﴿ لاَ بَلِكُونَ ﴾ ؛ أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً ﴾ ﴿ قَالَ السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً ﴾ ﴿ الله ﴾ في المدح، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في المداد ، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في المداد ، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في الله في المداد ، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في المداد ، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في المداد ، أي: أهل السماوات والأرض، ﴿ مِنْهُ خِطَاباً الله ﴾ في المداد ، أي المداد ، أي الله و الله المداد و الله و

من الرحمٰن، والمعنى: أن جميع الخلق لا يملكون أن يتكلموا يوم القيامة إلا بإذن الله، ولا أن يسألوا الله شيئًا شفاعة ولا غيرها من غير إذنه رَبِّكُ، لما يرون من عظمته وجلاله وهيبته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ آرْتَفَنَىٰ وَهُم مِّنَ خَشْيَتِهِ، مُشْفِقُونَ (الأنبياء)، وجملة ﴿لَا يَلِكُونَ ﴾ [الأنبياء]، وجملة ﴿لَا يَلِكُونَ ﴾ مستأنفة، أو خبر بعد خبر.

قوله: ﴿ يَهُمُ الرَّوْحُ ﴾ : ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرف متعلق بقوله: ﴿ لاَ يَلِكُونَ مِنَهُ خِطَابًا ﴿ اللهِ فَي أَصِح خِطَابًا ﴿ اللهِ فَي ذلك اليوم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرَّوْحُ ﴾ وهو جبريل الله في أصح الأقوال، ﴿ وَالْمَلَيَكِمُ أَنَهُ وهذا من عطف العام على الخاص، ﴿ صَفَّا ﴾ حال؛ أي: صفًا بعد صف، لا يعلم عددهم إلا الله، والقيام ضد القعود، أي يقومون وقوفًا صفوفًا، وفيه إشارة إلى عظمة الموقف، قال تعالى: ﴿ وَبَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا اللهِ ﴾ [الفجر].

قوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ أي: أهل السماوات والأرض، وهذه الجملة بدل أو مؤكّدة لقوله: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿ هُ ﴾ وقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ أن يتكلم ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴿ هُ ﴾ أي: قال الذي أذن له الرحمٰن أن يتكلم صوابًا من القول، أي: حقًا، وإنما يأذن الله بالشفاعة لملائكته وأنبيائه وأهل توحيده، وهم لا يقولون إلا ما يرضاه سبحانه.

ومن أحسن من عبر عن هذه الآية الإمام ابن جرير، قال تَخْلَقُهُ: الوالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله \_ تعالى ذكره \_ أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفًا، إلا من أذن له منهم في الكلام الرَّحمٰنُ، وقال صوابًا، فالواجب أن يقال كما أخبر؛ إذْ لم يخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله، أنه عنى بذلك نوعًا من أنواع الصواب، والظاهر محتملٌ جميعه»(١).

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري: (٢٤/ ٥٢).

قوله: ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴿ عَطَفَ عَلَى جَمَلَة ﴿ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ أو حال مِن ﴿ مَنْ ﴾ المستثنى، أي: إلا من أذن له الرحمٰن وقد قال قولًا صوابًا، وهو التوحيد وما يرضي الله، وهذه الآية كقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [هود: ١٠٥].

ثم نوَّه الله بعظمة ذلك اليوم وندب عباده إلى العمل الصالح، فقال تعالى: ﴿ فَالَكُ الله المشار إليه يوم القيامة يوم يقوم الروح والملائكة، ﴿ أَلَيْوَمُ الْخَقُ ﴾؛ أي: الثابت وقوعه لا محالة وليس بباطل، كما يزعم المكذبون بالبعث.

قوله: ﴿ وَنَمَن شَآءَ أَتَّغَذَ إِلَى رَبِّهِ مَثَابًا ﴿ آي اللهِ عَلَا الصالح، وهَا يقتضيه ذلك من العمل الصالح، والآية تحضيض وترغيب، فهي كقوله تعالى: ﴿ وَنَمَن شَآءَ أُتِّغَذَ إِلَى رَبِهِ مَا سَبِيلًا ﴿ وَالمَا اللهُ وَالفَاء في ﴿ وَمَن هُمَ هي الفصيحة التي تفصح عن شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر كذلك فمن شاء إلخ.

ثم زاد في التخويف والتحذير من العذاب ختمًا للسورة بذلك، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ وهو عذاب النار في الآخرة، وهو عذاب عظيم، كما يفيده التنكير، وسماه قريبًا لتحققه، فإن كل ما هو آت قريب، وليس بينه وبين الإنسان إلا أن يموت، والإنذار هو الإخبار بمخوف.

# ه الفوائد والأحكام:

- ١ \_ إثبات ربوبيته تعالى العامة.
- ٢ \_ أن له ملك السماوات والأرض.
- ٣ \_ إثبات اسمه سبحانه الرحمٰن وصفة الرحمة.
- ٤ \_ الجمع بين الربوبية العامة وصفة الرحمة، نظيرَ ما في الفاتحة.
- ٥ \_ أن العباد يوم القيامة لا يملكون أن يتكلم أحد، ولا الملائكة.
  - ٦ \_ فضل جبريل على الملائكة حيث خصه بالذكر.
- ٧ ـ أن الملائكة يجيئون يوم القيامة، وجبريل معهم، ويقومون صفوفًا، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا شَا﴾ [الفجر].
  - ٨ ـ أنه لا يتكلم أحد إلا بإذنه تعالى، أي: بأمره.
- ٩ ـ أنه لا يتكلم أحد يوم القيامة إلا من قال صوابًا، وهو ما يرضاه تعالى.
- ١٠ ـ أن يوم القيامة يوم عظيم وحق واقع، تحِقُ فيه الحقائق،
   وتكشف فيه السرائر.
  - ١١ \_ إثبات مشيئة العبد.
- ١٢ \_ أن الإيمان باليوم الآخر يوجب للعبد أن يتخذ طريقًا يرجع

منه إلى ربه، وهو دينه الذي بَعَث به رسوله محمدًا ﷺ، والمآب المرجع، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ النَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿ ﴾ [المزمل].

١٣ \_ ذكره تعالى نفسه بصيغة الجمع الدالة على عظمته ١٣٠٠

الم الله الله الله الله الله الله الرسل مبشرين ومنذرين، والإنذار التخويف والتحذير.

١٥ \_ أن يوم القيامة الذي يكون فيه عذاب الكافرين قريب.

17 \_ إشهاد الإنسان لعمله يوم القيامة، ووقفه عليه، فيراه وينظر إليه.

۱۷ \_ تمني الكافر أن يكون ترابًا، إذا رأى عمله السيئ، لهول ما رأى من عذاب الله.





هذه السورة مكية، وسميت النازعات لقوله تعالى: ﴿وَالنَّذِعَاتِ﴾، والمراد بالنازعات والناشطات: الملائكة التي تنزع أرواح البشر وتنشِطها، وفي هذا إشارة إلى القيامة الصغرى، كما أُردفت بذكر القيامة الكبرى؛ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاحِفَةُ ﴾ آلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات]، وهذا هو موضوع السورة.

# 🛞 الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّانِعَاتِ غَوْاً ۞ وَٱلنَّشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَٱلسَّبِحَاتِ سَبْمًا ۞ فَالسَّبِحَاتِ سَبْمًا ۞ فَٱلسَّبِعَاتِ سَبْعًا ۞ فَٱلسَّبِعَاتِ سَبْقًا ۞ فَٱلسُّدِيَاتِ أَمْرًا ۞ [النازعات].

### 🛞 التفسير:

هذا قَسَمٌ من الله تعالى بخمسة أشياء عظيمة مِن مخلوقاته على وقوع البعث والجزاء، ولما كان المقسمُ به موصوفاتٍ حُذفت وأُقيمت صفاتُها مُقامَها وقع خلافٌ بين المفسرين في تعيين المقسَم به؛ فقيل: ﴿النَّازِعَاتِ ﴾ هي النجوم التي تجري، مِن قولهم: "نَزع الفرس" إذا جرى، وقيل: إنها القِسِيُّ تَنزع بالسهم.

و ﴿ ٱلنَّاشِطَاتِ ﴾ قيل: هي النجوم تَنشَط من أُفق إلى أفق.

و ﴿ ٱلسَّابِحَاتِ ﴾ قيل: هي النجوم تسبح في فلكها، وقيل: السُّفن تسبح في الماء.

و ﴿ ٱلسَّٰبِقَاٰتِ ﴾ قيل: النجوم يسبِقُ بعضُها بعضًا، وقيل: هي الخيل، وقيل غير ذلك.

والصحيح أنَّ المقسَم بهم في المواضع الأربعةِ هم الملائكة، وهو الذي جاء عن جمع من السلف، وعليه جمهور المفسرين، وتفسيره بغير ذلك مما لا يساعده السِّياق، ولا دلالاتُ القرآن، كما بسط ذلك ابن القيم (۱) والآلوسي في تفسيره، رحمهما الله تعالى.

واختار ابن جرير تَظَلَهُ شمولَ الآياتِ لجميع ما ذُكر فيها مِن أقوال، لعدم الدليل على تعيين بعضها دون بعض.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَيِّرَتِ أَمْرًا ١ فَهُم الملائكة بالإجماع.

وجاءت هذه الأوصاف الخمسة بصورة جمع المؤنث السالم على تأويل كُلِّ موصوف منها بالجماعة أو الطائفة؛ فقوله تعالى: ﴿وَالنَّزِعَتِ غَرْقًا إِنَّ ﴾؛ أي: جماعة الملائكة تنزع أرواح الكفار عند الموت بشدَّة وعُنف، و ﴿غَرْقًا إِنَّ اسم مصدر أقيم مُقام المصدر، أي: إغراقًا؛ مِن «أغرق في الشيء» إذا بلغ فيه غايته، والمعنى: أن الملائكة تبالغ في نزع روح الكافر، فتجتذبها بقوة من أقاصي جسده.

﴿ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ﴿ أَي: الملائكةِ تَنشِط أرواح المؤمنين، أي تسُلُّها بلين ورفق، مِن النَّشْط، وهو الجذب برفق وسهولة، ومنه الأنشُوطة: رَبطةٌ دون العُقدة، إذا مُدت بأحد طرفيها انفتحت مباشرةً لسهولتها.

وقُدمت النازعات؛ لأنها إنذار، والناشطات بشارة، والإنذار هنا أهم؛ لأن السورة مكية. والله أعلم.

<sup>(</sup>١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٨٦).

**\*\*** 

﴿ وَالسَّنِحَٰتِ سَبِّمَا ﴿ إِنَّ الْهُ اِنِي الملائكةِ التي تسبح في الهواء وفي جوِّ السماء ماضيةً بأمر الله تعالى، وسماها سابحة؛ لسرعتها، كالفرس الجواد يقال له: سابح، إذا أسرع في سيره.

وقوله: ﴿ فَٱلسَّيِقَاتِ سَبْقًا ﴿ صَفَةٌ للنَّازِعاتِ والنَّاشطات، لما تُؤْذن به الفاءُ المسماة فاء التفريع؛ فهي تدل على أن هذه الصفة متفرعة عن التي قبلها، فمعنى ﴿ السَّبِقَاتِ ﴾؛ أي: المسرعات بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وبأرواح الكفار إلى النار.

و(نشطا) و(سبحا) و(سبقا) مصادر مؤكّدة.

وْفَالْمُدَيِّاتِ أَمْرًا ﴿ صَفَة للمذكورات قبلُ، و﴿ أَمْرًا ۞ مفعول به؛ واحد الأمور، وهو الشَّأن، ونكَّره لأنه أمرٌ عظيم.

ونسبةُ التدبير إلى الملائكة من باب الإسناد إلى السَّبب، فإنَّ كلَّ ما يكون في هذا العالم فهو بأمر الله وتدبيره.

وجواب القسم محذوف يدل عليه السياق، وهو: لَتُبْعَثُنَّ ثُم لتُحاسَبُنَ ويدل عليه قوله: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿ اللهِ عَلَيْهِ مَا لَا اللهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ عَلْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَل

وفي هذه الآيات فوائد على أصح الأقوال في الأقسام الخمسة أن المقسم بهم هم الملائكة.

# ∰ الفوائد والأحكام:

۱ \_ إقسامه تعالى بما شاء من ملائكته الموكلين بما شاء من خلقه ؛ ففيه:

- ٢ \_ عِظم شأن الملائكة.
- ٣ \_ أن الملائكة أصناف.
- ٤ \_ أن منهم الموكلين بقبض أرواح الكافرين، وهم النازعات

(ملائكة العذاب)، والموكلين بقبض أرواح المؤمنين، وهم الناشطات (ملائكة الرحمة).

- ٥ ـ أن أرواح الكافرين تُنْزعُ بشدة.
- ٦ ـ أن أرواح المؤمنين تُنشط بيسر وسهولة.
  - ٧ ـ التذكير بالموت.
- ٨ ـ أن الملائكة تنطلق سبحًا بأرواح العباد، وتسبق بها إلى حيث أمر بها.
  - ٩ ـ الرد على من قال إن الروح عرَض.
- ١٠ ـ أن من صفة الملائكة السبح في ذهابها ومجيئها وصعودها ونزولها؛ بما أعطاها الله مِن قدرةٍ خارقة، فلا تحتاج إلى سبب تتعلق به، أو آلة تركبها، وهذا ما يشعر به معنى السبح، ويشبه هذا قوله تعالى:
- السرعة في الذهاب والمجيء والصعود والهبوط، ولعل مما يُقرِّب هذا أن النبي على النبي على الشبال عن الشيء فلا يجيب، فما يلبث حتى يأتيه جبريل الله بالوحي من ربه.
- 17 \_ أن الله وكّلَ ما شاء مِن ملائكته بتدبير ما شاء من أمر هذا العالم؛ لقوله: ﴿ قَالْمُدَيِّرَتِ أَمْرًا ۞﴾، ويشبه هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قَالْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا ۞﴾ [الذاريات].

ولما أقسم الله بالملائكة وأفعالِها على وقوع البعث، ذكر ما يكون هناك من الأحداث العظام والأهوال الجسام، فقال: ﴿ وَهُومَ تَرْجُعُثُ ٱلرَّاحِمَةُ ۚ ﴿ تَنْبُعُهَا ٱلرَّادِهَةُ ﴿ فَكُوبٌ يَوْمَهِذِ وَاحِمَةُ ﴿ أَبَعَدُومَا خَصْدُمُمَا خَصْدُمُمَا خَصْدُمُمَا خَصْدُمُمَا خَصْدُمُمَا خَصْدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُمَا خَصَدُمُ ﴿ وَمَا لَمُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهِ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ الْ

### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿ الطَّرِف ﴿ يَوْمَ ﴾ منصوب بجواب القسم المحذوف؛ أي: لتُبعثن يومَ ترجف الراجفة، ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل محذوف، تقديره: أُذكر ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿ اللَّهِ وهي نفخة الصُّور الأولى، و(الرَّجف): هو الاضطراب الشديد، وُصِفت النَّفخة بما يحدث بحدوثها، إذ يرتجف بها كلُّ شيء، وتضطرب الأرض، أي تزلزل ويموت من عليها، ويختل نظام العالم، فإسناد الرَّجف إلى الراجفة - وهي النفخة - إسناد إلى السبب.

﴿ نَتَبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿ فَ وهي النَّفخة الثانية، وبها يكون بعثُ الخلق جميعِهم، إذْ تردُف الأولى، أي تابعةً لها \_ والجملة حالٌ مِن الرَّاجفة \_ كما قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ الزمر].

قوله: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَإِذِ وَاجِعَةً ﴿ أَي: قلوبُ الكفار في ذلك اليوم خائفةٌ مضطربةٌ أشد الإضطراب، لما ترى من الأهوال والشدائد، وتنكير (قلوب) يدل على أنها كثيرة، ولأن المراد بعض القلوب، وهي قلوب الكفار ﴿ أَصَدَرُهَا خَنْشِعَةٌ ﴿ أَي: أبصار أصحابها ﴿ خَنْشِعَةٌ ﴾ أي: ذليلة منكسرة، وإنما أضاف الذل إلى الأبصار؛ لأنها المرآة التي تُقْصِح عما في القلب من ذلة أو غبطة، وقد صرح الله تعالى بالذّل الذي

يغشى الكفرة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِعِينَ مِنَ ٱلذَّلِ يَنْظُرُونَ مِن طَرِّفٍ خَفِيُّ [الشورى: ٤٥].

ثم حكى الله عن المكذبين شيئًا مما كانوا يقولونه في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ أَوَنَّا لَمَرَّدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿ آي: أنردُّ بعد موتنا إلى الحياة؟! وهذا استفهامُ تعجُب وإنكار، وأصل الحافرة الطريق، يقال: رجع فلان في حافرته، أي: في طريقه التي جاء منها فحفرَتْ فيها قدماه بالمشي، فالحافرة على هذا بمعنى محفورة؛ كقوله تعالى: ﴿ فَهُو فِي عِينَةِ رَافِيكَةٍ ﴿ آلِحاقة]، ثم صار هذا التعبير كناية عن الرجوع إلى الأحوال التي كان عليها الإنسان.

﴿ أَوِذَا كُنَّا عِظْمًا غَيْرَةً ﴿ ﴿ أَي: بِالْبِية، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لَلْإِنكَارِ السَّابِق، يَتْضَمَن ذكر سبب التَّعجب والاستبعاد، المعنى: يقولون: أنردُّ أحياءً بعد أنْ مِتْنَا وبَلَيتْ عظامُنا؟!

﴿ قَالُواْ يَلْكَ ﴾؛ أي: الرَّجعة، ﴿ إِذَا كُرَّةً ﴾ رجعة ﴿ خَاسِرَةً ﴿ اللهُ اللهُ

قال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿ وَالْمِنَا هِمَ زَجْرَةٌ وَنَجِدَةٌ ﴿ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عليه معدوف، أي: لا تستبعدوا ذلك وتظنوه عسيرًا علينا ﴿ وَالْمَنَا هِ وَالْمَنَا فَا إِنَّمَا هِ وَكَ اللهُ وَتَظْنُوهُ عَسِيرًا علينا ﴿ وَالْمَنَا فَا وَاللَّمَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّا الللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّّهُ اللّّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

وَفَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ الله أي: على وجه الأرض أحياءً بعد أن كانوا في جوفها، و(الساهرة) الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك؛ لمنام الخلق وسهرهم عليها، أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة، والتسمية لأدنى ملابسة.



## 🛞 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن من الأحداث العظيمة يوم القيامة الراجفة والرادفة، وهما
 النفختان؛ نفخة الصعق وحينها ترجف الأرض، ونفخة البعث.

٣ \_ ذم الله للكفار؛ بتكذيبهم بالآخرة، واستبعادِهم البعث بعد أن كانوا عظامًا نخرة.

٤ ـ تعجبُ الكفار مِن ردِّهم ـ بعد أن كانوا عظامًا بالية ـ إلى الحياة التي كانوا فيها، وهي المراد بالحافرة، من قولهم: رجع فلانٌ في حافرته؛ أي: في الطريق الذي جاء منه. وهذا تعجبُ استبعاد، كما قال تعالى: ﴿ بَنُ عَبُوا أَن جَاءَهُم مُنذِرٌ مِنْهُم فَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَذَا شَيَّ عَجِبُ ﴿ أَوَا لَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَبِيلٌ ﴾ أوذا مثنا وَكُنَا نُرَابًا ذَالِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ ﴾ [ق].

٥ \_ إقرارهم على أنفسهم بالخسران لو بعثوا فعادوا أحياءً مرة أخرى.

٦ ـ الرد على المكذبين بالبعث؛ ببيان يسر ذلك على الله لكمال قدرته، فما هي إلا زجرة واحدة، وهي النفخة الثانية في الصور، وهي نفخة البعث. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ ﴾ نفخة البعث. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿ ﴾ الله وقال هنا: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿ ﴾، والساهرة: وجه الأرض.

### الآيات:

﴿ هَلْ أَلْنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِنْ نَادَنُهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدِّسِ طُوى إِنَّ اَنْعَبَ إِلَى وَبَدِكَ مُوسَىٰ إِنَّ اَنْ مَرَّكُي اللَّهِ وَالْمَدِيَكَ إِلَى رَبِكَ فَنَخْشَى اللَّهِ وَيَوْنَ إِنَّهُ طَغَى إِنَ فَقُلْ هَلَ لَكَ إِلَىٰ أَن مَرَّكُي إِلَى وَالْمَدِيَكَ إِلَى رَبِكَ فَنَخْشَى اللَّهُ عَارَنُهُ اللَّهُ مَا لَكَ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللِّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللْهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللللْهُ الل

### التفسير:

هذه الآيات معترِضة بين ذكر البعث والدليل على وقوعه، وفيها تسليةٌ للنبي وَ وَتَبيتٌ لفؤاده، بأن الله ناصرُهُ ومؤيدُه كما أيَّد مَن قبله مِن الأنبياء، وفيها أيضًا تهديد المكذبين بالبعث أنْ يصيبَهُم مِن العذاب مثلُ ما أصاب مَن كان أشدَّ منهم قوةً وأكثرُ جمعًا.

قوله: ﴿ هَلَ أَنْكَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، وهو لأمته أيضًا، والاستفهام للتشويق واستدعاء المخاطب لسماع الخبر، هذا إذا لم يكن نزل شيء من القرآن في قصة موسى ﷺ قبل هذه السورة، فإن كان نزل قبل ذلك فالاستفهام للتشويق والتقرير، والمعنى ـ على هذا ـ أليس قد أتاك ﴿ كِيثُ مُوسَى ﴿ أَي: خبره وقصته مع فرعون. وهي قصة عظيمة كثر ذكرها في القرآن؛ لأن موسى ﷺ من أولي العزم من الرسل، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وكتابه وشريعته أعظم كتاب وشريعة قبل القرآن، وكان حول المدينة ثلاث طوائف من اليهود من بني إسرائيل في عهد النبي ﷺ، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، فاقتضى الحال تكرار القصة لإقامة الحجة عليهم بتذكيرهم بنعم الله عليهم، وإهلاك عدوهم فرعون، إلى غير ذلك من العبر، وجاءت القصة في هذه وإهلاك عدوهم فرعون، إلى غير ذلك من العبر، وجاءت القصة في هذه

السورة موجزة؛ لأن الغاية منها العظة بإهلاك فرعون لتكذيبه.

﴿إِذَهِ؛ أَي: حين ﴿ نَادَنهُ رَبُّهُ إِلْوَادِ ٱلْقَدَّسِ ﴾ المطهر ﴿ طُوى ﴿ الله عطف بيان، وهذا اسم الوادي، وهو بأسفل جبل الطور، في الجنوب الغربي لسيناء، وجعله الله مقدسًا؛ لأن الله أوحى فيه إلى موسى ـ كما قيل ـ ويحتمل أنه كان مقدسًا ومباركًا قبل ذلك، ولهذا اختاره الله لتكليم موسى عليه، وتكليفه بالرسالة إلى فرعون، ولعل ذلك أولى؛ لأن الله خاطب موسى بقوله: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدِّسِ طُوّى ﴿ الله الله الله ورطوى بالتنوين، مصروفًا على أنه اسم الوادي، فهو مذكر سمي به مذكر.

هذا على قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، وقرأه الباقون بلا تنوين ممنوعًا من الصرف للعلمية والتأنيث، على تأويلِ الوادي بالبُقعة.

وَاذَهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى اللهِ هذا تفسير لقوله: ﴿إِذْ نَادَهُ هُ اَي: ناداه فقال له: ﴿ آذَهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ملك القبط بمصر، ﴿إِنَّهُ طَغَى الْجَادِ الْحِد في كفره بربه، وفي تكبّره على الخلق واستعباده بني إسرائيل، ﴿ فَقُلْ ﴾ يا موسى له: ﴿ هَلَ لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَّكَى الْجَارِ والمجرور في قوله: ﴿ هَلَ لَكَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هل لك سبيلٌ أو ميلٌ ﴿إِلَىٰ أَن تَزَّكَى ﴿ الله والله والل

وتقديم التزكية على الهداية من باب التخلية قبل التحلية.

وقوله: ﴿ فَقُلْ مَل لَكَ إِلَىٰ أَن تَرَكَى ﴿ أَمرٌ مِن الله لموسى بالتّلطف في دعوة فرعون، بجعل الخطاب بصيغة الاستفهام والعرض لا الأمر، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك في كذا، هل لك أن تنزل عندنا، وهذا من القول اللين الذي أمر الله به موسى وهارون ﴿ فَي قوله سبحانه: ﴿ فَقُولًا لَيْنَا ﴾ [طه: ٤٤]، فلم يخرج الكلام من موسى بصيغة الأمر، ولم يصرح ابتداءً بما هو فيه \_ أي فرعون \_ من الكفر والطغيان، وهذا من أحسن طرق الدعوة، حتى إذا ظهر عناد فرعون أغلظ له موسى في القول، كما قال تعالى عنه: ﴿ وَإِنِ لَأَظُنُّكَ يَنِفِرْعَونُ مَثّبُورًا ﴿ اللهِ الإسراء].

وَفَأَرَنَهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿ الفاء عاطفة على محذوف معلوم من الآيات الأخرى، والمعنى: فذهب إليه فدعاه، فطلب منه آية، فأراه الآية الكبرى، أي: كبرى آيات موسى، وهي العصا، وهذا من إيجاز الحدف، وهو كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنَا أَنْبِنُكُمُ مِتَأْوِيلِهِ عَلَرْسِلُونِ ﴿ يُوسُفُ أَيُّا ٱلصِّدِيقُ أَفْتِنَا ﴾ [بوسف] أي: فأرسلُوه، فجاءه، فقال: يا يوسف إلخ.

وسماها الله آية؛ لأنها علامة دالة على صدق نبوة موسى، كما سماها برهانًا في قوله سبحانه: ﴿ فَلَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْبَ وَمَلِائِهِ } [القصص: ٣٢].

وَثُمُّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿ إِنَّ أِي: ترك مجلسه ساعيًا في جمع جنوده لمعارضة الآية، أو فارًّا مرعوبًا مِن الثَّعبان العظيم.

وأتى بـ (ثُمَّ)؛ لأن معارضة الآية وتدبير المكايد يقتضي زمنًا، خلافًا للتكذيب فقد وقع مباشرة، ولذلك عطفه بـ(الفاء).

ويحتمل أنْ يراد بالإدبار معناه المعنوي؛ أي تولى عن الإيمان، لأنه قال قبل ذلك: ﴿ فَكَذَبَ وَعَصَىٰ ﴿ اللهِ وَبعده: ﴿ فَكَثَرَ فَنَادَىٰ ﴿ اللهِ مَانع من حمل الآية على المعنيين، والله أعلم.

قوله: ﴿ فَنَادَىٰ ﴿ هَا ﴾؛ أي: في الجُموع قائلًا: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ؛ أي: لا ربَّ لكم فوقي، والفاء في ﴿ فَقَالَ ﴾ هي التفسيرية؛ لأن في قوله: ﴿ فَنَادَىٰ ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ إبهامًا وإجمالًا، وما بعده تفصيل وتفسير له.

ولما جاء فرعون بهذا الكفر العظيم والاستكبار أخذه الله بالعذاب، فقال سبحانه: ﴿ فَأَخَذُهُ اللهُ نَكَالُ الْآنِرَةِ وَالْأُولَى ﴿ النَّكَالُ بمعنى التنكيل، وهو التعذيب، كالسلام بمعنى التسليم، وهو مصدرٌ مؤكّدٌ مِن معنى الفعل (أَخَذ)، مُبينٌ للنوع، أي نكّله الله نكالَ الآخرة والأولى؛ أي: عقوبة الدنيا والآخرة.

وإضافةُ النَّكال إلى ما بعده من إضافة المسبَّب إلى سببه، فإنَّ كلَّ واحدة من الكلمتين سبب لما أُضيف إليه مِن النكال، والمعنى على هذا: عنَّبه الله عذابًا بالغًا يَعْتبر به مَنْ بعده، بسبب كلمتيه القبيحتين الآخرة والأولى.

والقول الأول هو الصحيح، ويشهد له القرآن حيث جاء ذكر الآخرة والأولى مرادًا بهما الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةُ وَالْأُولَى اللَّهِ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ ا

﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ﴾؛ أي: في قصة فرعون وطغيانه وإهلاكه ﴿لَعِبْرَةُ لِمَن يَخْنَيْ اللَّهِ وَأَلِكَ﴾؛ أي: لموعظة بليغة لمن يخاف الله وَأَلَى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ وَهَال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعلى]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةً ﴾ [فاطر: ١٨].

# 🕸 الفوائد والأحكام:

١ عظم شأن قصة موسى مع فرعون، فقد ثُنيت في القرآن أكثر
 من غيرها.

۲ \_ التشابه بین الرسولین: موسی ومحمد علیهما الصلاة والسلام،
 وذلك من وجوه:

الأول: صبرهما على أذى الخلق، ولذا كانا مِن أولي العزم.

الثاني: التشابه بين الشريعتين والكتابين، التوراة والقرآن، ولذا يقرن الله بينهما في الذكر في مواضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْلُ الْكِتَبُ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ إلى قوله قوله وقوله كَتَبُ أَنزَلْنَهُ مُبَارَكُ مُوسَى الْكِنْبَ مُوسَى الْكِنْبَ مَوسَى الْكِنْبَ مَا الله عَلَى ال

الرابع: ما جاء في قصة المعراج من مشورة موسى عليه الصلاة السلام للنبي عليه التخفيف في فرض الصلوات.

٣ ـ صفة إرسال موسى إلى فرعون، وما تضمنه ذلك من أمور عظيمة، منها النار التي أُرِيَها موسى في الوادي المقدس، ومنها نداء الله وتكليمه، ومنها إعطاؤه الآيتين العظيمتين؛ العصا واليد. وقد أُجْمل ذلك في هذا الموضع وفُصِّل في: (طه) و(النمل) و(القصص).

٤ ـ تنويهُ اللهِ بخبر إرسال موسى؛ يُنبئ عن ذلك سَوْق الخبر بصيغة الاستفهام: ﴿ هَلَ أَنْنَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿ إِلَى اللهِ عَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ .

٥ ـ تشریف موسى ﷺ أَنْ كلَّمه الله، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَكُمُوسَىٰ إِنِي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَلَنِي وَبِكَلَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

٦ ـ فضل ذلك الوادي الذي كلَّم الله موسى فيه، وهذا الفضل لا يستلزم تخصيصَهُ بشيءٍ من العبادات، ولا تحري العبادة فيه، ولا شدَّ الرِّحال إليه.

٧ ـ أن الوادي المقدَّسَ اسمُه: طُوى.

٨ ـ أن إرسال موسى كان بتكليم الله له بلا واسطة، كما في هذه

نعمه.

السورة، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ النَّهِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿ ﴾ [الشعراء].

٩ \_ إثبات كلام الله.

١٠ ـ إثبات ربوبيته الخاصة لأنبيائه وأوليائه، لقوله: ﴿إِذْ نَادَنُهُ رَبُّهُ ﴾.
 ١١ ـ أن المقتضي لإرسال موسى ﴿إِنَّا طَعْيَانُ فَرَعُونَ، وظلمُ قومه.

الله الإيمان بالله والله والله والله والله الإيمان بالله وأن يخشاه، وفي ذلك تزكية النفس ﴿ فَقُلْ هَل لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّ الله وَ الله وَالله وَلّه وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَلّه وَالله وَلّه وَالله وَالله وَاله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله

١٣ ـ اللين والرِّفق في الدعوة إلى الله، ولو كان المدعوُّ مِن شرِّ الطُّغاة؛ لقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞﴾.

١٤ ـ أن معرفة الله تورث خشيته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَغْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰتُوأً ﴾ [فاطر: ٢٨].

10 \_ أن الهداية إلى الله ومعرفته إنما تتحقق بما أوحاه الله إلى رسله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِ آهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِى إِلَى رَبِّتَ إِنَّهُ سَيِيعٌ الله وجه ذلك في هذه السورة إضافة الهدى إلى موسى عَلِيهٌ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ الله والشورى].

17 \_ أنَّ مِن الهداية ما هو مِن مقدور الرُّسل، وهي هداية الدلالة والإرشاد، لقوله تعالى: ﴿ وَأَهْدِيكَ إِنَّ رَبِكَ ﴾، بخلاف هداية التوفيق، فإنه لا يقدر عليها إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

١٧ \_ ضرورة العباد إلى معرفة ربهم الذي خلقهم، وأسبغ عليهم

١٨ \_ إِثْبَات فعل العبد، لقوله: ﴿ فَقُلْ هَلَ لَكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّى ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ اللهِ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ اللهِ وَأَهْدِيكَ اللهِ وَأَهْدِيكَ اللهِ وَالْعَدِيكَ اللهِ وَالْعَدِيكَ اللهُ وَيَكُنُونُ اللهُ وَاللهُ وَيَعْدُونُ وَاللهُ وَاللّهُ وَلِهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُو

١٩ ـ الردُّ على الجبرية.

٢٠ \_ أن الإيمان بالله وخشيتَهُ سببٌ لزكاة النفس.

٢١ ـ تأييد الله لرسله بالآيات التي تدل على صدقهم.

٢٢ \_ احتجاج الرسل بالآيات على المكذبين.

٢٣ ـ أن آياتِ الرُّسل بعضُها أكبرُ مِن بعض، وأظهر في الدلالة، لقوله تعالى: ﴿ فَأَرَنَهُ آلْاَيةَ ٱلكُبْرَىٰ ﴿ أَنَ اللهِ مَالمَ والممراد بها ـ والله أعلم ـ العصا، التي تنقلب بإذن الله ثعبانًا عظيمًا، ثم تعود كما كانت، وهي التي قال الله فيها: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفْ مَا صَنَعُوّاً ﴾ [طه: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ وَالشعراء].

٢٥ ـ أن الكافر يعاقب على ما يأتي مِن معاصي الله، لقوله: ﴿ وَعَمَىٰ شَا﴾.

٢٦ \_ أن فرعون لم يزدد مع ما رأى من الآيات إلا طغيانًا واستكبارًا، لقوله: ﴿ فَخَشَرَ فَنَادَىٰ شَ فَقَالَ أَنَا رَبُكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ شَ ﴾.

٢٧ ـ استخفافه بقومه، وسفاهتُهُم إذْ أطاعوه وصدقوه.

٢٨ ـ سوء عاقبة التكذيب والعصيان والاستكبار.

٢٩ ـ أَخْذُ الله لفرعون بالعقاب العاجل والآجل ﴿ نَكَالَ ٱلْآفِرَةَ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّلَّالِمُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّالَةُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

لَكُم مِّنْ إِلَنْهِ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، وقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَغَلَىٰ ﴿ ﴾.

٣٠ ـ أن في أخذ الله لفرعون عبرة للمعتبرين، وهم الذين يخشون الله، ويخافون عذابه.

٣١ ـ وفي جملة القصة تسليةٌ للنبي ﷺ وتهدئةٌ لقلبه، وفيها أيضًا:

٣٢ ـ تهديد لمن كفر بالنبي عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿ فَعَكَىٰ فَعَكَىٰ إِلَىٰ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿ فَعَكَىٰ فَعَكَىٰ فَرَعَوْنَ رَسُولًا ﴿ فَعَلَىٰ فَعَكَىٰ فَرَعَوْنَ رَسُولًا ﴿ فَعَلَىٰ فَعَلَىٰ فَعَلَىٰ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّا

ولما أخبر عن فرعون وبيَّن سوء عاقبته؛ وجه الخطاب إلى منكري البعث من كفار مكة وغيرهم، مبينًا يُسْر البعث عليه ﷺ مستدلًا بخلق السموات والأرض، فقال سبحانه:

﴿ أَنْتُمْ أَنَدُ خَلْقًا أَمِ ٱلشَّاةُ بَنَهَا ۞ رَفَعَ سَتَكُهَا فَسَوْنِهَا ۞ وَأَفْطَشَ لَيْلَهَا وَالْتَرْضَ بَعْدَ ذَاكِ دَحَنْهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاتَهُمَا وَمَرْعَنْهَا ۞ وَٱلْجُرْضَ بَعْدَ ذَاكِ دَحَنْهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاتَهُمَا وَمَرْعَنْهَا ۞ وَٱلْجَالَ أَرْسَلُهَا ۞ مَنْهَا لَكُو وَلِأَنْفَدِيكُو ۞ ﴿ [النازعات].

### التفسير:

وقوله: ﴿ أَنتُمْ مبتدأ ، و ﴿ أَشَدُ خبره ، ﴿ خَلْقًا ﴾ منصوب على التمييز ، و ﴿ النَّمَادُ ﴾ عطف على ﴿ أَنتُمْ ﴾ وحُذف خبره لِدَلالة خبر ﴿ أَنتُمْ ﴾

عليه؛ أي: أم السماء أشدُّ خلقًا، ويحسُن الوقوف على ﴿ النَّمَآةُ ﴾ لتمام الكلام، ثم يستأنف ﴿ بَنَهَا ﴿ إِلَى اللهِ وَ لَلْهِ مَا لَا خَرِفَ اللهِ وَ اللهِ اللهُ ا

وَوَأَغْطَشَ لِتَلَهَا ﴾؛ أي: جعله مظلمًا، ووَأُخْرَجَ ضُعَنهَا ﴿ أَي: أبرز نهارها، وعبَّر بالضحى؛ لأنه أكمل أجزاء النهار، وفيه يتجلى سلطان الشمس، ولهذا أقسم الله به، قال تعالى: ووالضّحى ﴿ وَالضّحى ﴿ وَالضّحى الله والضحى إلى السماء؛ لأن الليل والنهار يبدوان من جهة السماء.

قوله: ﴿ أَخْرَجُ مِنْهَا ﴾؛ أي: من الأرض ﴿ مَآنَهَا ﴾؛ أي: بتفجير

عيونها وإجراء أنهارها، ﴿وَمَرْعَنْهَا ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ النبات والكلا مما يأكله الناس والأنعام.

وفي الآية إيجاز بديع، فهي من جوامع الكلم؛ إذِ اشتملت على كل ما يتمتع به الناس والأنعام.

﴿ وَٱلِجَالَ أَرْسَنُهَا ﴿ أَي: ثبتها وثقل بها الأرض؛ لئلا تميد بأهلها ﴿ مَنْهَا لَكُو وَلِأَنْهَمِكُو ﴿ أَي: فعلنا ذلك كلَّه؛ لأجل أن تتمتعوا به أنتم وأنعامكم، جمع نَعَم، وهي: الإبل، والبقر، والغنم.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ توبيخ المكذبين بالبعث.
- ٢ \_ الاحتجاج عليهم بخلق السماوات والأرض.
- ٣ ـ أن خلق السماوات والأرض أشدُّ من خلقهم وأعظم، كما قال
   تعالى: ﴿ لَكَ فَلْقُ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].
- ٤ \_ إثبات قياس الأولى؛ ووجهه : أنَّ القادر على الأعظم والأشد هو على ما دونه أقدر، وذلك باعتبار نظر العقل المجرد، وإلا فنسبة الأشياء إلى قدرة الله واحدة. فهو على كل شيء قدير، وليس هو على شيء أقدرَ منه على شيء آخر.
  - ٥ ـ أنه تعالى خالق السماوات والأرض والليل والنهار.
- ٢ ـ إضافة فعل البناء إلى الله، وهو رفع الشيء فوق الشيء، ولهذا
   جاء البناء متعلقًا بالسماء، وسمَّى الله السماء بناء.
- ٧ أن الليل والنهار من الآيات السماوية؛ لأن آيتيهما الشمس والقمر.

٨ ـ أن الله هو الذي جعل الليل ظلامًا والنهار ضياءً، ويذهب بهذا ويأتي بذاك.

٩ ـ أن الله بسط الأرض وأودع فيها منافعها، وبارك فيها.

١٠ ـ أن دحو الأرض بعد خلق السماء.

۱۱ ـ أن من بركات الأرض ما يخرجه الله للعباد من الماء
 والمرعى لهم ولدوابهم، مما للعباد فيه تسبب أو لم يكن.

١٢ \_ أن من آيات الله العظيمة الجبال التي خلقها الله وأرساها لتستقر بها الأرض.

١٣ \_ أن الحكمة من دحو الأرض وإرساء الجبال، أن يكون في ذلك متاع للناس ولأنعامهم.

18 \_ أن الناس شركاء في الماء والكلأ؛ إلا ما يحوزه الإنسان في بيته ووعائه.

10 \_ الإشارة إلى إحياء الأرض بعد موتها، وهو من أدلة البعث، وذلك في قوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاتَهَا وَمَرْعَنْهَا شَا﴾.

ولما ذكّر الله عباده بمخلوقاته العظيمة الدالة على كمال قدرته، وما امتن به عليهم مِن النّعم = شرع في بيان أحوال معادهم الحتمي؛ فقال سبحانه:

﴿ وَإِذَا جَآءَتِ الْمَاتَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿ يَوْمَ يَنَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿ وَرُزِزَتِ الْجَدِيمُ لِمَن مِرَىٰ ﴿ وَمُؤْرِزَتِ الْجَدِيمَ مِنَ الْمَأْوَىٰ ﴾ لِمِن مَرَىٰ ﴿ وَمَاثَرَ الْحَبُوةَ الدُّنيَا ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ مِنَ الْمَأْوَىٰ ﴾ وَالْمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَعْمَى النَّفْسَ عَنِ الْمُوَىٰ ﴾ وَأَمَا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِهِ وَنَعْمَى النَّفْسَ عَنِ الْمُوَىٰ ﴾ والنازعات].

### 🕸 التفسير:

وَالْوَا بَاءَتِ الطَّاقَةُ الْكُبْرَىٰ اللَّهُ الدَّاهية التي تطُمُ ، أي: تعلو على الدواهي وتغلبها ، وهي يوم القيامة ، أو الساعة ، كما قال سبحانه : وبل السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُ الله الله الله ووصفها بالكبرى تعظيمًا لها ، أي: لا مثيل لها . ووصفت القيامة أيضًا بالواقعة ، والصاخة ، والقارعة ، وتعدد الأوصاف يزيد في عظمة الموصوف ، وجواب (إذا) محذوف تقديره: وقع ما لا يوصف من الأهوال .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ ﴾؛ أي: جميع الإنسان؛ ف (أل) جنسية للاستغراق الحقيقي، ﴿ مَا سَعَىٰ ﴿ اَي: سعية وعملَه مِن خير وشر في الدنيا، والمقصود بتذكُّره: أن يُعرض عليه مدوّنًا في صحيفة أعماله، والمقصود أثر ذلك وهو الجزاء، كما قال سبحانه: ﴿ اقْرَأْ كِلنّبِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ الإسراء].

﴿وَثِرِزَتِ ٱلْمِحِيمُ ﴾؛ أي: أظهرت جهنم ﴿لِمَن يَرَىٰ ﴿ اللَّهُ لَكُلِّ مبصِر ؛ مؤمنًا كان أو كافرًا، فيرونها عيانًا، وقد ثبت عنه على أنه قال: «يُؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مَعَ كل زمامٍ سبعون ألف مَلَك يَجُرُّونها » (۱)، فيراها الجميع، ثم يجوزها المؤمنون بمرورهم عليها، ويثوي فيها الكافرون، وعلى ذلك؛ فلا تعارض بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ ٱلْمَحِيمُ لِلْعَاوِينَ ﴿ الشعراء]، فإبرازها للكافرين لأنها مستقرهم.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿ أَي : جاوز الحد في كفره وتكذيبه، و(أمَّا) حرف شرط وتفصيل، وبدأ بالكافر لأنه الأكثر، ولأن

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢)؛ من حديث شقيق بن عبد الله عظيمة.

الكلام مع منكري البعث، ﴿وَءَاثَرَ ٱلْخَيَوَةَ ٱلدُّنَيَا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ المُلْمُلِي اللهِ اللهِ

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِهِ ﴾ المقام: مصدر ميمي، بمعنى القيام، والمراد قيام العبد بين يدي الله للحساب في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِ الْعَلَمِينَ ﴿ إِنَّ المطففين]، وكما يشير إليه قوله عَلَيْهِ: «ما منكم مِنْ أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه ليس بينه وبينه تُرجمان (١٠).

وقيل - وهو أظهر -: ﴿مَقَامَ رَبِهِ ﴾؛ أي: قيامَ الله على العباد في الدنيا والآخرة بالاطلاع على أعمالهم وإحصائها، وحسابهم عليها ومجازاتهم بها، ويشهد لهذا المعنى اسمه تعالى (القيوم) في قوله تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِللهُ إِلاَ هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيْوُمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَ هُوَ وَلَهُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كُسَبَتُ ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقوله وقال: ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلّا كُنَا عَلَيْكُمُ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيدٍ ﴾ [يونس: ٢١]، ويؤيد هذا التفسير الثاني أمران:

أحدهما: أن الأكثر في اللغة إضافة المصدر إلى فاعله.

والمفسرون منهم من يذكر القولين، كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فإنه ذكر القولين، واستشهد لكل منهما من القرآن(٢)، ومنهم

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٧٠٠٥)، ومسلم (١٠١٦)؛ من حديث عدي بن حاتم ظله.

<sup>(</sup>٢) في تفسيره "أضواء البيان"، في حديثه على آية الرحمن.

من اقتصر على القول الثاني، كالشيخ السعدي كَالْشَهُ (١)، واقتصاره عليه ترجيحٌ له.

وذكر ابن القيم القولين، ورجَّح القول الأول بقوة (٢)، وذكر أن القول الثاني يتضمن معنى القول الأول، وهو التخويف من قيام العبد بين يدي الله في الآخرة، ومع ذلك لم يعدل عن ترجيحه للقول الأول، ومعنى هذا: أن قيام الله في الدنيا والآخرة على العباد يوجب الخوف من مقامه في الدنيا والآخرة، وهو وجه ثالث يرجَّح به القول الثاني.

وعلى هذا فكلٌ من القولين صحيح، ولا يمتنع أن يكون كلٌ من القولين مرادًا. والله أعلم.

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْمَوَىٰ ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللل

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ - أن من أسماء القيامة (الطَّامَة)، وسُميت بذلك؛ لأنها طمَّت على كُلِّ شدة، وعلت عليها، واضمحلَّت في عظيم شدتها الشدائد، ولهذا وصفها بالكبرى.

- ٢ \_ التخويف من ذلك اليوم، والحث على الاستعداد له.
- ٣ \_ أن يوم القيامة يوم تَذَكُّرِ الإنسان لسعيه، تذكُّرًا لا يجدي.
  - ٤ \_ إبراز جهنم لأهل الموقف.
  - ٥ \_ أن من أسماء النار الجحيم.
    - ٦ \_ إثبات الجنة والنار.

<sup>(</sup>١) في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن»، عند كلامه على آيتي الرحمٰن والنازعات.

<sup>(</sup>٢) في كتابه «طريق الهجرتين»، (ص: ٤٢٥) المطبعة السلفية.

٧ ـ أن الطغيان وإيثار الدنيا سبب لدخول النار.

٨ ـ أن العلو في الأرض وإيثارَ الدنيا هما سببُ الشَّقاء الدائم.

٩ ـ أن الخوف مِنَ المقام بين يدي الله ونهي النفس عن الهوى =
 جِماعُ أسباب دخول الجنة.

١٠ ـ أن اتباع الهوى جِماعُ الشر.

١١ ـ أن خوف الله جِماعُ الخير.

١٢ ـ أن عدم الخوف من الله واتباع الهوى منشأ الطغيان وإيثار الدنيا، وأن الخوف من الله أعظم مانع من ذلك.

كان المشركون يسألون النبي على عن وقت القيامة على سبيل الاستهزاء، فقال تعالى:

﴿ وَمَثَنَّلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلَهَا ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَهَا ﴿ إِلَى رَبِكَ مُنتَهُلَهَا ﴿ وَمِنتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيْلًا عَشِيَّةً أَوْ مُنتَهَلَهَا ﴿ كَالْمَامُ وَمُ مَرُونَهَا لَوْ بَلْبَثُوا إِلَا عَشِيَّةً أَوْ مُنتَهَا ﴾ [النازعات].

### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلَهَا ﴿ أَي: متى وقت إرسائها وقيامها؟! وفي اللفظ استعارة، شُبِّهت الساعة بسفينة، بجامع المجيء وبلوغ المنتهى في كلِّ منهما، ثم خُذف المشبَّه به، ورُمز له ببعض خصائصه، وهو المُرسى.

وإيثار المضارع ﴿ يَتْنَلُونَكَ ﴾ للدلالة على تكرر السؤال منهم، وسُمِّيت القيامةُ ساعة؛ لأنها تفجأ الناس بغتة، أو لأنها تقع في ساعة من الزمان، وأقلُّ ما يصدُق عليه اسم الساعة اللحظةُ ونحوها، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْتِ ٱلْبَعْبَدِ ﴾ [النحل: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَبَحِدُةٌ كَلَمْتِجٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿ ﴾ [القمر].

قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَنهَا ﴿ فِيمَ أَصلها: (في) وَ (ما) الاستفهامية حُذفت ألفها لدخول الجارّ عليها، أي: في أيِّ شيء أنت مِن أنْ تذكر لهم وقتها، فهو استفهام بمعنى النفي، أي: لا علم لك بوقتها، فلم يسألونك؟! كما قال تعالى في الأعراف: ﴿ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيً عَنْهَا ﴾؛ أي: عالمٌ بها ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿ إِلَىٰ رَبِكَ مُنهَا اللهِ وحده، فلا أحد يعلمها الله الله وحده، فلا أحد يعلمها سواه سبحانه، ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَغْشَلهَا ﴿ أَي: مُحذّر مَن يَغْشَلها ولم تبعث للإعلام بوقتها، وإنما بعثت للإنذار، وخصَّ الإنذار بمن يخشاها؛ لأنهم المنتفعون بالنذارة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ النَّهُ مُن يَخْشَاها؛ لأنهم المنتفعون بالنذارة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُنذِرُ مَن التَّبُعُ الذِّكَرَ وَخَشِي ٱلرَّحْنَنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [بس: ١١].

وْكَأَنَّهُمْ ؛ أي: الكفار وْيَوْمَ يَرُوْنَهَا ﴾؛ أي: الساعة، وَلَوْ يَلْبَتُوّا إِلّا عَشِيّةً ﴾ وهي آخر النهار، ووقتها من الزوال إلى غروب الشمس، وأق شُنها (أله) ؛ أي: ضحى تلك العشية، والضحى أول النهار، وهو من ارتفاع الشمس إلى الزوال، والمعنى أنهم إذا رأوا الساعة وأهوالها ظنوا أنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا بعض يوم، فلم يستكملوا يومًا، ولم يجمعوا بين طرفيه، كما قال تعالى: ﴿كَأَنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلّبَثُوا لَمْ الماسية فهما في يوم واحد.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ مناسبة آخر السورة لأولها، فإن أولها وآخرها في شأن القيامة.

٢ ـ أن من أسماء القيامة: الساعة، وهو من التعبير بالزمن عن الحدث الواقع فيه، وهو القيامة.

٣ ـ جواز عود الضمير على معلومٍ غيرِ مذكور، فالسائلون عنها هم الكفار.

٤ - تشبيه زمن قيام الساعة بمرسى السفينة.

نفي علم موعد الساعة عن النبي ﷺ، فهو لا يذكرها في نفسه، ولا يذكرها لغيره.

٦ - تفويض علم قيام الساعة إلى الله الذي إليه تصير الأمور، وإليه المنتهى.

٧ ـ أن المنتفعين بالذكري والنذارة هم أهل الخشية.

٨ ـ استقصار الكفار يومَ القيامة لمدة إقامتهم في الدنيا.

٩ - جواز التقديم والتأخير في الكلام رعاية لحسن الكلام، لقوله:
 ﴿عَشِيّةً أَوْ ضُعَنَهَا ﴿ اللّهِ ﴾ .





هذه السُّورَةُ مكِّيَّة، وسُمِّيت بأوَّلِ كلمة فيها، ولها سببُ نزولٍ لا خلاف فيه بين المفسرين، وهو أنَّ عبدَ الله بْنَ أمِّ مكتوم الأعمى جاء إلى النبيِّ عَلَيْ، وكان ممن أسلم قديمًا، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند النبي عَلَيْ رجل من عظماء المشركين يدعوه إلى الإسلام، فجعل رسول الله يُعرِض عنه ويُقْبِل على الآخر طمَعًا في إسلامه، ويقول: "أترى بِما أقُول بأسًا»، فيقول: لا، فنزلت ﴿عَبَسَ وَبُولَيْ اسورة عبس](١).

## الآيات:

﴿ عَبَسَ وَفَوَلَىٰ ۚ ۚ أَن جَاءَهُ ٱلْأَغْمَىٰ ۚ ۚ وَمَا يُدْرِبِكَ لَعَلَهُۥ يَزَّقُ ۚ ۚ أَوْ يَذَكُرُ ۚ الْأَغْمَىٰ ۚ أَنَا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۚ ۚ فَانَتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۚ ۚ وَمَا عَلَيْكَ ٱلَّا يَزَّقُ ۚ ۚ ۚ أَنَا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۚ فَقَ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۚ فَا مَن جَاءَكَ اللّهِ يَرَّقُ ﴿ فَا عَلَيْكَ اللّهِ يَرَّقُ فَلَ اللّهُ عَن اللّهُ عَن اللّهُ وَمُو يَغْشَىٰ فَى فَأَنتَ عَنْهُ فَلَعْنى ۚ فَا عَلَيْكُ اللّهُ وَهُو يَغْشَىٰ فَى فَأَنتَ عَنْهُ فَلَعْنى فَا ﴾ [عبس].

## 🛞 التفسير:

﴿ عَبَسَ ﴾ العبوس: تقطيب الوجه، ﴿ وَتَوَلَّى ﴿ اللهِ العبوس العبوس بوجهه الله عَبَاءُ اللَّهُ مَا اللهُ الل

<sup>(</sup>۱) أخرجه الترمذي (۳۳۳۱)، وابن جرير (۲۰۲/۲۱)؛ من حديث عائشة وأنها، وقال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه الحاكم (۲/۱۵۲)، وابن حبان (۲/۲۹۲)، وصحح إسناده الألباني، وله شاهد من حديث أنس واله أبو يعلى في مسنده (۳۱۲٤).

الأعمى، وقَطَعَ عليه ما هو آخذٌ به من دعوة أكابر قريش، فالجملة في موضع المفعول لأجله، وفي ذِكْرِ ابن أم مكتوم بوصف الأعمى دلالة على أنَّه مِنْ ضَعَفَةِ المؤمنين، وعرَّفه بـ(أل) لِتَعْيِينِه، وفي قوله: ﴿عَبَسَ وَقَوَلَةُ ۞﴾ عتابٌ مِنَ الله لنبيّه، جاء بصيغة الخبر بلفظ الغَيْبَة إكرامًا للنبي ﷺ.

﴿ وَمَا يُدُرِبُكُ ﴾ أي: وما يُعْلِمك بحال هذا الأعمى، ﴿ لَمَا يُنَكُّ ﴿ اَنَ يَتَظَهَرُهُ أَي: يَتَعِظ بِما يسمع منك، ﴿ فَلَنَفَعَهُ يَزِدَاد طُهِرًا وزكاء، ﴿ أَوْ يَذَكَّرُ ﴾ ؛ أي: يتَّعِظ بما يسمع منك، ﴿ فَلَنَفَعَهُ الْذِكْرَىٰ ﴿ اَنِ الموعظة، أي: إنْ لم يقع منه تزكِّ حصل له الذِكْرَىٰ ﴿ اَنِ الموعظة، أي: إنْ لم يقع منه تزكِّ حصل له الاتعاظ، ونصب (تنفعه) لوقوعه في جواب التَّرجي، وهذا في قراءة عاصم وحده، وقرأ الباقون برفع (تنفعه) عطفًا على ﴿ أَوْ يَذَكِّرُ ﴾ ، وفي قوله: ﴿ وَمَا يُدْرِبُكُ ﴾ التفاتُ مِنَ الغَيْبَة إِلَى الخطاب، وفيه إيناس للنبي عليه الصلاة والسلام، وتلطف في العتاب.

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغَنَّى ﴿ أَي: بماله وجاهه، ورأى نفسه في غنى عن الهداية ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغَنَّى ﴿ أَصِلها: تتصدى، حُذفت إحدى التاءين تخفيفًا؛ أي: تَتَعَرَّضُ له، وتُقْبِل عليه، وتُصْغِي إلى كلامه؛ لعله يهتدي، ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلّا يَزَّكَى ﴿ فَي أَلّا يتطهر مِنَ الكفر ويُسْلِم، فهو استفهامٌ بمعنى النَّفْي؛ أي: ليس عليك شيء، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلّا ٱلْبَلَغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿ إِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ والخير، وهو الأعمى، ﴿ وَهُو يَغْشَىٰ ﴿ إِنَّ أَي: يخاف الله ويتقيه، ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ لَلَّهَى ﴿ فَأَنتَ عَنْ اللَّهَى اللهِ عَنْهُ لَلَّهَى اللهِ عَنْهُ اللَّهَى اللهِ عَنْ اللَّهِ عَنْ اللَّهَى اللَّهُ وَيَعْدَ اللَّهُ وَيُوعِ اللَّهُ وَيَعْدَ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيَعْدَ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيْ اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَيُعْدَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُعْلَى اللَّهُ وَالْمُعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالِمُولِي الللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّه

وفي الآيات مقابلة بين قوله: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۞ فَأَنَتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۞ ۗ •

وقوله: ﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَنَ ﴿ وَهُو يَغْشَىٰ ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ لَلَغَىٰ ۞ ، وفي هذا تأكيدٌ للعتاب ببيان أنَّ الثاني أولى بالتصدي له والإقبال عليه.

## ه الفوائد والأحكام:

- ١ \_ عتاب الله لنبيه عليه الصلاة والسلام على معاملته للأعمى.
  - ٢ ـ أنَّ الذي قُوْبل به الأعمى عبوسٌ وإعراض.
- ٣ ـ أنَّ وقوع ذلك مِنَ النبي عَلَيْ خطأً منه، وهو إعراضه عن ابْنِ أمِّ مكتوم، وهو أعمى ومن المستضعفين، وفي مقابل هذا إقباله على على بعض الكبراء والأغنياء من الكفار، وتصديه لدعوتهم ليهتدوا هُم وأتباعهم.
- ٤ ـ عَتبُ الله على نبيّهِ ﷺ؛ لتصديه لمن استغنى من الكبراء،
   وتلهّيهِ عن الذي جاء إليه راغبًا في العلم، متحليًا بخشية الله.
- ٥ \_ وصف حال النبي ﷺ مع الأعمى بضمير الغَيْبَة؛ إكرامًا له عليه الصلاة والسلام؛ حيثُ قال: ﴿عَبَسَ وَتُولَٰقَ ﴿ ﴾.
- ٦ ـ فضيلة عبد الله ابْنِ أُمِّ مكتوم؛ لنزول الآيات في شأنه، ووصفِهِ بالتَّزكي والتَّذكُر والخشية.
- ٧ جواز فر الإنسان بما فيه من العيب إذا اقتضى المقام ذلك؛
   كالتعريف به.
- ٨ ـ أنَّ الضعيف والفقير أَحْرَى بالتزكي والتذكر والانتفاع بالذكرى.
- ٩ ـ أنَّ ما جاء به الرسولُ ﷺ من الهدى ودين الحق فيه تزكية النفوس، وتذكير بما ينفع.

١١ ـ أن المناط في الفضل عند الله خشيةُ الله، كما قال تعالى:
 ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَنْقَنكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

١٢ - إبطالُ مِعْيارِ التَّفاضل في عُرف النَّاس بالْغِنَي.

١٣ - أنَّ الغنى - في الغالب - عائقٌ مِنْ عوائق الاستجابة لدعوة الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم.

١٤ \_ حرص النبي على هداية الخلق.

١٥ \_ اجتهاده على في طريقة الدعوة.

١٦ ـ أن النبي ﷺ ليس بمعصوم من الخطأ، ولكنه لا يُقَرُّ على خطأ.

١٧ - أن النبي على الا يعلم الغيب؛ لذلك لا يعلم أحوال المدعوين، وما يؤول إليه أمرهم.

١٨ ـ أنَّ الرسول ﷺ ليس عليه شيء مِنْ حساب مَنْ أعرض عن دعوته، ولم يقبل تزكية نفسه.

19 \_ أن الضعفاء المؤمنين أحق بالإقبال عليهم من الكفار المستغنين المستكبرين.

٢٠ \_ أنَّ حُسْن القصدِ لا يُسَوِّغ العمل.

٢١ ـ في الآيات شاهد للقاعدة الأصولية: لا يُترك أمرٌ معلومٌ أو
 هو قريب لأمر محتمل.

٢٢ ـ الردُّ على مَن يقول بعصمة الرسول ﷺ من الصغائر.

ولما ذكر ما وقع مِنَ النبي عَلَيْ أعقبه ببيان أنَّ ما جاء به مِنْ آي القرآن تذكرة لكل أحد من أغنياء الناس وفقرائهم وكبرائهم وضعفائهم، فقال سبحانه:

# 

### 🛞 التفسير:

وَكُلَّ ﴾؛ أي: حقًا، ﴿إِنَّهَ﴾؛ أي: آيات القرآن ﴿نَذَكِرَةٌ ﴿ الله الله والله عن الله أي: مُذكّرة وواعظة، وتنكير ﴿نَذْكِرَةٌ ﴾ للتعظيم، وهذا من التعبير عن السم الفاعل باسم المصدر؛ لكمال وصف الآيات، أي إنها بلغت الغاية في التذكير، فهذه الآيات القرآنية تُذكر الإنسان وتدله على ما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه، ﴿فَنَ شَآءَ ذَكَرَ الله اي: ذكر الله والمعنى: فمن شاء أن يذكر الله بقلبه ولسانه ذكره واتعظ بآيات القرآن، وفي الكلام محذوف؛ أي: ومن شاء لم يذكره، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ مَحذوف؛ أي: ومن شاء لم يذكره، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ المزمل].

﴿ وَ مُعُنِ الملائكة ، وهي المستنسخة من اللوح المحفوظ ، والمعنى أنَّ التي بأيدي الملائكة ، وهي المستنسخة من اللوح المحفوظ ، والمعنى أنَّ هذه الآيات مئبتة في صحف ﴿ مُكَرِّمَةِ ﴿ مُكَرِّمَةٍ ﴿ مُعَظَّمة عند الله ﴿ مُتَافِعَة ﴾ ؛ أي: رفيعة القدر ﴿ مُطَهَرَةٍ ﴿ مُعَلِّمَة مِن الدَّنس والزيادة والنقصان .

﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةِ شَا﴾؛ أي: الملائكة، وهم المذكورون في قوله

تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ السفرة جمع سافر، وهو الكاتب، وسفرة كـ (كَتَبَة)، لفظًا ومعنى.

ويحتمل أنَّ ﴿ سَنَرَةِ ﴿ صَالَهُ ﴿ مَا اللهِ وَأَنبِيانَهُ ، ولا مانع مِنْ حمل اللفظ الموسَل ، فالملائكة سُفراء بين الله وأنبيائه ، ولا مانع مِنْ حمل اللفظ على المعنيين .

﴿ كِرَامِ ﴾؛ أي: كرام في أفعالهم وأخلاقهم، وكرام في خِلقتهم، فأفعالُهم وأخلاقهم، وكرام في خِلقتهم، فأفعالُهم وأخلاقُهم وخِلْقَتُهُم موصوفةٌ كلُها بالحُسن، ﴿ بَرَرَةِ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَمَ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عِلَا عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُ عَلَيْهُ

وذَكَرَ الراغبُ أَنَّ (بررة): ﴿خُصَّ بها الملائكة في القرآن مِنْ حيث إِنَّه أَبِلغ مِنْ (أَبرار)؛ فإنه جمع (بَرّ)، و(أبرار) جمع (بارّ)، و(بَرّ) أبلغ من (بارّ)، كما أَنَّ عَدْلًا أَبِلغ مِنْ عادل (١٠٠٠).

وفي هذا القول نظر؛ فإن البررة لم يرد في القرآن إلا في هذه السورة، فلا يصح أن يؤخذ من ذلك قاعدة في ألفاظ القرآن، والذي يظهر أنَّ مجيء بررة على هذا الجمع لمناسبة رؤوس الآي، ألا ترى أن جمع (كافر) على (كفرة) لم يرد في القرآن إلا في هذه السورة لتناسب الفواصل، وأيضًا فإن (بررة) يتعين أن يكون جمعًا له (بار)، كما تقدم؛ وأما (برّ) فيجمع على (أبرار)؛ كه (رب) و(أرباب)، وقيل: (برّ) يجمع على (أبرار) على غير قياس.

## 🛞 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الآيات السابقة فيها تَذْكِرَةٌ بمقاصد الدَّعوة وسياسة الدعوة .
 ٢ ـ إثبات مشيئة العبد، والرَّدُ على الجبرية .

<sup>(</sup>١) المفردات (ص: ١١٥).

٣ ـ أنَّ الغاية مِن التذكرة ذكرُ العبد لربه؛ بمعرفته، والإيمان به،
 وطاعته، وذكرُ ما أنزله مِن الكتاب والحكمة؛ بمعرفته واتباعه.

٤ \_ أنَّ القرآن مكتوبٌ في صُحُف بأيدي الملائكة.

٥ \_ أنَّ للملائكة أيْدِيا .

٦ \_ عِظَمُ شأن القرآن وفضلُه.

٧ \_ فضل هذه الصحف؛ حيث وصفت بالتكريم والرِّفْعة والتطهير.

٨ ـ أنَّ هذه الصُّحُف معظَّمةٌ عند الله، رفيعةُ القَدْر، مُطهَّرة عن كل سوء وعيب.

٩ ـ الإرشاد إلى فعل ذلك في الصُّحُف التي في أيدي المسلمين،
 وهي المصاحف، تكريمًا وتعظيمًا وتطهيرًا.

١٠ \_ فضل الملائكة الذين في أيديهم الصحف التي فيها القرآن.

١١ ـ ثناء الله على أولئك الملائكة بالصفات الثلاث: السفارة،
 والكرم، والبر.

١٢ \_ أنَّ مِن صفات الملائكة السِّفارة بين الله ورسله.

١٣ \_ أنَّ مِن صفاتهم الكرم، وهو الحُسن في الصُّورة والخُلُق.

١٤ \_ أنَّ مِن صفاتهم البِّر؛ وهو كل عمل صالح، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته.

١٥ \_ ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السّداد. قاله ابن كثير.

#### 

ولما وصف الله الكافر بالإعراض عن هدى الله وآياته، مستغنيًا بأهله وماله، وأثنى على آيات القرآن بأنها واعظة ومذكرة بما فيها من

التذكير ومالها من المنزلة، وأثنى على الصحف التي تتضمنها، والملائكة التي تحملها، ومع ذلك يكفرُ بها الإنسان الجاهل المتَّبع لهواه = أَتْبَعَ ذلك بالدعاء على هذا الكافر متعجبًا مِن كفره، فقال سبحانه:

وَ وَنَيلَ ٱلْإِنسَانُ مَا ٱلْفَرَهُ ﴿ مِنْ أَي مَنَ أَي مَنَ عِلْقَهُ ﴿ مِنْ أَلَى مِنْ أَلَى مِنْ أَي مَنَ عَلَمُهُ ﴿ مَا أَلَا لَمَا يَقْضِ مَا ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَرُهُ ﴿ مَنْ أَمَانَهُ مَا أَفَهُم فَا أَفْهُرُهُ ﴿ اللَّهُ مَا أَفَهُم اللَّهُ مَا أَنْهُم اللَّهُ مَا أَمَانُهُ مَا أَفَاهُم اللَّهُ مَا أَنْهُم اللَّهُ اللَّهُ مَا أَنْهُم اللَّهُ اللّ

### 🛞 التفسير:

ثم ذكر سبحانه ما يدلُّ على ربوبيته وقدرته على البعث الذي كذَّب به الإنسان الكافر، فقال سبحانه: ﴿مِنْ أَيَ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وهذا استفهام تقرير وتحقير، وهو كقوله تعالى: ﴿ أَلَا غَلْقَكُم مِن مَا وَ مَهِ وَهُ لَكُ تَذَكِير الإنسان بمبدئه الله ستدلال به على المعاد، ونظائر ذلك في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَانُ أَنَا خَلَقْنَهُ ﴾ [يس: ٧٧].

ومِن نُطْنَةٍ ﴾؛ أي: مِن المني، وأصل النطفة هي الماءُ القليل، وهذا أول أطوار خلق الإنسان، وقوله: ﴿مِن نُطْنَةٍ خَلَقَدُ ﴾ هو جواب الاستفهام، وأعاد الفعل في الجواب لبناء ما بعده عليه ﴿خَلَقَهُ, فَقَدَّرَهُ ﴿ اللهِ ال

قدَّرَه أطوارًا؛ نطفةً ثم علقهً ثم مضغةً، كما فُصِّل ذلك في القرآن.

﴿ ثُمَّ السبيل للإنسان، بأن بيَّن له طريق الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا السبيل للإنسان، بأن بيَّن له طريق الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَله يقل: ثم سبيله يسره، بإضافة السبيل إليه، بل عرَّفَه بالألف واللام؛ لأنه غير مختص به، بل هو لعموم المكلفين من الجن والإنس.

وصان أجسادهم عن أن تلقى على الأرض فتأكلها السباع والطير، يقال: وصان أجسادهم عن أن تلقى على الأرض فتأكلها السباع والطير، يقال: أقبر الميت؛ إذا أمر غيره أن يقبره، وقبره؛ إذا دفنه بيده، وفي مجيء الفاء في قوله: ﴿فَأَقْرَهُ إِشَارة إلى المبادرة بتجهيز الميت، ﴿ثُمَ إِنَا الله إنشاره ﴿أَشَرَهُ إِنَى الْمُ الله الله إنشاره ﴿أَشَرَهُ إِنَى المواضع الثلاثة للدلالة على التراخي فيما بين والجزاء، وعبر بـ (ثُمّ) في المواضع الثلاثة للدلالة على التراخي فيما بين هذه المعطوفات.

وهذه الآيات تضمنت الأحوال التي يتنقل فيها الإنسان بعد وجوده، وهي موت فحياة فموت فحياة، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا آَمْتَنَا ٱلْمُنْكَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱلْمُنْتَيْنِ ﴾ [غافر: ١١].

﴿ كُلَّا لَهُمَا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿ ﴿ كُلَّا ﴾ ﴿ كُلَّا ﴾ ! أي: حق ﴿ لَهُ لَهُ اللَّهُ مَا أَمَرُهُ ﴾ ! أي: لم يُؤدّ الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ، والمراد به عموم الإنسان .

## ﴿ الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الكفر بالله واليوم والآخر مجلبة للمعن الله ولَعْن اللاعِنيْن؛
 لقوله تعالى: ﴿قُنِلَ﴾؛ أي: لُعن.

٢ ـ ذِكْرُ اللفظ العام مرادًا به الخاص، وهو الإنسان الكافر.

٣ ـ الانتقال من ذكر الخاص إلى العام في قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَرَهُ ﴿ إِلَى الْعَامِ فَي قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَرَهُ ﴿ إِلَى الْعَامِ فَي قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَرَهُ إِلَى الْعَامِ فَي قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَرَهُ إِلَى الْعَامِ فَي قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَرَهُ إِلَى الْعَامِ فَي قوله: ﴿ كُلَّا لَمَّا يَقْضِ اللَّهُ اللللَّا اللَّهُا اللَّالِمُ اللَّا اللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّالَةُ اللَّا اللّ

٤ - إثباتُ العَجَبِ لله تعالى، كما تفيده صيغة التَّعجب: ﴿مَا الْفَرَهُ اللَّهِ اللَّهُ الللللِّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللِّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

٥ - أنَّ مِنْ أَظْهَرِ الكُفْرِ جَحْدَ المعاد مع العِلْم بالمبدأ.

٦ - أنَّ مِنْ أدلة قدرة الله على البعث بَدْءَ خَلْقِ الإنسان مِن نطفة،
 وهي القطرة مِنَ المنيّ.

٧ ـ تحقير ما خُلق منه الإنسان؛ لقوله: ﴿مِنْ أَي شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ ﴾ ،
 كما قال تعالى: ﴿أَلَرْ غَلْقَكُم مِن مَّآءٍ مَهِينٍ ﴿ ﴾ [المرسلات].

٨ ـ أنَّ الإنسان لم يخلق من عدم، بل من نطفة، كما خُلِق الإنسان الأول مِنْ تراب، فبهذا يعلم خطأ قول بعض الناس: خُلق الإنسان مِن عدم، فالصواب أنه خُلق من تراب، وخُلق بعد عدم.

٩ ـ أنَّ الله قدَّر خَلْق الإنسان أطوارًا وصُورًا.

١٠ - تيسيرُ الله كلَّ إنسان لما خُلق له مِن سبيل الخير أو الشر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿إِنَّهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ ال

١٢ ـ أنَّ دفن الميت سُنَّة كونية وشرعية.

١٣ \_ إكرام الله للإنسان بقبره بعد موته.

18 ـ الإشارة إلى الإسراع بتجهيز الميت، والمبادرة إلى دفنه؛ كما يدل عليه العطف بـ(الفاء) في قوله: ﴿فَأَفَرَهُۥ ﴿ اللهُ اللهُ العطف بـ(الفاء) في قوله: ﴿فَأَفَرَهُۥ ﴿ اللهُ اله

١٥ ـ إثباتُ المشيئة لله تعالى.

١٦ \_ زجرُ الكافر بالبعث عن كفره مع علمه بمبدئه.

الإيمان والتوحيد، وذلك باعتبار ما في الآية من خصوص الإنسان الكافر.

١٨ ـ أنه ليس من إنسانٍ قد أدّى كلَّ حقِّ الله عليه، وفَعَلَ كلَّ ما أمره الله به، فلا يسلمُ أحدٌ من ذنبٍ أو خطأ، وذلك لما في الآية من عموم الإنسان.

ولمَّا ذكر الله تعالى شيئًا مِن دلائل قدرته، وبديع صُنعه في خلق الإنسان وتنقله في الأطوار المختلفة؛ ليَدُلَّ بذلك على إمكان البعث = ذكر بعد ذلك دليلًا آخر؛ وهو ما خُلق للإنسان مِن النَّعم في طعامه وطعام أنعامه، بإنزال الماء وشق الأرض، فالدليل الأول من آيات الله في الأنفس، والثاني من آياته في الآفاق، فقال سبحانه:

### 🞕 التفسير:

﴿ فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنسَانُ ﴾ وهو الكافر المذكور في قوله: ﴿ فُيلَ ٱلْإِنسَانُ ﴾ ، فد (أل) فيه للعهد الذكري، ﴿ إِلَى طَعَامِهِ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الل

طعامه نظرَ تفكُّرٍ واستدلال، كيف خلقه الله، وجعله سببًا لحياته، وكيف وصل إليه.

ثم فصّل؛ فقال: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ ﴾ من السّحاب. قرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح همزة (أنّ)، على أنه بدل اشتمال مِن ﴿طَعَامِهِ ﴿ اللَّهُ على أنه بدل اشتمال مِن ﴿طَعَامِهِ اللَّهُ على يتضمن بيانَ سببِ الطّعام وأنواعه وأطواره وحِكْمَة وجوده، فالمعنى: فلينظر إلى ذلك كُلِّه، مِنْ صبّ الماء وشقّ الأرض إلخ.

وقرأ الجمهور بكسر الهمزة، على الاستئناف المبيِّنِ لكيفية إحداث الطعام بأنواعه.

وَأَمُ شَقَفْنَا ٱلْأَرْضَ الهامدة قبل صبّ الماء، شققناها بالنبات مع أنه غاية الضعف، وأضاف الباري الشَّقَ إلى نفسه؛ لأن ذلك كان بمشيئته وتقديره وتدبيره، فهو إسناد حقيقي، ودلَّت (ثُمّ) على التراخي بين الصب والشق، وهِصَبًا هِ وهِ شَقَا هَ هُ مَصْدران مُؤكّدان، وما فيهما من التنكير يفيد التفخيم والتعجيب.

﴿ فَأَنْكُنَا فِيهَ ﴾؛ أي: في الأرض ﴿ حَبًّا ﴿ آ﴾: كالبُرّ، والرز، والذرة، والشعير، وسائرٍ ما يُدَّخر ويُحْصد، وتقديم الحبوب \_ والله أعلم \_ لأنها أهم مما سواها، ويدل لذلك أنها الأصل في قوت الإنسان.

﴿وَعِنْبَا﴾ معروف، وعطفه على الحبِّ وتقديمُهُ على ما بعده يدل على فضله على الفواكه، ﴿وَقَضْبًا ﴿ اللهِ وهو القَتّ؛ أي: البرسيم؛ لأنه يُقضب مرة بعد أخرى، أي يُقطع، و(القضب) مصدر بمعنى المفعول.

﴿وَزَيْنُونَا﴾ وهو مأكول، ويُعصر منه الزيت للادِّهان والائتِدام والاستصباح، قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخَرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنَبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغِ لِالسَّعَانَ تَنَبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغِ لِلسَّعَانِ اللهُ لَا لَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المؤمنون]، ﴿وَنَفَلَا اللهُ جمع نخلة، معروف، وإنما ذكر الله

النخل دون ثمرته، لحصول الانتفاع بجميع أجزاء شجرته، ولذا مثَّلَ النبي ﷺ المؤمن بالنخلة.

﴿وَحَدَآبِنَ﴾؛ أي: بساتين، جمع حديقة، ﴿ غُلْبًا ﴿ عَلَهُ جمع غَلْباء ؛ كُمُر وحمراء، والحديقة الغَلْباء هي: الضخمة الأشجار الملتفة الأغصان، ﴿ وَفَكِكُهَ لَهُ وهي كل ما يُتفكّهُ به من الثمار، وعظفه على الحدائق مِن عطف الخاص على العام، ﴿ وَأَبّا شَ ﴾ وهو: علف البهائم والأنعام.

﴿ مَنَاعًا لَكُو وَلِأَنْعَكُو ﴿ آَيَ الْعَلَمَ اللَّهِ الْحَلِّ اللَّهُ الْحَلِّ الْ تتمتعوا به أنتم وأنعامكم، جمع نَعَم، وهي: الإبل والبقر والغنم، وما جاء عن الصّديق وعمَر عَلَيْهَا أنه خفي عليهما معنى الأب، فلعله ليس من لغة قريش، والله أعلم.

## 🛞 الفوائد والأحكام:

١ - ذِكْرُ الدليل بعد الحُكْم، وهو دليل البعث بعد الخبر عنه في قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ ﴿ ﴿ ﴾ .

٢ ـ الإرشاد إلى النظر بالعين إلى الطعام الذي خلقه الله للإنسان؛
 قوامًا لبدنه وحياته، مع نظر العقل تدبرًا وتفكرًا.

٣ ـ التفصيل بعد الإجمال بذكر أسباب الطعام مما يكون بفعل الله،
 مما كان للإنسان فيه تسبب، أو لم يكن.

٤ ـ أن من أدلة البعث وقدرة الله عليه إحياء الأرض؛ بصب الماء
 عليها، وشقّها بالنبات.

۵ ـ الامتنان مِن الله على عباده بما يُخرجه لهم من الأرض، من أنواع النبات طعامًا للحبوب والثمار؛ قوتًا وفاكهة، وما يخرجه مِن أنواع النبات طعامًا لدوابهم؛ كالقَضْب والأب.

٦ \_ أنَّ ما تأكله الأنعام آيلٌ طعامًا للإنسان، وهو اللُّحوم والألبان.

٧ - أنَّ كلَّ ما ذكره الله من أنواع النبات هو من طعام الإنسان المذكور في أول الآيات؛ إمَّا مباشرة كالتمر والعنب، أو بالواسطة كلحوم الحيوان التي ترعى النبات.

٨ - أن ما ذكره الله في هذه الآيات من أنواع النبات شاملٌ لأنواع ما يحتاج إليه الإنسان في غذائه؛ من قوت وفاكهة وأُدُم وشراب ولحم؛
 لقوله: ﴿مَنْكَا لَكُرُ وَلِأَنْفَلِكُو ﴿ إِلَيْهَا لَهُ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّ

٩ \_ فضل العنب على سائر الفواكه.

١٠ \_ فضل الزيتون على سائر الأُدُم.

١١ ـ فضل التمر والرُّطب على سائر الثمار.

١٢ ـ اهتمام الإنسان بعلف بهائمه، ولهذا امتن الله بخلقه ذلك.

١٣ ـ أنَّ منافع الدنيا متاع، وكلُّ متاع زائل.

١٤ ـ أنَّ من نعم الله التي يمتن بها على الإنسان خلق المناظر البهيجة، التي تَلَدُّها العيون، وتنفتح لها النفوس، كما يُشعر بهذا قوله تعالى: ﴿وَحَدَآبِقَ غُلْباً ﴿ إِلَيْهِ وَهِي البساتين ذات الأشجار العظيمة والظليلة.

١٥ ـ إثباتُ كمال قدرته سبحانه، وسعةِ رحمته؛ لإنزاله الغيث،
 وإخراجه الزروع والأشجار والثمار؛ رزقًا للعباد.

١٦ ـ أن الغاية من نظر الإنسان إلى طعامه ومصادر طعامه = معرفة قدرة ربه ورحمته.

۱۷ ـ وجوب شُكْر الله على نِعَمه، ووجوب الإيمان بالبعث، والردُّ
 على المكذبين به.

١٨ ـ التمهيد بذكر دليلين من أدلة البعث قبل ذكر يوم القيامة (وهي

الصاخة)؛ وهما: خَلْقُ الإنسان من نطفة، وإحياءُ الأرض بصب الماء عليها وشقّها.

### 

ولما ذكر الله أدلة البعث والمعاد وقرَّر إمكانه ذَكَر بعْدُ ما يكون مِن الأهوال والأحوال يومئذ؛ فقال سبحانه:

## 🕸 التفسير:

﴿ وَإِذَا جَآءَتِ الصَّافَةُ ﴿ اللهِ الله

 الأخ، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم ألصق بالصلب وأعلق بالنفس، كأنه قيل: يفر من أخيه، وكيف لا يفر منه؟! وهو يفر من أبويه، وكيف لا يفر منهما؟! وهو يفر ممن هو أحب إليه منهما، وهم الحليلة والبنون؟!

ثم ذكر سبب الفرار؛ فقال سبحانه: ﴿لِكُلِّ آمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَيدِ﴾؛ أي: إذْ يفرُّ كل قريب مِن قريبه وصاحبٍ مِن صاحبه، ﴿مَأَنَّ يُفْنِيهِ ﴿ اَي: حالٌ عظيمٌ فادحٌ يَشْغلُه عن غيره، والتعبير عن الشُّغْل بالغنى؛ لأن الغنى يصرف صاحبه عن الالتفات إلى غيره، فكل إنسان مشغول بنفسه في ذلك اليوم، ويسعى في خلاصها، وتأمل قول الأنبياء هناك: «نفسي نفسي»، وي خلاصها، وتأمل قول الأنبياء هناك: «نفسي نفسي»، روى الترمذي عن ابن عباس عن النبي على قال: «تُحشرون حُفَاةً عُرُلا» فقالت امرأة: أيبصر - أوْ: يرى - بعْضُنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة ﴿لِكُلِ آمْرِي مِنْهُمْ يَوْمَهِذِ شَأَنُّ﴾ (١).

ثم بين مآل المكلّفين وانقسامَهُم إلى سعداء وأشقياء، وميّز الفريقين بما يبدو على وجوههم، فقال سبحانه: ﴿وُجُونٌ يَوْمَإِذِ﴾؛ أي: يوم إذْ ينشغل كلُّ إنسان بنفسه عن غيره ﴿مُسْفِرَةٌ إِنَّ أِي: مضيئة مشرقة مِن نور الإيمان والعمل الصالح، ﴿مَاحِكَةٌ ﴾؛ أي: فرحة لما رأت مِن كرامة الله لها ورضوانه ﴿مُسْتَشِرَةٌ إِنَّ ﴾؛ أي: مُتَمكّنٌ منها البِشْرُ والسُّرور، والوجْهُ مرآة القلب.

قال سبحانه: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ البُعداء المخصوصون بهذا الوصف ﴿ مُمُ الْكَفْرَةُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَ اللَّهُ مَا ذلك.

وفيما ذُكر مِن صفة وجوه الفريقين نوعُ مقابلة؛ لأن الإسفار والاستبشار في وجوه المؤمنين يقابل ما في وجوه الكفرة من الغبرة والقترة، وقيل: إن في الآيات احتباكًا؛ فإن ذكر الإسفار والاستبشار في المؤمنين يدل على الحزن والخوف في الكافرين، وذِكْر الغبَرة والسواد في الكافرين يدل على البياض والإشراقِ في وجوه المؤمنين.

## 🏶 الفوائد والأحكام:

١ ـ التعقيب بذكر بعض مشاهد القيامة بعد ذكر أدلة وقوعها .

٤ - انقطاعُ الصّلات والأنسابِ التي كانت بين النّاس في الدُّنيا
 ﴿ فَلا آنسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَبِنِ وَلَا يَسَاءَلُونَ ﴿ إِلَى اللَّهُ اللّلْهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللللَّا الللَّا الللَّا الللَّا اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللللَّا ال

من بعض؛ فرار أقرب القرابات بعضهم من بعض؛ فرار الأخ من أخيه،
 والابن من أمّه وأبيه، والزّوج مِن زوجِه، والأبِ من بنيه.

٦ ـ أنه لا ينفع أحدًا في هذا اليوم ولا ينجيه من عذاب الله إلا عَمَلُه برحمة الله.

٧ ــ انشغال كلِّ أحد في ذلك اليوم بشأن نفسه عن غيره، ولو كان أقرب قريب.

٨ \_ تشبيه حال المنشغل بنفسه عن سؤال غيره بالمستغنى عنه.

٩ ـ تمايز السُّعداء والأشقياء بمظاهرهم يوم القيامة.

١٠ ـ أن السعداءَ وجوهُهُم مُبيضَّةٌ يعلوها النور والسرور والبشر.

١١ ـ أنَّ الأشقياءَ وجوهُهُم مسودة تعلوها غبرة وظلمة.

١٢ ـ أنَّ سببَ ذلك كفرُهُم بالله ورسله، وفجورُهُم باقتراف سيِّئ الأعمال.

١٣ ـ أنَّ سببَ السّعادةِ الإيمانُ والعملُ الصالح، كما تقتضيه المقابلة بين وجوه السعداء والأشقياء.

18 ـ تركُ التَّعرضِ في الآيات لعُصاة الموحِّدين؛ لأنهم مُخلِّطون، وفي ذلك إِطْماعٌ لهم وترهيب، وهم تحت مشيئة الله؛ إنْ شاء عذَّبهم، وإن شاء غَفر لهم، وليس في هذا التَّرك حُجَّةٌ للمُرجئة ولا للخوارج، وقد دلَّ القرآنُ والسُّنة على أنهم فريقٌ ثالث، خلَطوا عملًا صالحًا وآخرَ سيئًا، فقام بهم مُقْتضي الثَّوَاب ومُقتضي العقاب.





هذه السورة نصفها في وصف أحداث القيامة وخراب العالم، ونصفها الآخَرُ في أمر الرسالة وثبوتِ صدق الوحي؛ فأمّا ما يتعلق بالقيامة فهو أربعَ عشرة آية، وقد ثبت مِنْ حديث ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: «من سَرَّه أنْ ينظر إلى يوم القيامة كأنه رَأْيُ عين فلْيقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»(١).

## الأيات:

وَإِذَا ٱلشَّمَسُ كُورَتَ ۞ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتَ ﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتَ ۞ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ شَجِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْمَوْءُ,دَهُ سُهِلَتْ ۞ بِأَيْ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتِ ۞ وَإِذَا ٱلشَّمَانُهُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ شَعِرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّلْمِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

#### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿إِذَا ٱلثَّمْسُ كُوِرَتُ ١٠٠٤ أِي: لُفَّت وجُمع بعضها إلى بعض، حتى ذهب ضوءُها، كما تُكوَّر العِمامة على الرأس، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ أَنكَدَرَتْ ﴿ أَي: انقضَّت وتساقطت من السماء، فذهب نورها، كما

<sup>(</sup>١) أخرجه أحمد (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣)، وقال: "حسن غريب"، وقال ابن حجر "فتح الباري» (٨/ ٦٩٥): "حديثٌ جَيّد»، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح».

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكُوْلِكُ أَنتُرَتْ ﴿ ﴾ [الانفطار]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا النَّهُومُ مُلْمِسَتْ ﴾ [المرسلات].

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِرَتُ ﴿ عَن أَماكنها فكانت سرابًا، ﴿ وَإِذَا ٱلْحِسَارُ عَلَى حملها عشرةُ أشهر، وهو عُطِلَتَ ﴿ وَهِ النّوق الحوامل التي مرّ على حملها عشرةُ أشهر، وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السّنة، جمع عُشَراء؛ مثل: نِفاس جمع نُفَساء، ولا نظير لهما في اللغة، ﴿ عُطِلَتُ ﴿ الله الله الله عند العرب، فلا أهلُها، وخُصت العشار بالذكر؛ لأنها أنفس الأموال عند العرب، فلا تعطل إلا من شدة الهول.

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ ﴾ جمع وحش، وهو غير المستأنس مِن حيوان البَرِّ، والمراد جميع الدواب، ﴿ حُشِرَتَ ﴿ فَيَ الْيَ : جمعت ثم أميت، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتُ ﴿ فَي : أُوقدت فصارت نارًا، مِن قولهم: سجَرتُ الْبِحَارُ سُجِرَتُه ؛ إذا أحميتَه، ومنه قوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْخَيِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ الْبَعْرُونَ ﴿ فِي ٱلْخَيِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ الْبَعْرُونَ ﴿ وَهَٰ الْمُحَارُونَ فَيلَ الْبَعْثِ .

ثم ذَكَر ما يكون بعد البعث، فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلنَّفُوسُ زُوِجَتَ ۞ ﴾ ؛ أي: قُرن كلُّ نظير بنظيره، فيُضَم الصّالحُ إلى الصالح، والفاسقُ إلى الفاسق، كما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمُ أَزْوَجًا ثَلَاثَةً ۞ ﴾ [الواقعة]، وقال سبحانه: ﴿ أَخْتُرُوا اللَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ ﴾ [الصافات].

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْهُ دَةُ سُلِلَتُ ﴿ إِنَ الطَفَلَةِ المَدَفُونَةُ حَيَّةً، وَكَانَ أَحِياءً مِنَ العرب في الجاهلية يقتلون البنات بدفنهن في التراب خوف الفقر أو العار، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَدَكُم مِنَ إِمْلَوَ ﴾ [الانعام: ١٥١]. ﴿ وَأَي نَشُلُوا أَوْلَدَكُم مِنَ إِمْلَوَ ﴾ [الانعام: ١٥١]. ﴿ وَأَي نَشُلُوا أَوْلَدَكُم مِنَ المَدَوِّدَةُ وَلَا نَالَ المُووَدةُ لَم قُتلتِ وَدُفنتِ حَيَّةً؟ فلا ذنب لها في الحقيقة، ولكن في ذلك السؤال توبيخٌ لقاتلها وتقريع، فإنَّ المجنيَّ في الحقيقة، ولكن في ذلك السؤال توبيخٌ لقاتلها وتقريع، فإنَّ المجنيَّ

عليه إذا سئل بحضور الجاني عن سبب الجناية كان ذلك أدعى لتبكيته، وأكملَ في افتضاحه. وقريبٌ من هذا سؤال عيسى الله عمّن عبدوه لتبكيتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَلِعِيسَى ابْنَ مَرّيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنّاسِ الّجَيْدُونِ وَأُمِّى إِلَىٰهَ يِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَلنَكَ ﴾ الآية [المائدة: ١١٦].

﴿ وَإِذَا اَلْشُعُفُ نُشِرَتَ ﴿ هِ صحائف الأعمال، تنشر عند الحساب، أي: تفتح وتبسط لتقرأ بعد أن كانت مطوية بموت صاحبها، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلِّ إِنسَنِ أَلْزَمْنَكُ طُكَيِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِينَكَةِ كَما قال تعالى: ﴿ وَكُلِّ إِنسَنِ أَلْزَمْنَكُ طُكِيرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِينَكَةِ كَما قَال تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاةُ كُشِطَتَ ﴿ وَالْحَالَ عَلَى الإسراء]، ﴿ وَإِذَا السَّمَاةُ كُشِطَتَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

﴿ وَإِذَا ٱلْجَعِمُ سُعِرَتُ ﴿ اَي: أوقدت إيقادًا شديدًا، والتشديد في ﴿ سُعِرَتُ ﴿ اللهِ للمبالغة، ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَةُ أُزْلِفَتُ ﴿ اَي: قُرِّبت لأهلها، كما قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجُنَةُ لِلْمُنَّقِينَ ﴿ آلِهُ الشعراء]، ولم يذكر بروز الجحيم في مقابل إزلاف الجنة، بل ذكر بدله التسعير وهو أشد تهويلًا من ذلك، وتكرار (إذا) في الآيات لتأكيد التهويل.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن أحداث القيامة تشمل العالم العلوي والسفلي.

٢ - من هذه الأحداث تكوير الشمس، أي: جمع بعضها إلى بعض
 وذهاب ضوئها.

٣ ـ انكدار النجوم بتساقطها وتغيرها وطمس ضوئها.

٤ - تسيير الجبال عن أماكنها بعد رسوها وتباتها.

ترك نفائس المال لعظم الهول، ومنها العشار، وهي الإبل
 الحوامل التي أوشك وضعها للحمل.

٦ \_ حشر الوحوش، وهي البهائم، أي: جمعها لموتها.

٧ - تسجير البحار، أي: إيقادها نارًا، وهذا أولى ما فسّرت به.

٨ ـ قرن النفوس كل مع شكله.

٩ \_ سؤال الموؤدة عن سبب قتلها؛ توبيخا لقاتلها.

ولا دلالة في الآية على حُكْم الموؤودة: أهي في الجنة أم في النار، خلافًا لمن فهم مِنَ الآية أنَّ أطفال المشركين في الجنة.

١١ ـ تحريم وأد البنات، والتنفير عنه، ووعيد فاعله.

١٢ \_ نشر صحائف الأعمال ليقرأ كلٌّ ما فيها مما أحصى عليه.

١٣ ـ كشط السماء، وهو زوالها بعد أن صارت واهية ومتلونة.

١٤ ـ الرد على الفلاسفة في زعمهم دوام هذا العالم، وأن
 الأفلاك ـ وهي السماوات ـ لا تقبل الانشقاق والزوال.

١٥ ـ تسعير النار، وهو إيقادها تهيئة لأهلها، وفي هذا وعيد لهم.

١٦ \_ تقريب الجنة حتى يراها أهلها، وفي هذا وعد وبشارة لهم.

١٧ \_ عِلْم الإنسان في ذلك اليوم بما أُحْضر له من عمله.

١٨ \_ إحصاء أعمال العباد، ثم وقفهم عليها.

١٩ \_ أن من هذه الأحداث ما يكون قبل البعث، ومنها ما يكون بعد البعث.

٢٠ ـ أنَّ هذه الأحداث العظام بفعل الله تعالى. وبناء هذه الأفعال
 للمفعول للعلم بالفاعل، وليتحقق نظم الكلام.

ولما كان الحديث في أول السورة عن المعاد وما سيكون من الأحداث يوم القيامة، وكان طريق العلم بذلك هو الوحي = أقسم الله على أن القرآن قول رسول كريم أمين من الملائكة، نزل به ليبلغه إلى رسول كريم من الناس، فقال سبحانه:

﴿ وَلَا أَقْيِمُ بِالْخُنُسِ فِي الْجُوارِ الْكُنْسِ فِي وَالْقِلِ إِذَا عَسَعَسَ فِي وَالصَّبَحِ إِذَا لَنَفُسَ فِي إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولِ كَرِيهِ فِي ذِي قُوْقٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينِ فَي مُطَاعٍ ثُمَّ لَيْفَسَ فِي إِنَّهُ لَقُولُ رَسُولِ كَرِيهِ فَي وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ اللَّهِينِ فَي وَمَا هُو عَلَى أَمِينِ فَي وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونِ فِي وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ اللَّهِينِ فَي وَمَا هُو عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَلَمِينَ فِي لِمَن شَاءً مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءُونَ إِلَا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ رَبُ الْعَلَمِينَ فِي لِمَن شَاءً مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءُونَ إِلَا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُ الْعَلَمِينَ فَي لِمَن شَاءً مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ فَي وَمَا نَشَاءُونَ إِلَا أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُ الْعَلَمِينَ فَي إِلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَمَا لَشَاءُونَ إِلّا أَنْ يَشَاءَ اللّهُ رَبُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّه

#### التفسير:

قوله: ﴿ فَلَا أَقْيمُ بِٱلْخُنَيِ ﴿ الفاء للتفريع، حيث فُرِّع على ما تقدم اثباتُ إنزال القرآن من الله الذي هو طريق الإخبار بذلك كله، وقوله: ﴿ فَلَا أَقْيمُ ﴾ ؛ أي: أقسم، و﴿ لا ﴾ زائدة لتأكيد القسم، على طريقة العرب في ذلك، قال امرؤ القيس:

فلا ـ وأبيكِ ـ ابنة العامريّ لايدَّعي القومُ أنّي أفِر (١) أي: وأبيكِ.

وقوله: ﴿ فَلاَ أَقْيِمُ بِأَلْخُنِسَ ﴿ النَّجُنَسِ: جمع خانس، كراكع ورُكّع، أي: النجوم التي تَخنِس بالنهار، أي يختفي ضوءُها لضوء الشمس، ﴿ أَلْحُوارِ ﴾ جمع جارية، وهي النجوم، ﴿ أَلْكُنُسِ ﴿ آلْكُنُسِ ﴾ جمع كانس، أي التي تكنِس؛ أي: تستتر في مغيبها، كما يأوي الظبي إلى كناسه، وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر، ففي الكلام مجاز تشبيهي.

﴿وَالْتِلِ إِذَا عَسَعَسَ ﴿ إِنَ الْلَفْظُ مِن قبيلِ الْمُفْسِرِين، وَهَذَا قُولُ أَكْثُرِ الْمُفْسِرِين، وقيل: ﴿عَسْعَسَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهِ اللَّفْظُ مِن قبيلِ الْمَشْتَرِك، ورُجح الثاني لمطابقته ما بعده، وهو قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَنفَسَ ﴿ إِنَا نَنفَسَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

وقوله: ﴿وَٱلصَّبِحِ إِذَا لَنَفَسَ ﴿ ﴾؛ أي: إذا طلع وانتشر ضوءُه، وأصل التنفس خروج النَّفَس من جوف الحيوان، شبه طلوعَ النور من

<sup>(</sup>١) ديوانه (١٥٤).

المشرق قليلًا قليلًا بخروج النَّفَس من الجوف شيئًا فشيئًا، ثم اسْتُعير اللفظ الدَّال على المشبه به للمشبه.

وإقسامه تعالى بهذه المخلوقات العظيمة؛ لما فيها من الدلالة على بديع حكمته تعالى وعظيم قدرته، وعِظَمُ المقسم به يدل على عِظَمِ المقسم عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيرٍ ﴿ اللهِ ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيرٍ ﴿ اللهِ ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ أَي القرآن \_ وهو معلوم من السياق، وإن لم يجر له ذكر \_ ﴿ لَقَوّلُ رَسُولٍ كَرِيرٍ ﴿ اللهِ هو جبريل ﴿ اللهِ إضاف القول إليه؛ لأنه الذي نزل بالقرآن، فإضافة القول إليه إضافة تبليغ، ووصفه بالرسول لإفادة ذلك، بالقرآن، فإضافة القول إليه إضافة تبليغ، ووصفه بالرسول لإفادة ذلك، ﴿ كَرِيمٍ عند ربه، وكريمٍ في خُلُقه وفي خَلْقه، فهو حسَنُ الأخلاق بهيُ الطلعة، كما قال تعالى: ﴿ وَوَ مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿ النجم]، أي: دُو منظرٍ حسَن، في أحد التفسيرين.

﴿ وَ عُلَيْهُ عَظَيمةٍ على كل ما يُؤمر به، وقد وصفه الله في سورة النجم بأنه شديد القوى، ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينِ ﴿ الله الله عليه النجم بأنه شديد القوى، ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينِ ﴾ أي: ذي منزلة عالية وشرف عند الله عَلَيْه، و(مَكِين) صفة مشبهة مِن مَكُن فلانٌ يمكُن فهو مكين، من باب كرُم، و(ذو العرش) هو الله عَلى أي: صاحب العرش، والعرش هو أعلى المخلوقات وأوسعُها، موصوفٌ بالمجد والكرم والعرش هو أعلى المخلوقات وأوسعُها، موصوفٌ بالمجد والكرم والعظمة، وهو فوق السماوات؛ كالقبة، والله فوق العرش، والعندية عندية مكان، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٦].

﴿ مُطَاعِ ثَمَ ﴾؛ أي: مطاع هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة، ﴿ أُمِينِ ﴿ أُمِينِ ﴿ أُمِينِ ﴿ أُمِينَ كُمَا قال سبحانه: ﴿ فَنَزَلَ بِهِ ٱلرَّوْحُ ٱلْأَمِينُ ﴿ الشعراء].

ولما وصف الله الرسول مِن الملائكة جبريلَ عَلِيه بهذه الأوصاف

الجليلة نزّه الرسول من البشر عما وصفه به المشركون، فقال سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم ﴾؛ أي: محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا عطف على جواب القسم، أي: أقسم بالأشياء المذكورة إنَّ صاحبكم ليس ﴿بِمَجْنُونِ شَ ﴾ كما تفترون، وفي إضافة الصحبة إليهم تكذيب لهم، فهو إشارة إلى أنهم أدرى الناس برجاحة عقله وأمانته ومحاسن شمائله؛ إذْ أقام بينهم في مكة أربعين سنة قبل النبوة، وكانوا يلقبونه الأمين.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ ﴾ اللام موطئة للقسم، أي: والله لقد رأى صاحبُكم محمدٌ جبريلَ على الصورة التي خلق عليها، وله سِتُّمِئةِ جناح، سادًّا عُظْمَ خَلْقه ما بين السماء إلى الأرض ﴿ إِلْأَنْقِ ٱلْبِينِ ﴿ ﴾؛ أي: بأفق السماء الأعلى البين الواضح، وذُكر أنه من جهة المشرق.

﴿ وَمَا هُوَ ﴾؛ أي: وما محمد ﷺ ﴿ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾؛ أي: على الوحي الذي جاءه من الله ﴿ بِضَنِينِ ﴿ الله ﴾ بالضاد المعجمة، أي: ليس ببخيل؛ مِن الضّن \_ بالكسر \_ بمعنى البخل، فلا يبخل عليه الصلاة والسلام بما عنده من الوحي، ولا يُقصِّر في التبليغ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب (بظنين) مِن الظّنّة؛ بالظاء المشالة، أي: ليس بمتهم على الوحي، فلا ينقص منه ولا يزيد فيه، واختلاف معنى الكلمة في القرآن باختلاف بعض حروفها في القراءات معدودٌ من بلاغة القرآن، حتى تكون الآية على القراءتين بمنزلة آيتين.

﴿وَمَا هُوَ﴾؛ أي: القرآن، ﴿بِفَوْلِ شَيْطَنِ تَجِيمِ ﴿ الْهِ الْهِ الْهِ الْهِ الْهِ الْهِ الْهِ الْهِ الْهُ ال شيطان مرجوم مبعد عن الرحمة، بل هو كلام رب العالمين، وفي هذا رد لقولهم: إنه سحر وكهانة.

﴿ فَأَيْنَ نَذَهَبُونَ ١٩٤٠ أَيْ: فأيَّ طريق تسلكون بعد هذا القرآن؟! وفي

الاستفهام استضلال لهم وتوبيخ، ﴿إِنَّ هُوَ﴾؛ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ الْمَالِينَ ﴿ أَي: تذكير لهم وواعظ يعظهم بكل ما ينفعهم من أمور الدنيا والآخرة، وهو من التعبير بالمصدر عن اسم الفاعل، ﴿لِمَن شَآهَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿ هُوَ مَن التعبير بالمصدر عن اسم الفاعل، ﴿لِمَن شَآهُ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ هذا بدلُ بعض مِنْ كُلّ، فهو تخصيصٌ بعد تعميم، أي: إنما يتعظ بالقرآن من أراد الاستقامة على الإيمان والعمل الصالح، وفي هذا حتُّ على طلب أسباب الهداية، ﴿وَمَا نَشَآهُونَ الاستقامة والإيمان، ولا تقدرون على ذلك ﴿إِلَّا أَن يَشَآهُ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ إِلَّا أَن يَشَآهُ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ أَن يَاللَّهُ مَا اللَّهِ وَمَلْكُهِ، فله الملك أي: إلا بمشيئة الله تعالى، الذي هو ربُّ كلّ شيء ومليكُه، فله الملك والتدبير لأمر العبيد، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وهو الحكيم العليم.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ \_ أن من صفاته تعالى الفعلية الإقسام.

٢ ـ أن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله.

٣ ـ إقسام الله بالخُنس، وهي النُجوم إذا اختفت بالنهار، لدلالة ذلك على قدرته سبحانه.

إن النجوم تجري، أي تدور وتنتقل من الشرق إلى الغرب، وذلك من دلائل قدرته سبحانه، وقيل لها كُنَّس؛ لأنها إذا غربت تغيب عن الأنظار، فكأنها دخلت في كِناس لها، كالظبي إذا أوى إلى كِناسه.

٥ ـ إقسام الله بالليل إذا عسعس؛ أي: أقبل، وقيل: أدبر. وكُلُّ منهما آيةٌ على قدرته سبحانه، ونعمةٌ منه على عباده.

٦ \_ إقسام الله بالصبح إذا انشق في ظلام الليل يبشر بالنهار.

٧ ـ أن الليل والنهار والإصباح والإمساء من آيات الله ونعمه العظيمة.

٨ ـ أن الغاية من هذه الأقسام تصديق الوحي الذي جاء به الرسول
 من الملائكة، وهو جبريل شيراً.

٩ ـ أن الذي جاء بالقرآن ونزل به على الرسول على هو جبريل على .

١٠ جواز إضافة القرآن إلى الرسول من الملائكة، وهي إضافة تبليغ لا إضافة ابتداء، والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا،
 لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا.

۱۱ ـ أن جبريل هو الرسول الموكل بالوحي، والله يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس.

١٢ \_ عظم منزلة جبريل عبد الملائكة، فهو أفضلهم.

۱۳ ـ علو قدر جبريل عند الله، لقوله: ﴿ وَفِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينِ ﴾.

١٤ ـ أن جبريل ﷺ يأمر الملائكة بما أمره الله به فتطيعه الملائكة.

10 ـ ثناء الله على جبريل بسبع صفات؛ وهي: الرسالة، والكرم، والقوة، والقرب من الله، والمنزلة العالية، والطاعة، والأمانة. والكرم هو حُسن الصورة وحسن الخُلُق، والقوة ضد الضعف، وقد وصف جبريل في سورة النجم بأنه شديد القوى.

ومع هذه الصفات الجليلة لجبريل على الآيات دليل على تفضيل جبريل على النبي محمد على النبي محمد المناقة على الاقتصار في صفة النبي على الصفات السلبية الثلاث: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمُ

بِمَجْنُونِ ﷺ، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينِ ۞﴾، ﴿وَمَا هُوَ بِغَوْلِ شَيْطَانِ تَجِيمِ ۞﴾، وذلك لأمور:

١ ـ أن ما وُصف به جبريل عليه وصف به محمد عليه من الرسالة والكرم والطاعة والأمانة وعلو المنزلة عند الله.

٢ ـ أن نفي تلك الصفات جاء ردًا على المشركين الذين وصفوا الرسول بالجنون، وبأنَّ الذي يأتيه شيطان، وأنه ليس على يقين بما جاء به.

٣ - أن ما وُصف به جبريل من تلك الصفات العظيمة تأكيد لصدقه ﷺ، وأنه لم يتلق الوحي من شيطان بل من أفضل الملائكة، فتضمنت الآيات تقرير الحق ونفي الباطل.

١٦ ـ الرد على غلاة الرافضة الذين يزعمون أن جبريل خان، فحول الرسالة عن على عَلِيَّة، إلى محمد عَلِيَّة.

۱۷ ـ عِظم شأن المقسم عليه، وهو القرآن؛ لإقسام الله بعظيم آياته الظاهرة من إدبار الليل وبزوغ الفجر، وفي هذا ـ والله أعلم ـ إشارة إلى أن نزول القرآن بما فيه من الضياء كالفجر، وبه يدبر ليل الجهل، وأما إقسامه تعالى بالخُنَّس، وهي النجوم، فمناسبته أنها التي يُهتدى بها، وتُرجم بها الشياطين، والمعنيان متحققان في القرآن.

١٨ \_ فضل القرآن وعِظمُ شأنه، يدل لهذا ثناء الله على جبريل \_ وهو الموكل بتنزيل القرآن \_؛ فإنه لا يُوكَّلُ العظيم إلا بعظيم.

١٩ ـ تنزيه الرسول ﷺ عمَّا رماه به المشركون من الجنون.

٢٠ ـ تعيين الرسول ﷺ في هذا التنزيه، في قوله: ﴿ صَاحِبُكُم ﴾.

٢١ ـ رؤية النبي ﷺ لجبريل على هيئته التي خُلق عليها، له ستُمئة جناح قد سد الأفق، وهذه إحدى المرتين اللتين رآه فيها. والأخرى في

السماء ﴿ وَلَقَدُ رَوَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْكِيٰ ١ [النجم].

٢٢ ـ تلقي النبيِّ عِيَلِيُّ الوحْيَ عن جبريل عَلَيْهِ.

٢٣ ـ تنزيه الرسولِ عَلَيْ عن البخل بعلم الغيب الذي جاءه؛ لقوله:
 ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينِ ﴿ إِنَّ اللهِ عَلَى قراءتها بالضاد المعجمة.

٢٤ ـ أنه على يقين مما جاء به من العلم لا يظن ظنًا، لقوله: (بِظَنِيْن) على قراءتها بالظاء المشالة.

٢٥ ـ تنزيه القرآن عن تنزل الشيطان به، وأن يكون من قوله.

٢٦ ـ أن الشيطان مبعد عن رحمة الله وهداه، وهو معنى رجيم؛ أي: مرجوم.

٢٨ \_ تقرير القول الحق في القرآن بأنه تذكير للعالمين.

٢٩ \_ عموم رسالة محمد علي .

٣٠ \_ أن المنتفعين بالقرآن هم أهل الاستقامة.

٣١ \_ إثبات مشيئة العبد في الخير والإيمان، وكذلك الشر والكفر، والرد على الجبرية.

٣٢ ـ توقف مشيئة العبد على مشيئة الله، والردّ على القدرية.
 ٣٣ ـ إثبات عموم ربوبيته تعالى، فلا خروج لشيء عنها.







هذه السورة مكية، وقد ثبت عن النبي على أنه قال: "من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنّه رأي عينٍ فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انشقت (۱)، وسورة الانفطار متمحضة لشأن القيامة، وتقرير عقيدة البعث والجزاء، فإن المعنى إذا تكرر واختلفت صور عرضه ازداد رسوخًا في القلب، وحضورًا في الذهن.

وآيات السورة تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو خمس آيات (١ ـ ٥) في أحداث القيامة التي تسبق الجزاء.

الثاني: وهو سبع آيات (٦ ـ ١٢) في توبيخ المكذبين بالبعث، وذكر الحُجة عليهم بخلق الإنسان وتصويره، وتهديدهم بإحصاء أعمالهم عليهم.

الثالث: وهو سبع آيات (١٣ ـ ١٩) في ذكر الجزاء، ومصير المؤمنين الأبرار، ومصير المكذبين الفجار، وأنه لا يملك أحد لأحد شيئًا، وأن الأمر كله لله.

<sup>(</sup>١) تقدم تخريجه في تفسير سورة التكوير.

#### الآيات:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاتُهُ ٱلفَطَرَتُ ﴿ وَإِذَا ٱلْكُولِكِ ٱلنَّرُتُ ﴿ وَإِذَا ٱلْمِمَارُ فُجِرَتْ ﴿ وَإِذَا ٱلْمُحَارُ فُجِرَتْ ﴿ وَإِذَا ٱلْمُجُورُ بُعِيْرَتْ ﴿ وَإِذَا ٱلْمُجَارُ فُجِرَتْ ﴿ وَإِذَا ٱلْمُجُورُ بُعِيْرَتْ ﴾ [الانفطار].

#### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿ أِي: انشقت، والانفطار هو الانشقاق، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَتْ ﴿ وَالانشقاق، وانشقاقها للنزول الملائكة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَيْمِ وَنُزِلَ ٱلْلَتِهَكَةُ تَنزِيلًا للنزول الملائكة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَيْمِ وَنُزِلَ ٱلْلَتِهَكَةُ تَنزِيلًا الله قان].

وُوَإِذَا ٱلْكُوَاكِبُهِ؛ أي: النجوم التي في السماء وَانَنَرَتُ اللهُ؛ أي: تساقطت وتفرقت واختل نظامها، ووَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِرَتْ اللهُ؛ أي: فُجر بعضها في بعض، وزالت الحواجز التي بينها، فاختلط مِلْحُها بعذبها، ثم ذهب ماؤها، وأوقدت نارًا، كما قال تعالى: ووَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِرَتُ اللهُ وَالتكوير]، هذا حاصل ما جاء عن السلف في الآيتين.

وإذا حصلت هذه الأمور الأربعة التي بها ذهاب الدنيا وقبام الساعة، وهي: انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعثرة القبور = ﴿عَلِمَتَ نَفْسُ ﴾؛ أي: كلُّ نفس، وهذا جواب ﴿إِذَا﴾، ﴿مَّا

قَدَّمَتْ وَأَخَرَتْ ﴿ ﴾؛ أي: علمتْ جميعَ ما قدمت مِن الأعمال من خير أو شر، وما أخَّرته فلم تعمله، فينعم العاملون وييأس المفرطون.

وافتتاح السورة بـ(إذا) الشرطية مكررة مع أربعة من أحداث القيامة يشوِّق إلى معرفة الجواب؛ لأن النفوس تتطلع إلى معرفة جواب الشرط، حتى إذا أصابته استقر المعنى في النفس، مع ما يفيده تكرار (إذا) من تهويل ما دخلت عليه.

## ∰ الفوائد والأحكام:

١ ـ أن أحداث القيامة تشمل العالم العلوي والسفلي.

٢ ـ أن من الأحداث الغلوية انفطار السماء، وهو انشقاقها بعد أن
 كانت محكمة، وهذا أحد أحوالها، وأول ما يطرأ عليها من التغير.

٣ ـ أن السماء جِرم يقبل الانشقاق، لا كالهواء.

٤ ـ أن من أحداث القيامة انتثار الكواكب، أي: اختلال نظامها،
 وتفرق ذواتها.

٥ ـ أن البحار تفجر يوم القيامة، ويذهب ماؤها.

٦ ـ بعثرة القبور يوم القيامة، أي: إثارتها وشقها لبعث الأموات.

٧ ـ أن هذه الأحداث ـ والله أعلم ـ تقع على هذا الترتيب؛ أولها:
 انفطار السموات، وآخرها: بعث الأموات من القبور.

٨ - أَنْ كُلْ نَفْسَ يَوْمُ الْقَيَامَةُ تَعْلَمُ مَا قَدْمَتُ وَأَخْرَتُ مِنَ الْأَعْمَالُ، ومَا فَعْلَتُ وَمَا تَرْكَتُ مِنْهَا، كُمَا قَالُ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَيِلَتُ مِنْ خَيْرٍ فَعَلَتُ مِنْ مُتَوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٩ \_ إحصاء أعمال العباد عليهم، وعرضها عليهم في كتاب.

ولما أخبر الله عن أحداث القيامة والبعث والنشور خاطب الكافر بما فيه توبيخه وتقريعه وتذكيره بنعم الله عليه في خلقه، وفي ضمن ذلك التذكير بقدرة الله على البعث، فقال سبحانه:

#### 🞕 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلْإِنسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَقِكَ ٱلْكَوْمِ ﴿ إِنَّهُ أَلِي الْكَافِرِ الْمَكِية ؛ أَن الكافر المكذب بالبعث، كما هو الغالب في السور المكية ؛ أن الإنسان يقصد به الكافر، ونداؤه بهذه الصيغة ﴿ يَتَأَيُّهَا ﴾ ؛ للتنبيه إلى أهمية ما يأتي، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَقِكَ ٱلْكَوْمِ ﴿ إِنَّ ﴾ أَيُّ شيء خدعك وجرَّ أَكُ على الكفر بربك الكريم الكثير الخير؟! وهو \_ تعالى \_ الذي حقه أن يقابل بالطاعة والشكر، لا بالمعصية والكفر (١).

<sup>(</sup>١) رُفع لشيخنا الشيخ عبد الرحمٰن البراك سؤال عن معنى الباء في قوله: ﴿ رَبِّكِ ﴾، وقد أجاب شيخنا على عادته بجواب محرر، أحببت أن أتحف القراء به، وذلك لقلة مَن تعرض لهذه الباء من المفسرين بهذا التفصيل الذي ستراه.

يقول شيخنا في الجواب بعد المقدمة: «أما بعد: فالذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن تكون الباء في قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِكَ ٱلْكَرِيرِ ﴿ اللهِ تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ إِرَبِكَ ٱلْكَرِيرِ ﴿ اللهِ عنه خبيرًا، وعلى هذا تعالى: ﴿فَنْثَلَ بِهِ خَبِيرًا ﴿ إِللهِ قان]، أي: فاسأل عنه خبيرًا، وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِكَ ٱلْكَرِيرِ ﴿ إِنَّ اللهُ عَنْ ربك؟، أي: ما الذي خرّك عن ربك؟، أي: ما الذي خدّعك فصرفك عن ربك، فكفرت به وكذبت بوعده، وهو الذي خلقك فسوّاك فعدلك؟

وقد بين سبحانه أن الذي غرَّ الإنسان هو الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنُرَّنَكُم بِاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَدُوًّا فَا غَيْزُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر].

ويحتمل \_ والله أعلم \_ أن تكون الباء بمعنى (مِن)؛ فقد ذكر بعض أهل العرببة أن =

والخطاب وإن كان للمكذب فإنه يتناول المؤمن العاصي، كما كان السلف يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، والاستفهام للتوبيخ والإنكار، وكان مقتضى التوبيخ ذكر العقاب، ولكنه عالى \_ ذكر اسمه (الكريم) زيادةً في التوبيخ، فإن العاقل يقبح منه أن يعصي ذا النعماء عليه ومَنْ شأنُه الكرم.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف (الدال) مِن ﴿عَدَلَكَ﴾ وقراءة الجمهور بتشديدها.

﴿ فِي آَي صُورَةِ مَا شَآءَ رَكَّبَكَ ١٠٠ المعنى: ركَّبك في أيِّ صورة

الباء تأتي بمعنى (مِن)، وذكروه في بعض الآيات، كقوله تعالى: ﴿عَيْنَا بَثْرَبُ بِهَا عِبَادُ الْبَاهُ الْبَاهِ المسؤول عنها من هذا القبيل؛ الله المسؤول عنها من هذا القبيل؛ فيكون المعنى: أيُّ شيء غرك من ربك - أيها الإنسان - أكرمُه وإنعامه؟ أم حلمه وستره؟ كما يشعر به ذكر اسمه تعالى الكريم؛ فمن القبيح في العقل والدين أن يكون الإحسان سببًا للكفران بالجحد والإشراك.

فتبين مما تقدم أن الفعل (غرًّ) يتعدى إلى المفعول بنفسه، وإلى المعمول الذي بعده بالباء بمعنى (عن)، أو بمعنى (مِن)، وقد جاء في الشعر تعديتُه بمِن، كقول الكِنديِّ:

أَغَـرَكِ مني أَنَّ حُـبَكِ قَـاتِـلي وَأَنَكِ مهما تأمُري القَلبَ يَفْعَلِ وَاللهُ أُعلم. وصلى الله وسلم على محمد".

<sup>(</sup>۱) اختلف المفسرون والمعربون في إعراب هذه الآية وارتباطها بما قبلها، والأظهر \_ والله أعلم \_ أنها جملة مستأنفة؛ أي: ركبك الله أيها الإنسان في أي صورة شاءها، كما قال تعالى: ﴿هُو الَّذِي بُمَوْرُكُمْ فِي الْأَرْعَامِ كَيْفَ يَشَاهُ ﴾ [آل عمران: ٦]، وعلى هذا فإعرابها: الجار والمجرور (في أيِّ صورة) متعلق بالفعل (ركبك)، و(ما) صلة، =

شاءها مِن الصور المختلفة؛ من الطول والقصر واللون والذكورة والأنوثة، كما قال تعالى: ﴿ هُو اللَّذِي يُعَوِّرُكُمْ فِي اللَّارْحَامِ كَيْفَ يَشَآهُ ﴾ [آل عمران: ٦]، و﴿ مَا هُ قوله: ﴿ مَا شَآهُ ﴾ مزيدةٌ لتأكيد عموم الصورة.

وفي الآية: التنبيه إلى البعث، فمن كان قادرًا على ذلك بدءًا قدر عليه إعادة. ﴿ كُلَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿ كُلُ لكفار وزجر، أي: لا تؤمنون بالله ولا بالبعث، بل تكذبون بالدين، أي: بالجزاء والحساب، و(بل) حرف إضراب يفيد الانتقال من موضوع إلى موضوع. ومجيء ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ بصيغة المضارع يفيد تجدد التكذيب منهم وتكرره.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَنوظِينَ ﴿ الواو للحال، أي: والحال أن عليكم حافظين من الملائكة، يحفظون أعمالكم، كما قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿ إِنَا .

وكِرَامًا كَنِينَ شَهُ اِي: موصوفين بالكرم من كل وجه؛ في أفعالهم وأخلاقهم وفي خِلقتهم، ﴿كَنِينَ شَهُ اللهِ أي: يكتبون أعمالكم كلها، ويحصونها عليكم، فلا يزيدون فيها شيئًا ولا ينقصون منها، ويَعَلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ شَهُ اللهِ أي: يعلمون جميع أعمالكم، فلا يفوتهم مِن ذلك شيء، حتى النيّات وأعمال القلوب يطّلعون عليها، ومصداق ذلك ما ثبت في السُّنَة أن العبد إذا همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كُتبت له عشر حسنات، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كُتبت سيئة واحدة (۱۱).

<sup>=</sup> وجملة (شاء) صفة لـ (صورة)، والتقدير: في أي صورة شاءها سبحانه. فيكون معنى الكلام: ركبك الله فيما شاء من الصور، فالتعديل مشترك بين أجناس الإنسان وأفراده، والصور مختلفة، والله أعلم.

<sup>(</sup>١) كما في حديث ابن عباس ريجي عند البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (٢٠٧).

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ - توبيخ الله للإنسان المكذب بالبعث والجزاء على اغتراره
 بحلم الله وإمهاله.

٢ ـ تغليظ التوبيخ بتوجيه الخطاب للإنسان الكافر، وبذكر ربوبيته
 سبحانه وكرمه، وبدء خلقه للإنسان، وإحسان خلقه.

٣ ـ أن الكافر بالله مغرور من الشيطان ﴿ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْغَرُورُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّالَّ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّاللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّلْمُلَّا ال

٤ ـ إثبات ربوبيته سبحانه العامة.

٥ \_ أن من أسمائه تعالى الكريم، ومن صفاته الكرم بكل معانيه.

٦ ـ أن الله هو الخالق البارئ المصور للإنسان في رحم أمه ﴿ هُوَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى ال

٧ \_ أن مِن نِعم الله على الإنسان اعتدال قامته، وهو ما تفيده القراءتان في ﴿فَعَدَلُكَ ۞ بتشديد الدال وتخفيفها.

٨ \_ إثبات مشيئة الله.

٩ \_ أن مَرَدَّ الاختلاف في الصور في بني الإنسان إلى مشيئة الله.

١٠ \_ أن الله تعالى هو المركّب لخلق الإنسان، والمصور لصورته.

١١ \_ زجر المكذبين بالدين (وهو الجزاء).

١٢ \_ توكيل الله لبعض ملائكته في إحصاء عمل المكلفين.

١٣ \_ أن من أصناف الملائكة: الموكلين بحفظ أعمال العباد.

١٤ \_ فضل هؤلاء الملائكة، وثناء الله عليهم بحفظ ما وُكِّلوا به.

١٥ ـ ثناء الله على الملائكة بالكرم.

١٦ \_ أن حفظ الملائكة لأعمال المكلفين يكون بكتابتها.

١٧ \_ أن حفظ الملائكة لأعمال المكلفين صادر عن علم؛ لقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَقْعَلُونَ ﴿ آَلُهُ ﴾.

١٨ \_ علم الملائكة للكتابة، وقدرتهم عليها.

١٩ \_ فضل العلم بالكتابة.

٢٠ علم الملائكة الموكلين بالعباد بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة؛ حتى أعمال القلوب مِن الإرادات والعزمات، والهم بالحسنات أو السيئات.

٢١ ـ إثبات أفعال العباد، والردُّ على الجبرية؛ لقوله: ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿ يَعْلَمُونَ مَا
 تَفْعَلُونَ ﴿ ﴾.

ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لأعمال العباد ذكر أحوال العاملين، وما أعدَّ لهم من الجزاء خيرًا أو شرًّا، على اختلاف أحوالهم، وذلك عاقبةُ ما حفظته الملائكة وكتبوه، فقال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَهِى نَسِيمِ ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَهِى جَمِيمِ ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِينِ ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآيِينِ ﴾ وَمَا أَدْرَيْكَ مَا يَوْمُ ٱلدِينِ ﴾ أَلْمَرُ يَوْمَ إِلَيْنِ ﴾ أَلْمَرُ يَوْمَ إِلَهِ يَلَهِ ﴾ [الانفظار].

### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بَرِّ؛ وهم المؤمنون المتقون، الذي عملوا بطاعة الله واجتنبوا معصيته، ﴿لَفِي نَعِيمِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ وهم الكفار المجرمون المكذبون بيوم الدين ﴿ لَفِي

جَيِيرِ ﴿ الله الله عَلَى : في جهنم، وأصل الجحيم النار العظيمة المستحكمة، يقال: «جَمَتِ النَّار» تَجْحَمُ، فهي جاحمة وجحيم.

وهذا الوعد والوعيد للفريقين شامل لحالهم في الدنيا والآخرة، قال ابن القيم وَلَانَهُ: «قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمِ ﴿ وَإِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمِ ﴿ وَإِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي مَحِيمِ ﴿ وَإِنْ كَانَ تَمَامُهُ وَكُمَالُهُ وَظَهُورُهُ إِنْمَا هُو فِي الدارِ الآخرة، وفي البرزخ دون ذلك»(١).

﴿ يَصَّلُونَهَا ﴾ أي: يدخلونها ويقاسون عذابها ؛ ف (الصَّلْيُ) دخول النار مع ذوق حرِّها ، فالصَّلْي أخصُّ مِن الدخول وأبلغ في الوعيد ، ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ اللَّهِ عَنْهَا ﴾ أي: يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة العظيم الذي كذبوا به ، ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا ﴾ ؛ أي: عن الجحيم ﴿ يِغَايِينَ ﴿ اللَّهِ ﴾ ؛ أي: لا يغيبون عنها ، بل لا بد من دخولهم فيها ، وإذا دخلوها فلا يخرجون منها ، ثم لا ينقطع عنهم العذاب لا بخروج ولا بموت .

وفي هذا العرض للوعد والوعيد تقابل بين الأبرار والفجار وعاقبتهما من النعيم والجحيم.

ثم عظّم الله شأن ذلك اليوم الذي يجازَون فيه، فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَنكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ الله

<sup>(</sup>١) مدارج السالكين: (١/٢٢٣).

وقوله: ﴿ مُنَّمَ مَا آَدَرَاكَ مَا يَوَمُ ٱلدِّينِ ﴿ هَا هَا مَن السَرقي في الكلام، فهو تعظيم بعد تعظيم، وتهويل بعد تهويل.

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْشُ لِنَفْسِ شَيْئًا ﴾؛ ﴿ يَوْمَ ﴾ قيل: منصوب على المفعولية بفعل محذوف، تقديره: أعني أو اذكر.

وقيل: بيان أو بدل من (يوم) في قوله: ﴿يَصُلُونَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿ هُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ وَهُ وَجَه حسن، ولا يحتاج إلى تقدير محذوف، ويكون قوله تعالى: ﴿ وَمَا آذَرَنكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿ اللَّهِ اعتراضًا بين الله الميدل لتعظيم ذلك اليوم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع (يوم) في قوله: ﴿يَوْمُ لَا تَعْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسِ شَيْئَا ﴾ على أنه خبرُ مبتدأٍ محذوف، أي: هو يوم . . . ، أو على البدل مِن (يومُ الدين) في قوله: ﴿وَمَاۤ أَدْرَكَ مَا يَوْمُ ٱلدِينِ ﴿ ﴾ .

ومعنى قوله: ﴿ وَيَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسُ لِنَفْسِ شَيْئًا ﴾ أي: في ذلك اليوم لا تقدر نفسٌ أن تنفع نفسًا بشيء، ولو قليلًا، ولا أن تدفع عنها شيئًا، وهذا عامٌ في كل نفس، حتى الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله، ففي ذلك اليوم لا يستطيع أحدٌ أن ينفع أحدًا، ولهذا أكد المعنى بقوله: ﴿ وَٱلْأَمْرُ بَوْمَهِذِ لِنَهُ وحده، وليس لأحد سواه.

وتخصيص الأمر كلّه لله في ذلك اليوم مع أن الأمر كلّه لله في الدنيا والآخرة؛ لأن لبعض البشر ملْكًا وأمرًا في الدنيا، أما في الآخرة فلا أمر ولا ملك إلا لله وحده عَلا الله وشواهد هذا المعنى في القرآن كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ مَا لِكِ يَوْمِ الدِينِ ﴿ الفَاتِحة ]، وقوله: ﴿ وَلَهُ المُماكُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي الصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقوله: ﴿ وَلَهُ المُماكُ يَوْمَ يُنفَحُ فِي الصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وقوله: ﴿ الفَرقان: ٢٦].

وفي الآيات حض للإنسان على العمل الصالح الذي يكون سببًا

لنجاته في ذلك اليوم العصيب، مع التوكل على الله القريب المجيب، ﴿ فَاكْتُبُدُهُ ۗ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ الله [هود].

## ه الفوائد والأحكام:

١ \_ إثبات الجزاء على الحسنات والسيئات ثوابًا وعقابًا.

٢ - أن البِرَ - وهو الإيمان والعمل الصالح - سببُ النعيم والسعادة
 في الدنيا والآخرة.

٣ ـ أن الفجور ـ وهو الكفر والفسوق والعصيان ـ سببُ الشقاء
 والجحيم في الدنيا والآخرة.

٤ ـ أن صَلْيَ الفجار الجحيم ودخولَهم النار إنما يكون يوم القيامة.

٥ ـ أن مِن أسماء اليوم الآخر يومَ الدين، سُمي بذلك؛ لأن الدين
 هو الجزاء، وهو يوم الجزاء.

٦ - أن الفجار لن يَغيبوا عما أُعِد لهم مِن النكال في الجحيم، بل
 هم محضرون.

٧ ـ أن يوم الدين عظيم بأهواله.

٨ ـ تأكيد الخبر بذلك؛ لقوله: ﴿ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ ٱلدِينِ ﴿ اللَّهِ عَلَى مَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّا اللَّاللَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

9 \_ أنه لا يُغني أحدٌ في ذلك اليوم عن أحد، ولا يملك أحد نجاة أحد، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّقُواْ يَوْمًا لَا بَغْزِى نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدُلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ اللَّهِ لَهُ اللَّهِ لَهُ فَي الشَّفَاعَة ، لمن شاء من أهل التوحيد.

١٠ \_ أن الأمر كلَّه يوم القيامة لله، والأمر كله لله في الدنيا

والآخرة، لكن في الآخرة ليس لأحد شيء من الأمر أو الملك؛ كما في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَغْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءً لِمَنِ اللَّهُ مِنْهُمْ شَيْءً لِمَنِ اللَّهُ مِنْهُمْ شَيْءً لِمَنِ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءً لِمَنِ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءً لِمَنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ





سورة المطففين \_ وهي مكية على الأرجح، وهي ست وثلاثون آية \_ تضمنتِ الآياتُ الستُ الأولى وعيدَ المطففين، وتوبيخَهُم، وتقبيحَ عملهم، والحامل لهم عليه.

كما تضمنتِ الآياتُ الإحدى عشرة بعدها ذكرَ وعيدِ الفجار، وهم الكفار المكذبون بالبعث وبالآيات، وفيها وصف حالهم ومصيرهم يوم القيامة .

وتضمنت الآيات الإحدى عشرة بعدها بشارة الأبرار بعلو المنزلة وبالنعيم المقيم، وبالنظر إلى ربهم الكريم، فنعْمَتِ العاقبة، وذلك الفوز العظيم.

وتضمنت الآياتُ الثمانُ الأخيرة العودَ إلى الدُّنيا بذكر حال المجرمين (وهم الكافرون) مع المؤمنين في الدنيا؛ مِن ضحكهم منهم، وتغامزِهم إذا مرَّ بهم المؤمنون، وفرحِهم بما كان منهم من السخرية والتنقص للمؤمنين.

وفي الآيات موازنة بين حال الكفار مع المؤمنين في الدنيا، وحال المؤمنين مع الكفار في الآخرة، فبين الحالين تقابل؛ فالمضحوك منه في الدنيا هو الضاحك في الآخرة، والضاحك في الدنيا هو المضحوك منه في الآخرة.

#### الآيات:

﴿ وَثِلُّ لِلْمُطَفِفِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

هذه الآيات تضمنت ذم المطففين، والدعاء عليهم، وبيان المراد بهم، وتوبيخهم على فعلهم القبيح، وقد روى النسائي في الكبرى وابن ماجه وغيرهما عن ابن عباس ولي قال: لما قدم نبي الله الله المدينة، فكانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله الله الله الله المكينة المكينة الكيل بعد ذلك (۱).

وقد استدل بهذا الأثر من ذهب إلى أن السورة مدنية.

وذهب ابن مسعود والضحاك وغيرهما إلى أنها مكية، ويدل لذلك أن ما تضمنته السورة من المعاني؛ من التكذيب بالبعث والاستهزاء بالمؤمنين مناسبٌ لحال الكافرين.

وقيل: إن السورة نزلت بين مكة والمدينة.

#### 🕸 التفسير:

﴿وَيِّلُ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿ إِلَى الله الله وعذاب شديد وخزي للمطففين، وأصل الويل الشر والهلاك، ﴿ لِلمُطَفِّفِينَ ﴿ إِلَى الله الله على الكيل والوزن، وأصل المُطفِّف هو الذي يأخذ الشيء الطفيف (أي: القليل التافه) بغير حقّ.

<sup>(</sup>۱) السنن الكبرى (۱۱۷٦٦)، وابن ماجه (۲۲۲۳)، وصححه الحاكم (۲۳۳)، وابن حبان (۱۸۱/۲۱). وقال في «مصباح الزجاجة» (۱/۱۸۱) على سند ابن ماجه: «هذا إسناد حسن؛ علي بن الحسين بن واقد مختلف فيه، وباقى رجال الإسناد ثقات».

وإذا كان هذا الوعيد واقعًا على التطفيف، وهو أخذ الشيء القليل، فما بالك بمن يأخذ الكثير، ويسطو على الصغير والكبير؟!

ثم بيَّن حالهم وما استحقوا به الوعيد، فقال: ﴿ الَّذِينَ إِذَا الْكَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾؛ أي: إذا قبضوا الذي لهم على الناس بالكيل ﴿ يَسْتَوْفُونَ ﴿ اللَّهُ ﴾؛ أي: أخذوه وافيًا كاملًا لأنفسهم، فالاكتيال أخذ الحق من الغير، ويتعدى فعله بـ (مِن)، يقال: اكتلتُ منه الطعام؛ إذا أخذتَه منه، وعدي بـ (على) في الآية لأن المقبوض حقٌ على المأخوذ منه.

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَرَنُوهُمْ ﴾؛ أي: كالوا للناس أو وزنوا لهم ﴿ يُغْيِرُونَ ﴿ كَالُولُ اللهِ الكيل والوزن، يقال: كِلتُك وكِلتُ لك، ووزنتك ووزنت لك، كما يقال: نصحتك ونصحت لك، فهذه الأفعال ونحوها تتعدى بنفسها، وتتعدى بحرف الجر.

وفي قوله: ﴿ اللَّذِينَ إِذَا الْكَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿ فَ قَدْ يَقَالَ: إِنَّهُ لَا عَيْبَ على على مَن أَخَذْ حَقَّه وافيًا؟ فيقال: إن الوعيد في الآيات على المجموع؛ فهم في حال الأخذ يستوفون، وفي حال الإعطاء يبخسون وينقصون، فهؤلاء متوعدون بالعذاب العظيم.

ذُكِرَ أَن أَعرابيًا قال لأحد الملوك: "قد سمعتَ ما قال الله في المطففين"، أراد بذلك أن المطفف قد توجَّه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك، وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن؟!

وْأَلَا يَظُنُّ أُولَتِكَ أَنَّهُم مَبْعُونُونَ ﴿ أَي : ألا يعلم أولئك المطففون اللؤماء أنهم مبعوثون، والهمزة للإنكار عليهم وتوبيخهم، والتعجب من حالهم، وأشار إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد ذمّا لهم، ولبعد مرتبتهم في الشر.

وقيل: الظن في الآية على بابه، وأن مجرد ظن البعث كافٍ في مجانبة هذا الخلق الذميم.

﴿أَنَّهُم مَّنعُونُونَ ﴿ لِيَوْم عَظِيمٍ ﴿ أَي: يبعثون في يوم عظيم، وهو يوم القيامة، فيجازون بأعمالهم، وفي ذلك تهديد شديد لهم، ووصفه تعالى لذلك اليوم بالعظيم؛ لما يكون فيه من الخطوب والأهوال التي يشيب لها الولدان؛ من الحساب، والجزاء، والجنة، النار، والصراط، والميزان، ودنو الشمس من الخلائق حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه، فهو \_ ورب الكعبة \_ يوم عصيب، ويوم عظيم.

وإن شيئًا عظّمه الله فلا بد أن يكون في غاية العظم، ولهذا حذر الله عباده وأنذرهم ذلك اليوم، ووصفه بأوصاف كثيرة، وذكر ما يكون فيه، كقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءُ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءُ عَظِيمٌ ﴿ إِنَّ ذَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءً عَظِيمٌ ﴾ [الحج] الآيات إلى قوله: ﴿ وَلَكِكَنَ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ ﴿ وَلَكِكَنَ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ ﴿ وَلَكِكَنَ عَذَابَ ٱللهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج].

وقوله وَ الله وَ السورة: ﴿ وَوَمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِ الْعَلَمِينَ ﴿ اَيَ اَلْعَالَمِينَ ﴾ أي: يقومون من قبورهم للحساب بين يدي الله عَلا ، المطففون وغيرهم، ﴿ لِرَبِ الْعَلَمِينَ ﴿ اَي: لأجل أمره تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ أُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعُوهَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَعَرُّجُونَ ﴾ [الروم]، وقال: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَا صَيْحَةً وَنِهِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُعْضَرُونَ ﴾ [الروم]، وقال: ﴿ إِن كَانَتْ إِلّا صَيْحَةً وَنِهِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُعْضَرُونَ ﴾ [الروم].

وذَكر تعالى اسمَهُ بأنه ربُّ العالمين؛ لأنه يدل على أن العباد مملوكون له، وأنه القاهر فوقهم، وأن مصيرهم إليه، فيَقْتص مِن الظالم للمظلوم، فلا يَضيع شيءٌ من حقوق العباد، وذلك من آثار مقتضى ربوبيته لخلقه.

وهذه الآيات وإن كانت نازلة في وعيد المطففين فإنها عامَّة؟

فتشمل كلَّ مَن يظلم الناس بأكل أموالهم، وبخس حقوقهم، ولا سيما المستضعفين؛ كاليتامي، فكلُّ أولئك ينتظرون هذا اليوم العظيم.

قال الزمخشري: "في هذا الإنكار، والتعجيب، وكلمة الظّن، ووصف ذاته بربّ ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته بربّ العالمين = بيانٌ بليغٌ لعظم الذَّنْ وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان مثل حاله؛ مِن الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السَّويَّة والعدل في كلِّ أخذٍ وإعطاء، بل في كل قول وعمل "(۱).

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ \_ جواز افتتاح الكلام بوعيد الظالمين.

 ٢ ـ الدعاء على المطففين بالويل، وهو الهلاك والدمار، وهذا يتضمن وعيدهم.

٣ ـ تحريم التطفيف في المكيال والميزان، وهو نقصهما، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا نَنقُصُوا الْمِكِيَالُ وَالْمِيزَانَ ﴾ [هود: ٨٤]، وذلك من قِبَل المؤدِّي للحق، وهو الإخسار في قوله: ﴿ يُخْسِرُونَ ﴾؛ أي: يُخسِرون مَن كالُوا لهم أو وزنوا لهم بالنقص من حقهم في المكيل والموزون.

٤ ـ قُبح محاباة النفس مع ظلم الغير، فيستوفي حقَّه، ويُنْقِص حقَّ غيره.

٥ \_ مدح العدل في القضاء والاقتضاء.

٦ ـ التخويف بيوم البعث؛ للزجر عن التطفيف.

٧ \_ إثبات البعث.

<sup>(</sup>١) الكشاف: (٦/ ٢٣٦).

٨ ـ التوبيخ على إنكار البعث.

٩ \_ أن يوم القيامة يوم عظيم لما فيه من الأمور العظام.

١٠ أن الناس يقومون مِن قبورهم يوم البعث، ولهذا سمي يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿ اللَّهِ الزمر].

ان الناس يقومون من قبورهم استجابة لدعوة الله رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿ أُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعُوةً مِنَ ٱلأَرْضِ إِذَا أَنتُر عَاكُمْ دَعُوةً مِنَ ٱلأَرْضِ إِذَا أَنتُر عَعَرَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُر عَعَرَةً مِن الروم].

١٢ ـ إثبات ربوبية الله العامة.

١٣ \_ الرَّدُّ على منكري البعث.

١٤ ـ الرَّدُ على أصحاب وحدة الوجود؛ لقوله: ﴿ لِرَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ إِلَى الْعَلَمِينَ ﴿ إِلَى الْحَالَقِ وَالْمَخْلُوقِ.
 حيث فرَّق بين الخالق والمخلوق.

#### **@ E @ E**

ولما ذكر يوم القيامة أتبعه بذكر ما يكون فيه من مصير الفجار والأبرار، وابتدأ بالفجار؛ لأن الحديث عنهم من أول السورة، فقال:

﴿ كُلَّا إِنَّ كِنْبَ ٱلْفُجَارِ لَهِى سِجِينِ ﴿ وَمَا أَذَرَاكَ مَا سِجِينٌ ﴿ كَنَبُ مَرَقُومٌ اللَّهِ وَمَا يَكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُ مُعْدَدٍ أَثِيمٍ وَمَا يَكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُ مُعْدَدٍ أَثِيمٍ إِنَّا ثُنْلَ عَلَيْهِ ءَايَنْنَا قَالَ أَسَلِطِيمُ ٱلْأَوْلِينَ ﴿ كُلَّ بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوجِم مَّا كُونُوا يَكْسِبُونَ ﴿ كُلَّ بِنَالُ عَلَيْهِ عَالَيْهُ اللَّهُ إِنَّا ثَلْقَ عَلَيْهِ عَالَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلْوهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَي

## 🛞 التفسير:

قوله: ﴿ كُلَّا ﴾؛ أي: حقًّا، وجَعَلَها بعضُهم للردع، والأول أظهر الأنها موطّئة للخبر المؤكّد بعدها: ﴿ إِنَّ كِنْبَ ٱلْفُجَارِ ﴾ ؛ أي: مصيرَهُم

المكتوب ﴿ لَفِي سِبِّينِ ﴿ إِنَّ أَي: في أسفل سافلين، أي: في قعر جهنم، بدليل مقابلته بعليِّين، وجاء في حديث البراء بن عازب والله في المحتضر: "يقول الله والله وال

و وسِيِّينِ الله على ذلك المكان المظلم الضيق، مأخوذ من السَّجْن؛ الذي هو الحبس والتضييق، وهو على صيغة المبالغة (فِعِيل) للدلالة على تناهيه في الضِّيق والظلمة، وأنه لا رَوح فيه ولا سَعة، ولهذا عظم الله شأنه بالاستفهام، فقال: ﴿وَمَا أَذَرَنكَ مَا سِيِّينٌ ﴿ الله الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى هذا البحملة الاستفهامية معترضة، فعلى هذا لا يكون قوله: عَلَيْ الله عَلَى هذا لا يكون قوله: ﴿وَمَا أَذَرَنكَ مَا سِيِّينٌ ﴿ الله متعلق بوكِنبَ الفَجَارِ ﴾؛ أي: كتاب الفجار كتاب مرقوم، وهو كتابهم المكتوب فيه مصيرهم ﴿مَرْقُومٌ الله عَلَى الله

وَرَبِّلُ يَوْمَإِذِ لِلْمُكَذِبِينَ ﴿ أَي: عذاب عظيم في ذلك اليوم لهم، والتنوين في وَوَمَإِذِ تنوين عوض عن محذوف، أي: يوم إذْ يقوم الناس لرب العالمين، وآلَذِينَ يُكَذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿ اللَّهِ يَدِينَ فيه العباد، أي: يحم الحجزاء والحساب، وسُمي يوم الدين؛ لأن الله يَدين فيه العباد، أي: يجزيهم بأعمالهم، فيجب الإيمان بذلك اليوم إيمانًا جازمًا لا شك فيه، فمن كذب به أو شك فيه كفر.

<sup>(</sup>۱) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الحاكم (٩٣/١). وقال ابن منده في كتاب الإيمان (٩٣/٢): «هذا إسناد متصل مشهور ... وهو ثابت على رسم الجماعة»، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ اللّهِ الآثام وعظيمها، وإِلّا كُلُ مُعْتَدِ الله متجاوز حدود الله وأثيم الله عثير الآثام وعظيمها، وإذا نُنكَ عَلَيْهِ النّبُنك ؛ أي: القرآن، وأضاف الله الآيات إلى نفسه المقدسة؛ لأنها كلامه الذي أنزله، وقال أسَطِيرُ ٱلأَولِينَ الله ؛ أي: هذا المكذب حين تتلى عليه آيات القرآن قال عنها: أساطير الأولين، أي: حكايات الغابرين، فلا يوثق بها، ولا يعول عليها في شيء، فلا تكون من عند الله بزعمه، وفيه إنكار النبوة أيضًا، والأساطير غلب استعمالها في الأباطيل، مفردها أسطورة، فهذه أيضًا، والأساطير غلب استعمالها في الأباطيل، مفردها أسطورة، فهذه ثلاث صفات وصف بها هذا الأثيم المكذب بيوم الدين.

وقوله: ﴿ كُلُّ بَلْ رَادَ ﴾ قرأ حفص بسكتة خفيفة على لام ﴿ بَلْ ﴾ ؛ لتتبين اللام، وقرأ الجمهور بإدغام اللام في الراء بعد قلب اللام راءً ؛ لتقارب مخرجيهما، قال سيبويه: والإدغام أحسن (٢).

ثم قال تعالى: ﴿ كُلُّهُ ؟ أي: حقًّا ﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَ إِنِّهِ ؟ أي: يوم

(٢) الكتاب (٢/٤١٤) ط. بولاق.

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)؛ من حديث أبي هريرة الله الله الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يبعثون ﴿ لَمَحْجُوبُونَ ﴿ فَالْ يرونه بخلاف المؤمنين؛ فإنه يرونه تعالى بأبصارهم وينظرون إليه، قال الإمام مالك بن أنس تَخَلَقه في هذه الآية: لما حَجَب أعداء ه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، وقال الإمام الشافعي تَخَلَقهُ: لما حجب قومًا بالسخط، دل على أن قومًا يرونه بالرّضا(١).

ويحتمل أنَّ قائل ذلك هم الملائكة خزنة جهنم، وليس ثمَّة ما يقتضي تعيين القائل، ولكن المقصود هو القول نفسه، فظهر بذلك أنهم يجتمع عليهم العذابان؛ الجسدي بالنار، والنفسي بالحجب والتوبيخ، نعوذ بالله من غضبه وعقابه.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ تأكيد وعيد الفجار.
- ٢ \_ الإشارة إلى أن المطففين من الفجار.
- ٣ \_ أن لكل فاجر كتابًا يتضمن ذكر مصيره.

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٩).

٤ ـ أن الفجور ضد البر، للمقابلة بين الفجار والأبرار. كما في سورة الانفطار.

- ٥ ـ أنَّ مصير الفجار أسفلُ سافلين.
  - ٦ ـ أن سجين أسفل سافلين.
    - ٧ ـ تهويل أمر سجين.
  - ٨ ـ أن من أسماء النار سجين.
- ٩ ـ أن كتاب الفجار حقيقي؛ لقوله: ﴿ كِنَبُّ مَنْقُومٌ ﴿ ﴾.
  - ١٠ \_ تهديد المكذبين ووعيدُهم.
- ١١ ـ أن وعيدهم يَحل بهم في ذلك اليوم العظيم؛ لقوله:
   ﴿ وَوَمَهِدِ ﴾ .

۱۲ \_ أن من أسماء يوم القيامة (يوم الدين)، كما قال تعالى: ﴿ مَا لِكِ يَوْمِ ٱلدِينِ ﴾ [الفاتحة].

- ١٣ ـ أن التكذيب به من أنواع الفجور.
  - ١٤ ـ وجوب الإيمان بيوم القيامة.
- ١٥ \_ أن المكذب بيوم القيامة مُعْتَدٍ لحدود الله، أثيم بمعاصي الله، مكذب بآيات الله.
  - ١٦ \_ أن الأساطير هي الأكاذيب والأخبار التي لا أصل لها.
- الذين الذين عند تلاوة القرآن ضد حال المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ ءَايَنَتُهُ وَادَتُهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال: ٢].
  - ١٨ ـ زجر المكذبين بآيات الله وردعهم.
- ١٩ ـ أن تكذيبهم للقرآن لا لخفاء بحُجَجِه، بل لِمَا غطى على قلوبهم مما كسبوه من أنواع المعاصي.

٢٠ أن الأعمال السيئة سبب للشر والعذاب، ومثلها الأعمال
 الصالحة؛ فإنها سبب للخير والثواب.

٢١ \_ وعيد المكذبين بحجبهم عن ربهم يوم القيامة.

٢٢ ـ أن من أنواع العذاب الحجاب عن الله.

٢٣ ـ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، خلاف حال المكذبين.

۲٤ ـ أن الله يُرى يوم القيامة.

٢٥ \_ أن من أنواع النعيم \_ وهو أعلاها \_ رؤية الله يوم القيامة.

٢٦ ـ إثبات ربوبية الله العامة.

٢٧ \_ أن منتهى المكذبين النار.

٢٨ \_ أن من أسمائها الجحيم.

٢٩ \_ توبيخ المكذبين على تكذيبهم.

٣٠ \_ الجمع لهم بين العذابين الحسي والمعنوي.

ولما ذكر تعالى كتاب الفجار ذكر بعده كتاب الأبرار؛ ليبين الفرق بين الكتابين وعاقبة الفريقين، وعلى طريقة القرآن في الجمع بين النذارة والبشارة، فقال سبحانه:

#### 🞕 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿كُلّا ﴿ حَقًا ﴿إِنَّ كِنَبُ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ أي: مصيرَهم المكتوب، و﴿ٱلْأَبْرَارِ ﴾ جمع برّ \_ كرب وأرباب، أو جمع بار كصاحب وأصحاب \_ وهو المؤمن الذي يعمل البر، أي: الذي أدى الطاعات وترك المحرمات، فإن البر إذا أُطلق شمل هذا كله، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَنِي نَعِيمِ ﴿ الانفطار]، بخلاف ما إذا قُرن بالتقوى، فإن البر حينئذ يختص بفعل الطاعات، والتقوى باجتناب المحرمات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْإِ

قوله: ﴿إِنَّ كِلنَبُ ٱلأَبْرَارِ لَفِي عِلْتِينَ ﴿ أَي: في أعالي الجنة، فهو ارتفاع فوق تصور العقول؛ لأنهم بلغوا في الطاعة منزلة عظيمة، وعلى هذا؛ ف (عليون) علم على الجنة؛ لأنها في السماء، وهي درجات وأعلاها الفردوس التي سقفها عرش الرحمٰن، كما جاء في الحديث: «فإذا سألتم الله فسلُوه الفردوس؛ فإنه أوسَطُ الجنّة وأعلى الجنّة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجّرُ أنهار الجنّة» ().

ف (عليون) على هذا التفسير اسمٌ لا واحدَ له من لفظه؛ مثل: عشرين وثلاثين، وجاء على هذه الصيغة للدلالة على علو الجنة وارتفاعها، وعلو أقدار أهلها، فكان الجزاء مناسبًا لأحوالهم وأعمالهم.

﴿ وَمَا أَدَرَنكَ مَا عِلْيُونَ ﴿ إِنَ الله الله الله المحتوب فيهذا تفخيم لشأنه، أي: هو أعظم من أن يحيط به الوصف، ﴿ كِننَبُ مَرَقُومٌ ﴿ الله الله الله عليه مصيرهم ﴿ مَرْقُومٌ ﴾ كتاب مرقوم، وهو كتاب الأبرار المكتوب فيه مصيرهم ﴿ مَرْقُومٌ ﴾

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٧٤٢٣)؛ من حديث أبي هريرة عَلَيْهُ -

أي: مكتوب مفروغ منه، أثبت فيه مصيرهم، فلا يتغير ولا يتبدل، ويَثْهَدُهُ الْفَرِّونَ شَهُهُ أي: يحضر كتابته المقربون؛ وهم الملائكة المقربون من كل سماء من السماوات السبع، وهؤلاء لهم عند الله مقام كريم، فشهودهم للكتاب يدل على عظم شأنه وشرف أهله.

ثم ذكر ما أعد لهم في الجنة من النعيم المقيم والثواب العظيم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿ وَلَنْ النعيم ): مصدر بمعنى النعمة، أي: هم في نعمة عظيمة من جمال مظهر، ورفاهية عيش، وراحة بال، واطمئنان نفس، فالنعيم محيط بهم من كل جانب، ومن هذا النعيم أنهم ﴿ عَلَ الْأَرْآبِكِ يَنظُرُونَ ﴿ وَ وَ الْأَرائك ): جمع أريكة، وهي سرير مزخرف تُرخى عليه حَجَلتُه المتصلة به، وهي سترة تسدل على السرير من فاخر الثياب، وفيها أُبَّهة المجلس وجماله، فالأريكة اسم لمجموع السرير والحجلة، فإذا لم يكن ثمة حجَلة فهو سرير، وجاء أن أهل الجنة يجلسون مع أزواجهم على الأرائك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَلَ ٱلْمِنْمَ فِي شُعُلِ فَلَكُهُونَ ﴿ وَالْمَالِ عَلَى ٱلْأَرْآبِكِ مُتَكِفُونَ ﴿ وَالْمَا الْمِنَا اللهِ اللهِ اللهِ الْمُعَلِي اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى ٱلْأَرْآبِكِ مُتَكِفُونَ ﴿ وَاللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ الله

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرْآبِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ أَي: إلى ربهم سبحانه، وينظرون وهم في مجالسهم تلك إلى ما يسرهم مما أعده الله لهم من النعيم، من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، والآية تعم الأمرين، كما يدل عليه حذف المفعول مِن ﴿يَنْظُرُونَ ﴿ فَهُو مُوهِمٌ نَفْرَةَ لَكَ عُرِفُ فِي وُجُوهِمٌ نَفْرَةَ النّبِيمِ ﴿ وَلَعْرِفُ لَيْ عَلَى وَجُوهِمٌ مَنَا أَي النّبِيمِ ﴿ وَالخطابِ في ﴿تَرْفُ ﴾ لغير مُعيّن، أي: يدرك كلُّ مَن رآهم أنهم أهل نعمة، لما يُرَى على وجوههم من العافية والنعومة والحُسن والبِشْر، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ مَ يَوْمَهِذِ مُسْفِرةٌ ﴿ إِنَ مَا اللّهِ عَلَى اللّهِ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَالْمِنْ مُنَا وَالْمُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَالْمَ عَلَى اللّهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ مَنْ وَالْمِشْر، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَهِذِ مُسْفِرةٌ ﴿ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

وقوله: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن زَّحِيقِ مَّخْتُومٍ ۞ ﴾؛ أي: من خمر خالصة لا

كدر فيها ولا غش، فيسقيهم خدمهم، وهذا من تمام النعيم، فهم لا يتكلفون عناء سقي أنفسهم، ولذا لم يقل: يشربون، كما قال تعالى: ويَطُوفُ عَلَيْمٍ وِلْدَنَّ تُخَلَّدُونَ آلَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِينَ وَكَأْسِ مِن مَعِينٍ آلِ السوافعة]، وفِي عَلَيْم مِسْكُ هذا تفسير لقوله: ﴿مَحْتُودٍ آلَ ﴾؛ أي: آخره ونهايته مسك تفوح رائحته، وفي قوله: ﴿خِتَنهُ، مِسْكُ ﴾ إشارة إلى أنه وضع بقدر حاجة صاحبه فيشربه كله، فهو يتلذذ بآخره كما تلذذ بأوله.

وَوَفِي ذَالِكَ النعيم العظيم وَفَلْيَتَنَافِس ٱلْمُنتَافِسُونَ اللهِ أَي: فليتسابق المتسابقون، وليعملوا بطاعة الله ليدركوا هذا النعيم فلا يفوتهم، والتنافس مأخوذ من الشيء النفيس الذي تطلبه النفوس وتتغالى فيه، والتنافس هنا يكون بكثرة الأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَاذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَلَمِلُونَ اللهِ الصافات].

وقوله: ﴿وَفِى ذَالِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُنَنَافِسُونَ ۞ الجملة معترضة في سياق وصف النعيم؛ لاستثارة همة المخاطبين للّحاق بركب الأبرار.

وبعد؛ فالمتدبر لهذه الآيات يجد فيها مقابلة بين الفريقين في وصفهم ومصيرهم وجزائهم؛ فهؤلاء هم الأبرار، وهم في عليين، وفي النعيم، وإلى ربهم ينظرون، وكانوا به مؤمنين، وأولئك هم الفجار، وهم

في سجين، وفي الجحيم، وعن ربهم محجوبون، وكانوا به مكذبين. وفي البركل عمل صالح محمود، وفي الفجور كل عمل سيئ مذموم. نسأل الله أن يسلك بنا سبيل الأبرار والمقربين، وأن يجنبنا سبيل الفجار والمكذبين.

## ﴿ الفوائد والأحكام:

- ١ ـ تأكيد وعد الأبرار.
- ٢ ـ أن البِرَّ ضد الفجور، والأبرار ضد الفجار.
- ٣ ـ أن لكل واحد من الأبرار كتابًا يتضمن جزاء وعاقبته وهي الجنة بما فيها من أصناف النعيم.
  - ٤ ـ أن الجنة عالية، وأعلاها الفردوس.
  - ٥ ـ تعظيم أمر الجنة في علوها، كيف وأعلاها سقف الرحمن؟!
- ٦ أن كتاب الأبرار حقيقي، أي مكتوب كتابة؛ لقوله: ﴿كِنَابُ مُومِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا الللَّلْمُلْلِي اللللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ ا
- ٧ ـ أن أفضل الملائكة؛ المقربون منهم من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمُسَيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا يَلَهِ وَلَا الْمَلَيْكَةُ اللَّقْرَبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].
  - ٨ ـ تفاضل الملائكة في منازلهم.
  - ٩ ـ شهودُ الملائكة المقربين كتابَ الأبرار؛ تعظيمًا لأمره.
    - ١٠ ـ تفخيم شأن كتاب الأبرار.
    - ١١ ـ طِيب عيش الأبرار في الجنة.
- ۱۲ أن من نعيم الأبرار الجلوس على الأرائك والنظر إلى ما
   يشاؤون، وأعلى ذلك النظر إلى وجه الله سبحانه.
- ۱۳ ظهور أثر النعيم على وجوههم، بالنَّضَارة والحُسن والبهاء، يَعْرف ذلك من يراهم.

١٤ \_ أن مِنْ أشربة الجنة الرحيق.

١٥ \_ أن الأبرار يسقون من ذلك الرحيق.

١٦ \_ أن آخر شرابهم مُطيبٌ بالمسك.

١٧ \_ أن نعيم الجنة جدير بتنافس المتنافسين.

١٨ ـ الأمر من الله بالتنافس فيه، وذلك بالتنافس في أسبابه، وهي
 الأعمال الصالحة.

١٩ \_ أن من أشربة الجنة (التسنيم)، وأنه عينٌ من عيون الجنة.

٢٠ \_ أنه يمزج للأبرار من التسنيم.

71 \_ أن الأبرار إذا ذكروا مع المقربين صاروا صنفين: (أبرارًا، ومقربين)، وإذا أفردوا دخل فيهم المقربون، كما في سورة الانفطار، ولذا ذكر الله صنفي أهل الجنة في سورة الواقعة، فقال تعالى: ﴿فَأَصْحَبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةِ اللهِ اللهُ الله

ولما ذكر الله مصير الفريقين وتباين حاليهما، أتبع ذلك بذكر حال المجرمين الفجار مع المؤمنين في الدنيا، وحال المؤمنين مع المجرمين في الآخرة، وما بينهما من التباين والتقابل، وفي هذا بيان لسبب ذلك التباين في المصير، فقال سبحانه:

#### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْرَمُواْ ﴾؛ أي: الكفار، والمجرم في اصطلاح القرآن هو الكافر، وذِكرُهم بالاسم الموصول للدلالة على سبب فعلهم؛ وهو الإجرام الذي هو الكفر واكتساب الآثام، ﴿كَاثُوا ﴾ في الدنيا ﴿ينَ النَّيْنَ ءَامَنُوا يَضَحَكُونَ إِنَّ على سبيل التَّهكُم، ويسخرون منهم، كما كان يفعله كفار قريش (كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وغيرهما) مع النبي على والمؤمنين، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَنَغَانَرُونَ إِنَّ ﴾، يقال: مرَّ به، ومرَّ على قريتِهِ والبقرة: ٢٥٩]، ف(الباء) عليه، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَكَرَ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ف(الباء) و(على) يتعاقبان، المعنى: إذا مرَّ المؤمنون بالكفار تغامز الكفار؛ أي: يغمز بعضهم بعضًا بالعين أو بالحاجِب أو بالشَّفَة استهزاءً بالمؤمنين.

ويحتمل أن يكون الفاعل في ﴿مَرُّواْ عائدًا على المشركين؛ أي: إذا مر المشركون بالمؤمنين، ويؤيد ذلك أن الضمائر مِن قَبلُ ومن بعدُ تعود على المشركين، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُواْ إِلَىٰ أَهْلِهِمُ ﴾؛ أي: إذا رجع الكفار إلى أهلهم في بيوتهم ﴿انقلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿ الله علوا علم المؤمنين، وقد يحكونه لأهليهم، وهذا من تمام إعجابهم بفعلهم.

وَوَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴾؛ أي: إذا رأى الكفارُ المؤمنين وقَالُوا إِنَّ هَنَوُلاَهِ لَضَالُونَ ﷺ؛ أي: لإيمانهم بمحمد ﷺ وتركهم دين آبائهم، فهذا هو الضلال بزعمهم.

ورما أرسِلُوا عَلَيْمِ حَنفِظِينَ ﴿ أَي: والحال أن هؤلاء الكفار ما أرسلوا على المؤمنين حافظين، أي: رُقباء يحفظون عليهم أعمالهم، ويشهدون عليهم بالضلال أو الرشد، فالآية إنكار من الله عليهم وتهكم بهم، ولهذا جازاهم الله بضد فعلهم في الآخرة، وذلك أن المؤمنين يضحكون منهم هناك، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا، ولذا

قــال: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ ﴾ ؛ ﴿ فَٱلْيَوْمَ ﴾ أي: يــوم القيامة، ف (أل) للعهد الذكري ؛ لأنه قال قبل ذلك: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِ الْمَعَامِينَ ۞ ﴾ [المطففين].

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿ هُلَ ثُوْبَ هِ مَن كلام المؤمنين، أي: ينظرون قائلين: ﴿ هُلَ ثُوبَ الْكُفَارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿ هَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴿ قَالَ قَايِلٌ مِنْهُمْ إِنِي كَانَ لِي قَرِينٌ عَالَى اللهِ عَلَى اللهِ عَضَهُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴿ قَالَ قَايِلٌ مِنْهُمْ إِنِي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات] الآيات، ﴿ وَقَالَ هَلْ أَنتُم مُطَلِعُونَ ﴿ فَهُ إِلَّا اللهِ عَلَى اللّهِ اللهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللهُ

# 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ أن الناس فريقان: مؤمنون، وكافرون.
  - ٢ ـ أنهما خصمان وضدان.
  - ٣ ـ إطلاق الإجرام على الكافرين.
- ٤ غرور الكفار في أنفسهم، مع أنهم على الباطل.
  - ٥ \_ احتقارهم للمؤمنين.

٦ - أثر ذلك الإعجاب والاحتقار، وهو الضحك من المؤمنين
 والتندر بهم.

٧ - حكمهم لأنفسهم بالهدى وعلى المؤمنين بالضلال: ﴿قَالُوا إِنَّا عَنَالُوا إِنَّا الْحَالَ الْحَالَ الْحَالَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ ال

٨ - ذم الله للكافرين وتوبيخه لهم؛ لحكمهم بالضلال على المؤمنين، وما هم عنهم بمسؤولين ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِم حَنفِظِينَ ﴾، مع ما في لفظ الإرسال من التهكم بهم.

٩ ـ تحريم السخرية بالمؤمنين والضحك منهم؛ لأنه من عادة الكافرين.

١٠ ـ التناسب بين أول السورة وآخرها؛ فاليوم في قوله: ﴿ فَأَلْيُوْمَ النَّاسُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ هو المذكور في أول السورة في قوله تعالى: ﴿ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْمَالَمِينَ ﴿ إِنَّهُ مَا اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

١١ \_ حُسن عاقبة المؤمنين، ونصرُهُم على الكافرين المستهزئين بهم.

١٢ \_ شماتة المؤمنين وهم في النعيم؛ بالكافرين وهم في دار الجحيم.

١٣ \_ أن من نعيم الجنة الأرائك الجميلة الوثيرة.

١٤ \_ نظر المؤمنين إلى ما شاءوا، وأجَلُّ ذلك نظرهم إلى ربهم.

١٦ \_ إثبات الأسباب.

١٧ \_ أن الأفعال سبب الجزاء ثوابًا وعقابًا.

١٨ \_ إطلاق الثواب على العقاب.

١٩ \_ حكمة الله وعدلُهُ في الجزاء على الأعمال.

٢٠ أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما ضحك الكفار من المؤمنين في الدُّنيا ضحك المؤمنون منهم في الآخرة.





هذه السورة تشبه سورتي التكوير والانفطار من حيث عرض أحداث القيامة، بل هي بالانفطار أشبه، وقد تضمنت ذكر حال السماء والأرض؛ فالسماء تنشق، والأرض تمد، وتُلقى ما في بطنها من الأموات، وتتخلى عنهم بعدما ضمتهم طويلًا، وذلك في الآيات الخمس الأولى.

كما تضمنت السورة افتراق الناس إلى فريقين: سعداء وأشقياء، ومِن مظاهر ذلك أخذَ المؤمن كتابه بيمينه وتيسير حسابه، وأخذ الكافر كتابه بشماله ومن وراء ظهره، وتحسره عند ذلك.

ثم أقسم الله على ما يصير إليه الناس من أحوال، وتنقل من حال إلى حال، ثم ختمت السورة بتوبيخ الكافرين على عدم الإيمان وعدم الانتفاع بالقرآن، وما يلاقونه من العذاب الأليم على التكذيب والعصيان إلا من آمن وعمل صالحًا؛ فله أجر غير ممنون، وقد علمت حديث ابن عمر المتقدم عن النبي عَلَيْ قال: «مَن سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأيُ عينِ فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»<sup>(۱)</sup>.

<sup>(</sup>١) تقدم تخريجه في سورة التكوير.

## الآيات:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاتُهُ ٱنشَقَتْ إِنَ وَأُونَتَ لِرَجًا وَحُقَتْ إِنَ وَلِنَا ٱلأَرْضُ مُدَّتُ ﴿ وَأَلْفَتُ مَا فِيهَا وَخَفَّتُ ﴿ وَلَيْ يَعَلِينُهِ وَخَفَّتُ ﴿ وَيَعَلَيْهِ الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَى رَبِكَ كَدْحًا فَمُلْتِيهِ إِنَّ وَأَمَّا مَنْ أُونِ كِنْبَهُ بِيمِينِهِ ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ وَمَنظَلِيهِ إِلَى وَلِكَ كَذَهُ وَرَاةً ظَهْرِهِ إِنَّ أَمْلُونًا يَسِيرًا إِنَّ وَلَمَا مَنْ أُونِ كِنْبَهُ وَرَاةً ظَهْرِهِ إِنَّ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُبُورًا فَي وَيَعْلَى سَعِيرًا إِنَّ إِنَّهُ كَانَ فِي آهَلِهِ مَسْرُورًا إِنَّ وَلَمَا مَنْ أُونِ كِنْبَهُ وَرَاةً ظَهْرِهِ إِنَّ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُبُورًا فَي وَيَعْلَى سَعِيرًا إِنَّ إِنَّهُ كَانَ فِي آهَلِهِ مَسْرُورًا إِنَّ الْمَلِي اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الل

#### التفسير:

وإذا السّمَاءُ انشَقَت هذا العالم، وهذه الآية كقوله تعالى: وإذا السّمَاءُ انفَطَرَت ها ونهاية هذا العالم، وهذه الآية كقوله تعالى: وإذا السّمَاءُ انفَطَرَت ها الانفطار]، وقوله: ووَإذا السّمَاءُ فُرِجَتُ ها المرسلات]، وووَإذا السّمَاءُ كُشِطَت الانفطار]، وقوله: ووَإذا السّمَاءُ فُرِجَتُ ها المرسلات]، وووَإذا السّمَاءُ بِالْفَعَنِم وَزُنِلُ هَا التكوير]، وقريب منها قوله تعالى: ووَيَوْمَ تَشَقَقُ السّمَاءُ بِالْفَعَنِم وَزُنِلُ اللّهَ تَعَالى: وويور منها قوله تعالى: وويور منها أعلم \_ يندرج في التبديل اللّهَ تَعْزِيلًا ها الفرقان]، وكل هذا \_ والله أعلم \_ يندرج في التبديل المذكور في قوله تعالى: ويوم تُبدّلُ اللّارضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسّمَوَاتُ الله المناوات، فهو تبديل صفات، لا تبديل ذات.

﴿ وَأَذِنَتَ لِرَبِهَا ﴾؛ أي: استمعت السماء لأمره سبحانه بالانشقاق، والمعنى: انقادت وأذعنت وأطاعت؛ يقال: أَذِن فلانٌ لفلان، إذا سمع ما أمره به وانقاد له، ﴿ وَحُقّت ﴿ آ﴾؛ أي: وحُقّ لها أن تنقاد وتطبع، فهي حَريّةٌ بذلك؛ لأن الذي أمرها هو ربّها خالقها ربيّةً .

﴿ وَإِذَا ٱلأَرْضُ مُدَّتُ ﴿ إِنَهُ اللهِ عَلَى الْمُدَا لَكُمَا يَمَدُ الْجَلَد، فَيَزَادُ فَي سَعْتَهَا، وَوَالْقَتْ مَا سَعْتَهَا، وَوَالْقَتْ مَا سَعْتَهَا، وَوَالْقَتْ مَا

وقيل: ملاقي عملك، أي: جزاءَ عملك.

ثم ذكر انقسام الإنسان عند ملاقاة الله إلى فريقين، وابتدأ بأهل

اليمين لفضلهم، فقال سبحانه: ﴿ وَفَأَمَّا مَنْ أُونِ كِلنَبَهُ، بِيَمِينِهِ، ﴿ أَي: بيده اليمنى، وهو المؤمن، و(الكتاب): صحيفة الأعمال، ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ فَهُ وَفَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عنه بمنّه وكرمه، كما يدل له قوله على الله عنه بمنّه وكرمه، كما يدل له قوله على الله عن هذه الآية، قال: «ذاك العرض يعرضون، ومن نُوقش الحساب هلك» (١).

وَرَنَقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ أَي: يرجع إلى أهله في الجنة من الزوجات والذريات والإخوان، مسرورًا بتيسير الحساب والنجاة من العذاب، ومسرورًا بما أعده الله له من الكرامة.

وَأَمّا مَنْ أُونَى كِنَبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿ ﴾ وهو الكافر، وفي سورة الحاقة قال: ﴿ وَأَمّا مَنْ أُونِى كِنَبَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة: ٢٥]، فهو يُؤتى كتابه بشماله في وراء ظهره، ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُّبُورًا ﴿ ﴾ أي: ينادي على نفسه بالثبور، وهو الهلاك، أي: يقول: واهلاكاه! فيتمنى الموت، وما هو بميت، ﴿ وَيَصَلَىٰ سَعِيرًا ﴿ أَي: يدخل النار المستعرة، ويقاسي حرها، ثم ذكر سبب ذلك، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ كُانَ فِي آهَلِهِ مَسْرُورًا ﴿ أَي: كان في الدنيا مسرورًا بشهواته غافلًا عن الآخرة، ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَن يَعُورُ ﴿ ﴾ أي: تيقن أنه لن يرجع إلى الله للبعث والحساب، و(أنْ) هي المخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنّه.

﴿ بَالَ ﴾ حرف يفيد إبطال ظنّ عدم الرجوع وإثبات الرجوع، أي: بل يحور ويرجع إلى ربه للحساب ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿ أَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ منه خافية.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)؛ من حديث عائشة فياً.

## 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ قدرة الله على تغيير حال العالم العلوي والسفلي.
- ٢ \_ أن مِنْ أحداث القيامة أن السماء تنشق في هذا اليوم.
- " \_ أن الأرض تمد فتتسع للخلائق إذا جمع الله الأولين والآخرين.
  - ٤ ـ إحياء الله للموتى وإخراجهم من بطن الأرض.
    - ٥ ـ أن ذلك كله بإرادة الله وأمره.
- ٦ ـ انقياد هذه المخلوقات العظيمة لأمر ربها، وحُق لها أن تنقاد وتسمع وتطيع.
  - ٧ \_ إثبات ربوبية الله العامة.
  - ٨ \_ أن السماء شيء يقبل الانشقاق؛ كالانفطار.
- ٩ ـ تخصيص الإنسان بالخطاب، وليس له نظير إلا في سورة
   الانفطار، وهو لعموم لفظه وشمول ما خوطب به بمعنى: يا أيها الناس.
- ١٠ ـ أن كل واحد يكدح في هذه الحياة (أي: يعمل)، حتى يرجع إلى ربه ويلاقيه يوم التلاق.
  - ١١ \_ تذكير الإنسان بربه العدل الكريم الحكيم.
    - ۱۲ \_ أن كلُّا سيلقى ربه فيجازيه.
- ۱۳ \_ إحصاء أعمال العباد؛ حسناتهم وسيئاتهم، وتدوينها في كتاب.
  - ١٤ \_ إظهار كتاب الأعمال يوم القيامة.
- ۱۵ \_ إيتاء المؤمن كتابه بيمينه، وإيتاء الكافر بشماله ومن وراء ظهره.

١٦ \_ تيسير الحساب على المؤمن.

١٧ ـ نهاية أمر المؤمن أنه ينقلب إلى أهله في الجنة مسرورًا،
 سرورًا لا حزن بعده.

١٨ \_ حسرة الكافر إذا أعطى كتابه بشماله.

١٩ \_ نهاية أمر الكافر أن يصير إلى النار.

٢٠ ـ أن سوء مصيره بسبب سوء حاله في الدنيا؛ غرورًا وتكذيبًا
 بالبعث، فقد كان بين أهله في غرور، وكان يظن ألا يرجع إلى الله.

٢١ ـ أن الله بصيرٌ بالعباد؛ فبفضله اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون، وكل ذلك بحكمته وعلمه، وهو الحكيم العليم.

ثم أقسم تعالى بأحوال الليل من الشفق إلى استحكام الظلمة إلى انجلائها بسطوع القمر باتساقه (أي: كمال استنارته)، على ركوب الإنسان أحوالًا مختلفة من الأطوار والشدائد، تنتهي به إلى مصيره الأخير في الجنة أو النار، فقال:

## 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿ إِلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله المراد نفي القسم، و(الشفق): هو الحمرة التي

تبقى في الأفق بعد غروب الشمس، وإذا غابت هذه الحمرة خرج وقت المغرب، ودخل وقت العشاء، ﴿وَالْيَالِ وَمَا وَسَقَ ﴿ وَكُلِّ معطوف على الشفق؛ أي: وأقسم بالليل وما وسق، أي: وكُلِّ ما جمع وضم في ظلمته، يقال: وسَقَه \_ من باب وعَد، بمعنى وسِعه \_ فاتسق، أي: جمَعه فاجتمع، ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱنَّكَ ﴿ ﴾؛ أي: اجتمع نوره وكمل، وصار بدرًا.

وفي الإقسام بهذه الأشياء المختلفة الأحوال تناسبٌ مع جواب القسم وهو قوله تعالى: ﴿لَرَّكُنُنَ ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿ الله أي أي القسم حالًا بعد حال، أي: لتنتقلُنَ مِن حالٍ إلى حال؛ مِن كونكم نُطفًا في الأرحام، إلى خروجكم إلى الحياة، ثم موتٌ بعد ذلك، ثم تبعثون فتصيرون إلى ربكم فيجازي كلًا بعمله.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ﴿لَتَرْكَبَنَّ ﴾ بفتح الباء، قيل: الخطاب للنبي ﷺ، وقيل: للإنسان، وهو المناسب لقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَى رَبِّكَ ﴾.

قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ إِنَ فَمَا لَهُوْلاء الكفار لا يؤمنون مع وضوح الآيات، والاستفهام للإنكار والتعجب، والفاء للتفريع؛ أي: إذا عُلم ما تقدم فأيُّ مانع يمنعهم مِن الإيمان؟! ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُثُمُ ٱزَّكُعُوا لا يرَكُمُونَ ﴿ فَي يَسْجُدُونَ ﴿ وَلِي يصلون، فيركعون ويسجدون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُثُمُ ٱزَّكُعُوا لا يرَكُمُونَ ﴿ فَي فيركعون ويسجدون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُثُمُ ٱزَّكُعُوا لا يرَكُمُونَ ﴿ فَي فيركعون ويسجدون، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَمُثُمُ ٱزَّكُعُوا لا يرَكُمُونَ اللهِ في المُعْرِفِي وَلَمْ سَلِمُونَ ﴿ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَلَا يَعْمُونَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَثُمْ سَلِمُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا يَعْدَرُونَ عَلَى الْإِتّيانَ بِمِثْلُهُ، وهو أكبر أنهم يعلمون أن القرآن معجز لا يقدرون على الإتيان بمثله، وهو أكبر شاهد بصحة الرسالة.

وهذه الآية موضع سجدة؛ لما ثبت عن أبي رافع الصايغ قال: صليت مع أبي هريرة رضي العَتَمة، فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّالَةُ ٱنشَقَتْ ﴿ فَاللَّهُ السَّلَاءُ السَّلَاءُ السَّقَتَ فقلت: ما هذه [السجدة]؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم على فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه». أخرجه البخاري ومسلم (١) ولمسلم ولمسلم أزال أسجد بها حتى ألقاه». أخرجه البخاري ومسلم الانشقاق] فسجد فيها، أبا هريرة والمنا لهم: ﴿إِذَا ٱلسَّالَةُ ٱنشَقَتْ ﴿ إِذَا ٱلسَّالَةُ ٱنشَقَتْ ﴿ وَالانشقاق] فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم: أن رسول الله على سجد فيها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلطَّلِحَاتِ لَهُمُ أَجُّرُ غَيْرُ مَمْنُونِ ﴿ ﴾؛ أي: لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة \_ جمعوا بين الإيمان والعمل \_ فهؤلاء ﴿ لَهُمُ أَجُّرُ غَيْرُ مَمّنُونٍ ﴿ ﴾ أي: ثواب عظيم غير مقطوع، وهو جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وختمت السورة بوعيد الكافرين ووعد المؤمنين، وهم من سلف ذكرهم فيمن يؤتى كتابه بشماله أو باليمين.

## 🥸 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الله يقسم بما شاء من الخلق، وليس للمخلوق أن يقسم إلا به سبحانه.

<sup>(</sup>۱) البخاري (۲۲۸)، ومسلم (۵۷۸). (۲) مسلم (۵۷۸).

- ٢ \_ أن لله حكمة في تخصيص بعض المخلوقات في الإقسام بها.
  - ٣ \_ أن من أنواع كلام الله القَسَم.
- ٤ ـ أن الشفق آية من آيات الله، وهو الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس.
- ٥ \_ أن الليل وما يجمعه وما يحويه ويؤيه بظلامه من الناس والدواب آية من آيات الله.
  - ٦ ـ أن القمر من آيات الله، ولا سيما إذا استكمل نوره.
- ٧ ـ أن المكلفين يمرون بأحوال، ويصيرون من حال إلى حال؛
   كالذي يرتقي أطباقًا، والمراد ما ينتقل فيه الإنسان في هذه الحياة وفي
   دار البرزخ، حتى ينتهي إما إلى الجنة أو إلى النار.
- ٨ التناسب بين المقسم به والمقسم عليه؛ فذكر في القسم أحوال الليل من الشفق وما يعقبه من الظلمة، وأشار إلى أحوال القمر من كونه هلالًا حتى يكون بدرًا، وكذلك تكون أحوال المكلفين.
- ٩ ـ أن في هذا القسم برهانًا على قدرة الله على البعث؛ لأنه الخالق لآيتي الليل والقمر، والمدبر لهما.
- ١٠ ـ توبيخ الله للكافرين على ترك الإيمان بالله وبالبعث مع ظهور
   الآيات، وعلى ترك السجود عند تلاوة القرآن.
- الكفار يُكذبون تكذيب الجحود، مع أن في قلوبهم التصديق الذي لا ينفعهم مع الجحد، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكذِّبُونَكَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].
  - ١٢ \_ إثبات صفة العلم لله تعالى، وأنه أعلم العالِمين.
  - ١٣ \_ تهديد الكافرين بصيغة التهكم بهم ببشراهم بالعذاب الأليم.

١٤ ـ أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات لهم أجر غير مقطوع،
 بخلاف حال الكافرين فلا أجر لهم، بل لهم عذاب أليم.

10 ... تسمية ثواب أهل الإيمان والعمل الصالح أجرًا، وهو في القرآن كثير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغَشُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرً كَبِيرٌ الله والملك]، ولا يلزم من ذلك أن يكون عوضًا كأجر الأجير؛ لأن العمل الصالح وثوابَه كلَّه فضلٌ من الله، ثم إنه لا نسبة بين الثواب والعمل، فالعمل يسير والأجر كبير.





هذه السورة تضمنت الوعدَ والوعيد؛ وعد المؤمنين، ووعيد الكفار الظالمين، والأغلبُ فيها جانبُ التهديد، بذكر الدلائل على قدرته تعالى، وشدة بطشه سبحانه بذكر سنته في المكذبين ﴿ عَلْ أَنْكَ حَدِيثُ ٱلجُنُودِ ١ الآيات، وذِكْر ما ينتظر الكفرة الظالمين الصَّادين للمؤمنين عن الإيمان بالله وشرعه؛ من عذاب جهنم وعذاب الحريق.

والسورة اثنتان وعشرون آية؛ الثلاث الأولى تضمنت القسم من الله بأربعة أمور:

﴿ وَالسَّمَا ۚ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۚ إِنَّ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمُوعُودِ ۚ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودِ ۚ إِنَّ ﴾ [البروج].

#### 🛞 التفسير:

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآ عَ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ١ الواو للقسم؛ أي: أقسم بالسماء صاحبة البروج، أي: النجوم، جمع بُرْج، وهو في الأصل القصر العالى، ووصف السماء بذات البروج تفخيم لها، وجاء عن ابن عباس رفيها \_ ورجحه ابن جرير \_ أن البروج قصورٌ في السماء، والمراد بها منازل الشمس والقمر؛ أي: طرقها التي تمر بها، وكل واحد منها مجموعة نجوم، سميت باسم يناسب الشكل الذي هي عليه، شبهت بالقصور لعلوها، ولنزول الكواكب بها، كما أن القصور ينزلها الأكابر والأشراف.

وقد تمدح الله بخلقه للبروج فقال سبحانه: ﴿ لَبَارُكَ ٱلَّذِي جَمَلُ فِي

ٱلسَّمَاآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَجًا وَقَـمَرًا ثُمْنِيرًا ﴿ إِلَّهُ ۗ [الفرقان].

والبروج عند الفلكيين اثنا عشر، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، جمعها النّاظم في قوله:

حَمَلَ الثورُ جوزَة السرطانِ ورَعَى الليثُ سُنبلَ الميزانِ ورمى عَقربٌ بقوسٍ لجدي نزحَ الدَّلوُ بركةَ الحيتانِ والشمس تتنقل في هذه البروج فتقطعها في ظرف سنة، ومن تنقلها بينها تنشأ الفصول الأربعة.

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾؛ أي: وأُقسم باليوم الموعود، وهو يوم القيامة، باتفاق المفسرين، قال تعالى: ﴿ وَلَكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا بُوعَدُونَ ﴾ [المعارج].

وقوله: ﴿وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ ﴿ أَي: وأقسم بكل شاهد وكل مشهود، على ما يفيده التنكير فيهما والإطلاقُ مِنَ التعميم، وعلى ما جاءت به الأخبار، فيدخل في ذلك الشهود من الملائكة والأنبياء الذين يشهدون على أممهم، والجوارح، وأعظم شاهد هو الله الشهيد على كل شيء، كما ذكر في هذه السورة: ﴿وَاللّهُ عَلَىٰ كُلّ شَيْءِ شَهِيدٌ ﴿ الله السورة : ﴿ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلّ شَيْءِ شَهِيدٌ ﴿ الله السورة : ﴿ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

ويدخل في ذلك المشهود عليهم من العباد، كما يدخل في ذلك كلُّ يوم مشهود: كيوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى كَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى كَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى كَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى الْمَالُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى الْمَالُ اللَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشَهُودٌ ﴿ إِلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ

واختُلف في جواب القسم:

فقيل: محذوف، تقديره: لتُبعثُنَّ.

والصحيح أن هذا القسم لا يحتاج إلى جواب؛ لأن المقسم به هو نفسه المقسم عليه، أي: إنَّ هذه الأشياء لَعظيمة؛ لأن المراد التنبيه إلى

عِظمها، وما فيها من الدلالة على قدرته تعالى، وسَعة علمه، وصدق وعده ووعيده، ذكر ذلك الإمام ابن القيم كَالله، واختاره، ونظره بالقسم بالقرآن، وأنه المقسم به وعليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْهَانِ ذِى الذِّكْرِ اللهِ اللهِ اللهُ المَهِيدِ اللهِ اللهُ ا

ومَنْ جعل قوله: ﴿قُلِلَ أَضَابُ ٱلْأُفَدُّودِ ﴿ البروج] هو الجواب فليس بصحيح؛ لأن الدعاء لا يكون جوابًا للقسم.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ - أن الله يقسم بما شاء من خلقه.

٢ ـ أن من كلام الله الإقسام.

" - أن السماء وما فيها من البروج - وهي النجوم أو منازل الشمس والقمر - من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله والله وحكمته. وهذا هو سر القسم بها.

٤ ـ التنبيه إلى أن اليوم الموعود حق، وأنه آت لا محالة. وذلك للقسم به، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿لَا أُقْيِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ ﴿ الْقَامَةِ].

٥ \_ إقسامه تعالى بكل شاهد ومشهود.

٦ - الترهيب من ذلك اليوم الموعود المشهود.

وبعد هذه الأقسام في الآيات الثلاث الأولى، ذكر الله قصة لم تذكر إلا في هذه السورة، قصة أصحاب الأخدود الكفرة الظالمين، وقد أجمل الله الخبر عنهم بذكر ما فعلوه في المؤمنين لصدهم عن دينهم، من إيقاد النيران والزجّ بكل مَن لم يجبهم ويرجع عن دينه. وقد جاءت

<sup>(</sup>١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٩٠).

القصة مفصلة في السُّنَّة في الحديث الذي رواه مسلم في خبر الملك والغلام والساحر والراهب(١).

وما تضمنته الآيات الثلاث الأولى من السورة فيه تمهيد لهذه القصة، لما في تلك الأقسام من التخويف؛ بذكر اليوم الموعود والشاهد والمشهود، وقدرة الله خالق السماء ذات البروج.

## 🛞 الآيات:

﴿ وَهُمْ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ عَلَيْ مَا يَفْعَلُونَ بِاللّٰهُ وَاللّٰهُ اللّٰهِ الْعَزِيزِ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِاللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهِ الْعَزِيزِ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِاللّٰهِ اللّٰهِ الْعَزِيزِ اللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ اللللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ اللللللّٰهِ اللللللللللللّٰهِ الللّٰهِ اللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللّٰهِ الللللّٰهِ ال

## ﴿ التفسير:

قوله تعالى: ﴿ وَيُلَ أَضَابُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿ إِنَّ الْعَنُوا وهذا خبر من الله بأنهم لُعنوا ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، واللعن مِن الله بأنهم لُعنوا ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، والناس دعاء عليهم بذلك ، و﴿ ٱلْأُخْدُودِ ﴿ اللهِ الشَّقُ فِي الأرض يكون مستطيلًا ، وجمعه أخاديد ، ﴿ النَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿ اللهِ بدل اشتمال من الأخدود ، أي: إن أصحاب الأخدود هم أصحاب النار ذات الوقود ، والوقود - بفتح الواو -: ما توقد به النار من حطب وغيره ، والمعنى : أنها نار عظيمة ذات لهب .

﴿إِذْ مُرْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿ ﴾ جمع قاعد، مثل: شاهد وشهود، ﴿إِذْ ﴾ ظرف متعلق بـ وقُلِلَ ﴾، أي: لعنوا حين كانوا قاعدين على شفير النار

<sup>(</sup>١) صحيح مسلم (٣٠٠٥)؛ عن صهيب نظيه.

مشرفين على إلقاء المؤمنين فيها، وقد كانوا يخيرون الناس، فمن أجابهم إلى الكفر خلوا سبيله، ومن أصر على الإيمان قذفوه فيها ﴿عَلَى أَي: الكفار الظالمون ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: على ما يفعله جنودهم من إحراق المؤمنين ﴿شُهُودٌ ﴿ الله عَلَى الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى مَا يَفَعَلُه جنودهم من أَخَدهم بهم رأفة، فهم قساة قلوب غلاظ أكباد.

﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُواْ بِاللّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿ ﴾؛ أي: ما كرهوا منهم ولا أنكروا عليهم سوى الإيمان بالله، وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، فهي كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيكرِهِم بِغَنْدِ حَقِي إِلَّا أَن يُقُولُواْ رَبُّنَا ٱللّهُ ﴾ [الحج: ٤٠]، وكقول القائل:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أن سُيوفهمْ بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتَائبِ(١)

وقوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُوا ﴾ بلفظ المستقبل مع أن الإيمان وُجد منهم في الماضي؛ لأن انتقامهم على استمرار المؤمنين على الإيمان وثباتهم عليه، لا على الإيمان الماضي، فكأنه قيل: إلا أن يدوموا على الإيمان، وقوله: ﴿ الْعَنْ يَزِ ﴾؛ أي: القوي الذي لا يُغالَب ﴿ الْمَعْمِدِ على كل حال، وقدًم المحمود على أفعاله وأقواله وأوصافه، والمحمود على كل حال، وقدًم (العزيز) على (الحميد)؛ لأن المقام مقام إنذار.

ثم ذكر مِن معاني عزته وحمده، فقال: ﴿ اللَّذِى لَهُ, مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَ الْأَرْضِ ﴾؛ أي: خلقًا وملكًا وحُكمًا، وله وَ القدرة التامة على أهل السماوات والأرض، ولا مفر لأحد من سلطانه وملكوته، ولذلك آمن به هؤلاء المؤمنون، وهانت عليهم أرواحهم في سبيله، لما ينتظرونه عنده من الثواب العظيم والنعيم المقيم، ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ آَي الله عَنْ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ اي:

<sup>(</sup>١) للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ١٠).

لا يخفى عليه شيء. وفي هذا وعدٌ للمؤمنين الصابرين، ووعيدٌ للكافرين الظالمين.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ لعنُ الله للكافرين الظالمين، وهو معنى قُتل، أي: لُعن.

٢ ـ أن أصحاب الأخدود ملعونون من الله ومن خلقه؛ من الملائكة والناس أجمعين؛ لأن بناء الفعل للمفعول يفيد العموم، كقوله: ﴿ أُولَتَهِكَ يَلْعَنْهُمُ ٱللَّهِ وَيَلْعَنْهُمُ ٱللَّعِنُونَ ﴿ إِلْهَ إِللْهِ وَالْبَقِرةَ ].

٣ ـ أن من كمال البيان تشخيص الجريمة، حتى كأن السامع يراها رؤية عين: حُفَرٌ، ونارٌ تتوقد، والمجرمون حولها يتمتعون بتعذيب المؤمنين.

٤ ـ أن النار أعظم ما يعذب به، ولذا حُرِّم في الإسلام التعذيب
 بالنار، فلا يعذب بالنار إلا ربها.

٥ \_ شدة حَنَق هؤلاء الكفار وعداوتهم للإيمان والمؤمنين.

٦ ـ اغترارهم بقوتهم، وبإمهال الله لهم.

٧ \_ إعجابهم بقبيح فعلهم، وتَمَتُّعُهم بمشاهدة إجرامهم.

٨ \_ قسوة قلوب أولئك الظالمين.

٩ \_ أنه ليس للمؤمنين عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد.

١٠ \_ قوة المؤمنين وثباتهم وصبرهم على دينهم.

١١ ـ أن الشرائع السابقة ليس فيها رخصة للمكره على التكلم
 بالكفر.

١٢ \_ أن من أساليب القرآن تأكيد المدح بما يشبه الذم،

١٣ \_ أن من أسماء الله: (العزيز) (الحميد).

١٤ ـ أن ملك السماوات والأرض لله وحده.

١٥ ـ أن الله تعالى شهيد على كل شيء.

17 - أن إمهاله تعالى لأصحاب الأخدود ليس عن ضعف ولا عجز ولا جهل بما يفعلون؛ لأنه عزيزٌ مالكٌ لكل شيء، وشهيدٌ على كل شيء، ولكنه يمهل الظالمين مكرًا بهم واستدراجًا لهم، ويبتلي المؤمنين إكرامًا لهم بما يرفع درجاتهم، وهو المحمود على هذا وهذا، كما يدل عليه اسمه الحميد.

١٧ \_ تثبيت المؤمنين المعذبين بمكة.

۱۸ ـ تهدید الکفار من قریش الذین یعذبون ضعفة المؤمنین؛ کعمار وبلال ویاسر وسمیة، ولعل السورة نزلت بسبب ما جری من المشرکین من تعذیب المؤمنین.

## ﴿ الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَنَنُوا ٱلْتُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ بَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَمُمْ عَذَابُ الْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ بَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَمُمْ عَذَابُ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمُ اللَّهُونُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ

هاتان الآيتان تضمنتا وعيد أصحاب الأخدود الذين فَتنوا المؤمنين، أي: عذبوهم ليرجعوا عن دينهم، توعدهم الله بعذاب جهنم وعذاب الحريق، إلا مَن تاب منهم، كما تضمنتا وَعْد المؤمنين الذين ثَبتوا على إيمانهم، وصبروا، وعملوا الصالحات، بجنات تجري من تحتها الأنهار، وذلك الفوز الكبير، فالسعادة والفلاح للمؤمنين، والشقاء والخسار للمجرمين.

## 🕸 التفسير:

وعطف ﴿ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿ عَلَى ﴿ عَذَابُ جَهَنَّم ﴾ مِن عطف التفسير والتفخيم، وفيه الإشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل، ومجيء الفاء في خبر ﴿ إِنَّ ﴾ ﴿ فَلَهُم ﴾ ؛ لأن اسمها موصول، وهو يُشبه اسم الشرط في العموم، وذلك مما يرجح أنه ليس المراد خصوص أصحاب الأخدود.

وأنهار الجنة كثيرة، فمنها مما أخبر الله: أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر للة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، فإذا رأى أهل الجنة الجنة وما فيها مما يَسُرُّ القلب ويلله البصر؛ زال عنهم ما مسهم في الدنيا من اللأواء والأحزان، وفي الصحيح: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم

قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا مِن أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم؛ هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» (١).

وْذَالِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكِيرُ ﴿ وَالْكَ وَالْكَ الْمَاتِ الْتِي تَجَرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ، ثُوابًا مِن عند الله، وأشير إليه باسم الإشارة الموضوع للبعيد؛ لشرف ثوابهم ﴿ ٱلْفَوْزُ ٱلْكِيرُ ﴿ الله بَالَّهُ الله بَالَّالِمُ الله الله عنه الله عنه أي الذي لا فوز يدانيه، والفوز مصدر عُبر به عن الجنة مبالغة في فوزهم.

ويحتمل أن يكون المراد باسم الإشارة دخولهم الجنات؛ لأنهم ينالون إذا دخلوا كل مطلوب وينجون من كل مرهوب، كما قال تعالى: (فَمَن زُحْنِحَ عَنِ ٱلنَّادِ وَأَدْخِلَ ٱلْجَنَّكَةَ فَقَدْ فَازَّ (آل عمران: ١٨٥].

# ∰ الفوائد والأحكام:

١ - أن من سنن الكفار الصدعن دين الله وتعذيب المؤمنين
 لصدهم عن الإيمان.

 $\Upsilon$  \_ التنويه بشأن المؤمنات، وأن من النساء مؤمنات صابرات، ومنهن تلك المرأة التي ذكرت في الحديث  $(\Upsilon)$ .

٣ ـ أن من تاب مِن الكافرين قَبِل الله توبته، ولو كان قد عذَّب أولياءه، وصدَّ مَن صَّد منهم عن سبيله.

٤ ـ أن مصير أصحاب الأخدود إلى العذاب في جهنم، ويحرقون.
 ٥ ـ المهلة في زمن التوبة، للعطف بـ (ثم) في قوله: ﴿ثُمُ لَوْ بَتُوبُولُ﴾.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧)؛ من حديث أنس ١١١٠٠

<sup>(</sup>۲) سبق تخریجه (ص: ۱۳۰).

٦ ـ تحذير مَن يُعذّب المؤمنين مِن أهل مكة وغيرهم، وتهديدهم
 بأن يصيروا إلى مصير أصحاب الأخدود.

٧ \_ دعوة الكافر إلى التوبة، ولو كان مسرفًا في الكفر.

٨ ـ أن التوبة لا تضيق بأيِّ ذنبِ مهما بلغ في العِظم والقُبح.

٩ ـ قَبول توبة القاتل.

١٠ \_ أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله.

١١ ـ أن ما توعد الله به الكافرين والعاصين في الآخرة مشروط
 بعدم التوبة.

١٢ \_ فضل التوبة والترغيب فيها.

۱۳ \_ عِظم فضل الله على عباده، قال الحسن البصري: «انظروا الى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة»(١).

## ه وفي الآية الثانية:

١٤ ـ بشارة كل مَن آمن وعمل الصالحات من المؤمنين بالجنات،
 ويدخل فيهم دخولًا أوليًّا المؤمنون الذين فتنهم أصحاب الأخدود.

10 - أن مِن منهج القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، والأغلب تقديم الوعيد لأسباب تقتضي ذلك، وتقديم الوعيد في هذا الموضع ليتصل بالخبر عن أصحاب الأخدود، لأنهم أولى الناس بهذا الوعيد.

١٦ ـ اعتبار العمل في دخول الجنة، والرد على المرجئة.

١٧ \_ إثبات الجنة، وأن فيها أنهارًا.

تفسیر ابن کثیر (۱/ ۹٤).

١٨ ـ أن دخول الجنة هو الفوز الكبير، وقد وُصف الفوز بالجنة
 بأنه: كبير، وعظيم، ومبين.

١٩ - الإشارة إلى القريب في الذكر بإشارة البعيد لعلو قدره.

٢٠ ـ إثبات أسباب السعادة والشقاء.

ثم أكد الله الوعيد المتقدم، وتمدح سبحانه مثنيًا على نفسه بالأسماء والأوصاف المتضمنة لصفات الكمال؛ من البطش الشديد بالكافرين الظالمين، والمغفرة والمودة للمؤمنين والتائبين، ورفعة القدر وكمال القدرة والعلو على العالمين، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ بَطْنَسُ رَبِكَ لَشَدِيدُ ﴿ إِنَّهُ هُوَ بُبْدِئُ وَبَعِيدُ ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ وألم ألم المروح].

#### التفسير:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدُ ﴿ البطش: هو الأخذ بقوة وعنف، والمعنى: أن بطش الله بالكفرة الظالمين في غاية الشدة، وتأمل - أيها المسلم - كيف أخبر الله عن بطشه بأنه شديد، وأكده بـ (إنَّ)، وأضافه إلى نفسه جل وعز، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرَىٰ وَهِي ظَلِيمَةُ إِنَّ أَخَذَهُم البِيمُ شَدِيدُ ﴿ وَكَذَلِكَ الله منهم الله عنهم الله عنهم الله عنهم الله عنهم وتهديدًا لقومه أن ينتقم الله منهم.

 وعن ابن عباس أن المعنى: يُبدئ البطش في الدنيا ويعيده في الآخرة، ورجحه ابن جرير.

﴿وَهُوَ ٱلْعَنُورُ﴾؛ أي: كثير المغفرة لذنوب عباده، فيسترها ويتجاوز عنها، ﴿الْوَدُودُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ المحبة الأوليائه، فيحبهم ويحبونه، فالودود هو المحب المحبوب، بمعنى: وادّ ومودود، والودّ خالص المحبة.

﴿ وَ الْعَرْشِ اللَّهِ عَلَى هُ وَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الله اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الل

وقرأ حمزة والكسائي وخلَف بالجر، فيكون صفةً للعرش، أي: العظيم العالي.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ شدة بطش الله، والبطش هو الأخذ للنَّكال.
  - ٢ \_ تهديد الكافرين.
  - ٣ \_ تسلية المؤمنين وبشارتهم.

- ٤ \_ إثبات الربوبية الخاصة.
- ٥ \_ أنه تعالى المبدئ المعيد.
- ٦ \_ الإشارة إلى إثبات البعث، والرد على منكريه.
  - ٧ ـ أنه الغفور الودود.
  - ٨ \_ إثبات ما تتضمنه هذه الأسماء من الصفات.
    - ٩ \_ علو الله على خلقه واستواؤه على عرشه.
- ١٠ \_ إثبات العرش الذي هو أعلى المخلوقات، وعليه استوى
   الرب كيف شاء.
  - ١١ \_ سعة العرش ورفعتُه وحسنُه على قراءة الجر في (المجيد).
    - ١٢ \_ إثبات اسمه المجيد على قراءة الرفع.
    - ١٣ \_ إثبات صفة الفعل وصفة الإرادة الكونية.
      - ١٤ \_ كمال قدرته سبحانه على ما يريد فعله.
        - ١٥ \_ أنه تعالى لا يعجزه شيء.
- 17 \_ الرد على الفلاسفة في قولهم أنه موجِب بالذات، فلا فعلَ ولا إرادة (١).

#### 

ثم ذكّر الله بما فعله بالطغاة الكافرين مِن الإهلاك والتدمير بالغرق أو الصيحة؛ كفرعون وتمود، وما يُهدد الكافرين من بأس الله بسبب التكذيب بالقرآن، وهو الحق المحفوظ في أم الكتاب اللوح المحفوظ؛ فقال سبحانه:

<sup>(</sup>١) أي: إن صدور هذا العالم عن الله صدورٌ ذاتيٌّ، أي: لازم لذاته، لا عن فعل ولا عن إرادة؛ كصدور ضوء الشمس عن الشمس، وهذا هو القول بقدم العالم.

﴿ حَلَ أَنَكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿ فِي فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكَذِيبٍ
 ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَآيِهِم تَجِيطًا ﴿ اللَّهِ مَن قُرْءَانٌ تَجِيدٌ ﴿ فِي فِي قَرْمَ عَمْفُوطٍ ﴿ اللَّهِ مِن وَرَآيِهِم تَجِيطًا ﴾ الله مُو قُرْءَانٌ تَجِيدٌ ﴿ فِي فِي قَرْمَ عَمْفُوطٍ ﴿ اللَّهِ مِن وَرَآيِهِم تَجِيطًا ﴾ الله وج].

## 🛞 التفسير:

وَمَلَ أَنَكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ( الله هذا دليل لشدة بطشه تعالى، وفيه تأكيد لتهديد الكافرين وتسلية المؤمنين، وقوله: ( مَلَ أَنَكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ( الله المخطاب للنبي الله وهو لأمته أيضًا، والاستفهام للتقرير والتشويق، والمعنى: أليس قد بلغك حديث فرعون وثمود؟! أي: خبرهما وقصتهما، إنهما قصتان عظيمتان لأمتين كافرتين أهلكهما الله شرَّ إهلاك، فصار خبرهما حديثًا يتلى، ( الجُنُودِ ( الله وهم العسكر جمع جُند، وفيه إشارة إلى أنهم ذوو بأس، وأنهم في كامل قوتهم واستعدادهم، ومع ذلك فلم تنفعهم قوتهم أمام بأس الله وعذابه.

﴿ فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ ﴿ إِنَّهُ بِدِلَ مِنِ الْجِنُودِ، أَي: هم فرعون وثمود، وإنما خصهم بالذكر \_ والله أعلم \_ لتشابههم في الطغيان، ولقرب بلاد ثمود من الحجاز، وللمشابهة بين موسى الله المرسَل إلى فرعون، ومحمد الله رسول الله إلى قريش أولًا، وقد كانت قصة فرعون مشهورة عند العرب،

يُكذبون. ﴿وَأَلَقُهُ مِن وَرَآيِهِم تُحِيطُ ﴿ إِن اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِم محيط بهم من كل جهة، فلا يفوتونه ولا يعجزونه تعالى، فلو شاء لانتقم منهم.

وخص (الوراء) بالذكر؛ قيل: لأنه الجهة التي يخاف الإنسان أن يؤتى منها.

وَبَلْ هُوَ قُرُءَانٌ تَجِيدٌ ﴿ وَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله وَ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

﴿ وَ لَتَ مَعَفُوظٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى قراءة الأكثر بجر (محفوظ) صفة للوح، وأصل (اللوح) ما يكتب فيه، والمراد به لوح المقادير الذي هو في السماء، وهو الكتاب المبين، والإمام المبين، وأم الكتاب، والكتاب المكنون، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرُهَانٌ كُرِمٌ ﴿ فِي كِنَبِ مَكْنُونِ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلمُطَهَرُونَ ﴿ وَالواقعة].

وقرأ نافع برفع (محفوظ)، وصفًا للقرآن، فيكون دالًا على معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا ٱلدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ﴿ إِنَّا كَالِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ اللَّهُ عَلَى اللّه

# الفوائد والأحكام:

١ ـ تسلية النبي ﷺ والمؤمنين بما سبق في القرآن من قصص المكذبين وما فعل الله بهم.

٢ - تهديد الكافرين المكذبين بسُنَّة الله في الماضين.

٣ ـ أن ما في القرآن من قصصِ أُممِ الكفر حديثُ أيُّ حديث! ففيه
 عبرة للمعتبرين.

٤ ـ أن مِن أبلغ المواعظ قصة ثمود قوم صالح، وقصة فرعون،
 وما جرى عليهم من الإهلاك بالصيحة وبالغرق.

٥ ـ أن ما جرى عليهما وعلى غيرهما من ذوي الطغيان بفعله تعالى وإرادته.

٦ أن كفار قريش لم ينتفعوا بما جاءهم من أنباء الأمم قبلهم
 الذين أهلكوا بتكذيبهم لرسل الله، بل هم مغرقون في التكذيب اتباعًا
 لأهوائهم.

٧ ـ تهدید الله لکفار قریش وغیرهم بأنه من ورائهم محیط، فلا مفراً
 لهم من بأس الله.

٨ \_ إحاطة قدرة الله وعلمه بالكافرين وبكل شيء، ﴿ لِلْعَلَمُوا أَنَّ ٱللَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ لَا الطلاق].
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿ إِلَا الطلاق].

٩ \_ الرد على المكذبين بالقرآن الزاعمين أنه أساطير.

١٠ ـ أن القرآن حقٌّ عظيمُ القدر؛ لقوله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ نَجِيدٌ ﴿ اللهِ ١٠ ـ

١١ ـ أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، والمراد باللوح المحفوظ
 الكتاب الأول الذي هو أم الكتاب.

١٢ ـ إثبات اللوح، وهو كتاب المقادير.

١٣ - أن اللوح محفوظ لا يمسه إلا الملائكة المطهرون، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿ فَي كِنَبٍ مَكْنُونٍ ﴿ لَا يَمَسُهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

١٤ ـ أن القرآن محفوظ في اللوح، وهذا على قراءة الرفع.



هذه السورة مكية، وقد افتُتحت بقَسَمين مِن الله تعالى على أنَّ كل نفس عليها حافظ، وختمت بقَسَمين على أنَّ القرآن قولٌ فصل، وفيما بين ذلك ذَكَر اللهُ أحد أدلة البعث، وهو خلق الإنسان مِن الماء الدافق، فهذه ثلاثة أمور:

- ١ \_ حفظ الإنسان وحفظ عمله.
- ٢ ـ خلق الإنسان ورجوعُه إلى ربه.

٣ \_ أن القرآن حق فصل، وفي ذلك تكذيب للكافرين القائلين بأنه شعر أو سحر أو كهانة.

فالأمر الأول تضمنته الآيات الأربع الأولى، وأما الأمر الثاني ـ وهو خلق الإنسان ورجوعه إلى ربه ـ فتضمنته الآيات من الخامسة إلى العاشرة، وأما الأمر الثالث \_ وهو أن القرآن حق فصل، وليس بالهزل \_ فتضمنته الآبات الأخرة.

# الأيات:

 ﴿ وَٱلسَّمَآ وَالْطَارِقِ ﴿ وَمَا أَدُرَنَكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿ ٱلنَّخِمُ ٱلنَّاقِبُ ﴿ إِن كُلُّ نَفْسِ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿ إِلَّهُ الطَّارِقِ].

# 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّاءَ وَٱلطَّارِقِ ١ هَذَا قسم من الله ، والقسم من

طرق تأكيد الكلام، وأقسم الله بالسماء وبالطارق؛ لأنهما من مخلوقاته الباهرة، ولما فيهما من الآيات الظاهرة، والإقسام بهما دليلٌ على عظمة شأنهما وعظمة خالقهما.

وقد كثر في القرآن ذكر السماء والشمس والقمر، لما فيها مِن الدلالات على قدرة خالقها وحكمته ورحمته وعلمه.

﴿إِن كُلُّ نَفْسِ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظُ ﴿ إِلَّ هذا جوابِ القسم، (إِنَّ) نافية بمعنى ما، و(لـمَّا) ـ بتشديد الميم ـ بمعنى (إلا) الاستثنائية، أي: ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظها، ويحصي عليها عملها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَنْظِينَ ﴿ كَرَامًا كَنِينَ ﴿ وَعَلَي الله الانفطار]، وقال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ ﴾ [الانعام: ٦١]، وعُدي (حافظ) بـ(على) لتضمنه معنى القيام؛ لأن الملائكة قائمون على العباد بالمراقبة والحفظ.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي ﴿لَمَا﴾ بتخفيف الميم، فتكون مركبة من اللام الفارقة بين (إن) المخففة والثقيلة، و(ما) المزيدة

للتأكيد، و ﴿إِنَّهُ هِي المخففة، واسمها ضمير الشأن، والخبر جملة: ﴿ كُلُّ نَفْسِ لَعَلَيْهَا حَافَظ، فمآل القراءتين واحد.

# 🞕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ أن الله يقسم بما شاء من خلقه.
- ٢ ـ أن السماء من أعظم آيات الله الدالة على قدرته.
- ٣ ـ أن النجوم التي تطرق في الليل من دلائل قدرة الله.
- ٤ ـ البيان بعد الإبهام في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَنكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلنَّاقِبُ ۞ .
  - ٥ ـ التهويل بالإبهام والاستفهام.
  - ٦ ـ أن الطارق في الآية هو النجم الذي يخرق الظلام بنوره.
- - ٨ ـ الحث على العمل الصالح.
  - ٩ تهديد المكذبين بحفظ أعمالهم ومجازاتهم عليها.
- ١٠ الإشارة إلى إمكان البعث بالقسم وبالطارق؛ لما فيهما من الدلالة على القدرة.

#### 

ولما كان قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسِ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿ اللَّهِ مَشْعِرًا بِالْجِزَاءُ عَلَى النَّعِث الذي يكون على الأعمال = أمر الإنسان بالنظر فيما يدل على البعث الذي يكون الجزاء بعده، فقال تعالى:

﴿ فَلْمِنَظُو الْإِنسَانُ مِمْ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَا وَ دَافِقِ ۞ يَخْنُ مِنْ بَيْنِ السَّلْمِ وَالتَّمَالِيدِ ۞ إِنَّهُ عَلَى رَجْمِهِ لَقَادِرُ ۞ يَوْمَ ثُبْلَى السَّرَآبِرُ ۞ فَمَا لَهُ مِن قُوَةً وَلَا نَاصِرٍ ۞ [الطارق].

#### 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ وَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمْ خُلِقَ ﴿ الفاء لتفريع ما بعدها على ما قبلها، و﴿ الْإِنسَانُ ﴾ هو الكافر بدليل قوله: ﴿ فَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نامِرٍ على ما قبلها، و﴿ الْإِنسَانُ ﴾ هو الكافر بدليل قوله: ﴿ فَا لَهُ مِن أَي شيء ﴿ أَي: فِلنظر نظرَ اعتبارٍ وتفكر ﴿ مِمْ خُلِقَ ﴿ فَا الله عَن أَي مِن أَي شيء خلقه الله؟ و﴿ مِمْ أَصلها: (مِنْ)، و(ما) الاستفهامية، حذفت ألفها للخول حرف الجر عليها، والاستفهام للتقرير والتنبيه والتذكير بقدرة الخالق رَجَالُ، وفي الآية إشارة إلى ضعف مبدأ الإنسان.

وقال قتاده وغيره: من صلب الرجل ونحره (١)، وعليه فالترائب للرجل، وهو الموافق للفظ الآية ونظمها؛ فإن الله وصف الماء بأنه دافق، وهذا من شأن ماء الرجل، ولا ينافي ذلك أن الإنسان مخلوق من الماءين.

﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْمِهِ لَقَادِرٌ ﴿ ﴾؛ أي: إن الله قادر أكمل القدرة على إعادة الإنسان حيًا بعد موته، فلا يُعجزه، بل هو أهون عليه؛ لتقدم خلقه

<sup>(</sup>١) رواه ابن جرير الطبري (٢٤/ ٢٩٥).

الأول، كـمـا قـال: ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهُ ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي آنشَاَهَا أَوَّلَ مَتَرَةٍ وَهُوَ بِكُلِ خَلْقٍ عَلِيهُ ﴿ وَهُو بِكُلِ خَلْقٍ عَلِيهُ ﴿ الروم: ٢٧]، وقال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي آنشَاَهَا أَوَّلَ مَتَرَةٍ وَهُوَ بِكُلِ خَلْقٍ عَلِيهُ ﴿ الروم: ٢٧].

﴿ فَا لَهُ ﴾؛ أي: ليس للكافر المكذّب يوم القيامة ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ في نفسه يدفع بها العذاب ﴿ وَلَا نَاصِرِ ﴿ ﴾؛ أي: مِن الخارج، ينصره ويدفع عنه العذاب، و ﴿ مِن ﴾ مزيدة لتأكيد النفي، أي ليس له قوة على الإطلاق في ذلك اليوم.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

١ \_ أمر الإنسان بالتفكر في مبدأ خلقه.

٢ ـ أن التفكر طريق من طرق المعرفة، ولذا أثنى الله على
 المتفكرين في خلق السماوات والأرض.

٣ ـ أن خلق الله للإنسان من الماء (المني) يدل على إحيائه وبعثه بعد موته، وهذا أحد أدلة البعث في القرآن، وقد ثُنيت فيه كثيرًا، كما في سورة عبس والمرسلات والقيامة وغيرها.

٤ ـ أن المني الذي يُخلق منه الإنسان هو الدافق، وهو الذي يخرج
 عن شهوة، وهو الذي يُوجب الغسل، لا المني الذي يخرج مِن بَرد أو غيره.

ه أن أهم مصادر هذا الماء هو الصلب الذي هو فقرات الظهر،
 والترائب التي هي عظام الصدر.

٦ ـ إثبات قياس الأولى؛ إذ القادر على بدء الخلق هو على إعادته أقدر.

٧ - في الآيات عَلَمٌ من أعلام نبوته؛ حيث أخبر عن هذه الأمور الغيبية.

٨ ـ فيها شاهد لما يُسمى (الإعجاز العلمي).

٩ \_ أن الله قادر على رجع الإنسان؛ أي: إحيائه وبعثه بعد موته.

١٠ أن وقت رجوع الإنسان هو وقت القيامة، يوم تبلى السرائر
 وتكشف.

11 \_ أن الإنسان الكافر يوم القيامة ليس له أي قوة على دفع العذاب، وليس له أي ناصر يخلصه.

١٢ ـ أن المعول يوم القيامة على السرائر والبواطن.

ولما بيَّن الله تعالى أمر المعاد والبعث أقسم على صدق هذا الكتاب، فقال سبحانه:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّبِعِ ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ إِنَّهُ لَقُولًا فَصْلُ ۞ وَمَا هُوَ الْمَرْفِ وَاللَّمْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

#### التفسير:

قوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلنَّعِ ﴿ أَي: أُقسم بالسماء ذات الرجع، أي: المطر، من التسمية بالمصدر، فإنه مصدر رَجَع، وسمي المطر رجْعًا تفاؤلًا؛ لأنه يعود ويتكرر، ﴿وَالْأَرْضِ نَاتِ السَّنْعِ ﴿ اَي: وَأَقْسَمُ بِالأَرْضُ ذَاتِ الصَدع، أي: الشَّق الذي يخرج منه النبات بعد نزول المطر عليها، وفي هذا تذكير بنعم الله، وتنبيه إلى قدرته تعالى على إحياء الموتى، ويؤيد ذلك الجناسُ بين ﴿رَجْيهِ ﴾ و﴿ الرَجْعِ ﴿ اللهِ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ﴾ هذا جواب القسم، وهو المقسم عليه، أي: إن القرآن لقول فصل، أي: يفصل بين الحق والباطل، والإخبار بالمصدر لبيان بلوغه الغاية في ذلك، كأنه الفصل نفسه، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْمُزَلِ وَالْمُحَدِّ لَبِيانَ بلوغه أي: ليس هو باللعب، بل جِدٌّ كلُّه؛ لأنه كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

﴿إِنَّهُمْ يَكِدُونَ كَذَا ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهِ الْجَمِلَةُ مُستأَنفَة؛ فليست داخلة في جواب القسم، و(الكيد) هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، فهو بمعنى المكر، وإن كان لكل منهما دلالة، ﴿إِنَّهُ ﴾؛ أي: الكفار المكذبين للرسول عليه ﴿ يَكِدُونَ كَذَا ﴿ إِنَ كَانَ لَكُو مِنْهُمَا دُلُولًا عَظِيمًا لإطفاء نور الإسلام، وايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام، وصرف الناس عن الإيمان، ﴿ وَأَكِدُ

وَهَهِلِ الْكَفِرِينَ الْفَاء هي الفصيحة؛ أي: إذا كان الأمر كذلك فمهل الكافرين، أي: أنظرهم ولا تتعجل هلاكهم، وهذا قبل الإذن بالقتال، ووضع (الكافرين) موضع الضمير؛ ذمًّا لهم وتسجيلًا عليهم بعلة التهديد، وأَمْهِلَهُمْ رُوَيْلًا ( ) في أي: إمهالًا قليلًا، و(رويدًا) تصغير رُود بوزن عُود، تقول العرب: "فلان يمشي على رُود»، أي: على مهل، ويصغرونه على رُويد.

وفي الآية تثبيت للنبي على والمؤمنين، ووعد بالنصر، وتهديد للكافرين، وقوله: ﴿ أَمْ لِللّهُمْ رُولًا ﴿ آلَ اللّهُ عَلَي للجملة السابقة مع تغيير البنية؛ أعني في (مهلهم) و(أمهلهم)؛ فإن ذلك فيه زيادة التثبيت؛ لأن المعنى الواحد إذا عُبِّر عنه بلفظين مختلفين كانا كالمعنيين المختلفين، وهذا من البلاغة بمكان، وهو معروف في كلامهم، يريدون به إشباع المعنى والاتساع في الألفاظ، قال الشاعر:

وقدَّدتِ الأديمَ لراهِ شِيه وألفَى قولها كذبًا ومينا (١) والمين هو الكذب، وقول الآخر:

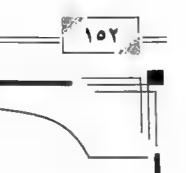
حُيِّيتَ مِن طَلَلِ تَقَادَم عَهَدُه أَقُوى وأَقَفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَم (٢) الإقواء والإقفار معناهما واحد.

<sup>(</sup>١) لعدي بن زيد في ذيل ديوانه (ص: ١٨٣).

<sup>(</sup>٢) لعنترة من معلقته، في ديوانه (ص: ١١٨)، وهو من معلقته المشهورة.

# 🥮 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ أن من آيات الله ونعمه رَجْعَ السماء بالمطر.
- ٢ ـ أن من آيات الله ونعمه تصدعَ الأرض بالنبات.
  - ٣ \_ أن القرآن حق.
- ٤ أن من صفات القرآن الفصل بين الحق والباطل والهدى والضلال، ولذا سُمى فرقانا.
  - ٥ \_ الرد على المكذبين بالقرآن الواصفين له بأنه هزل.
    - ٦ \_ ذم الهزل في الكلام.
- ٧ أن الكفار يكيدون للرسول على وللمؤمنين كيدًا عظيمًا ؛ أي يمكرون.
  - ٨ ـ أن الله يكيد الكافرين كيدًا عظيمًا.
    - ٩ \_ الجزاء من جنس العمل.
- ١٠ ـ أن الله يوصف بالكيد، وهو المكر، كقوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَكِرِينَ ﴿ الْانفال]، ففيه:
  - ١١ ـ الرد على الجهمية ومن وافقهم من نفاة الصفات.
    - ١٢ \_ إمهال الله للكافرين استدراجًا لهم.
- ١٣ ـ أمر الله لنبيه بالصبر وإمهال الكافرين، وذلك في مكة قبل الإذن بالقتال، قال تعالى: ﴿ أَذِنَ لِللَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿ أَنِهُ اللَّهِ عَلَىٰ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِمُ اللللَّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه



هذه السورة مكية، وكان النبي على يقرأ بها بعد الفاتحة في الركعة الأولى من صلاة الجمعة وصلاة العيدين (۱)، وفي الركعة الأولى من الوتر إذا أوتر بثلاث (۲)، وهي تسع عشرة آية، الخمس الأولى منها تضمنت الأمر بتسبيح اسمه سبحانه، وذكر بعض صفاته تعالى وأفعاله.

١٠ ـ تفسير سورة الأعلى

وتضمنت الآيات من (٦) إلى (٩) الامتنان من الله على رسوله عليه الصلاة والسلام والبشرى له بإقرائه القرآن، فيحفظه ولا ينساه إلا ما شاء الله، وبتيسيره للطريقة اليسرى، كما تضمنت أمره علي بتبليغ القرآن والتذكير به ما دام التذكير ينفع.

وتضمنت الآيات من (١٠) إلى آخر السورة بيان طريقي الناس بعد التذكير وعاقبة كل منهما، وتوبيخ المؤثرين للدنيا على الآخرة التي هي خير وأبقى، والإخبار أن هذه المعاني مذكورة في صحف إبراهيم وموسى.

<sup>(</sup>١) ينظر: ما أخرجه مسلم (٨٧٨)؛ من حديث النعمان بن بشير رَفِيُّهَا.

 <sup>(</sup>۲) ينظر: ما أخرجه أبو داود (۱٤٢٣)، والنسائي (۱٦٩٩)، وابن ماجه (۱۱۷۱)؛ من حديث أبي بن كعب را الله وصححه ابن حبان (۲٤٣٦)، وابن القطان في «الوهم والإيهام» (۲۸۳٤)، وقال الحاكم (۱۱،۱۳): «إسناده صحيح».

#### الآيات:

#### 🞕 التفسير:

قوله: ﴿ سَيِّحِ اَسَّمَ رَيِكَ الْأَعْلَى ﴿ الخطاب للنبي عَلَيْهُ ولأمته، أي: نزه ربك عن النقائص والعيوب، وعن كل ما لا يليق به تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وذِكْر الاسم يدل على أن التسبيح يكون بالتلفظ باسم الرب باللسان (١)، فينزه العبد ربه بلسانه كما يُنزِّهه بجنانه.

﴿ الْأَعْلَى ﴿ الْأَعْلَى ﴿ الْأَعْلَى عَلَى كُلُ شَيَّ بَجَمِيعِ أَنُواعِ الْعَلُو؛ ذَاتًا وقدرًا وقهرًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ كُلُ شَيَّ بَجَمِيعِ أَنُواعِ الْعَلُو؛ ذَاتًا وقدرًا وقهرًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّه

وْالَّذِى خَلَقَ فَسَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَوَىٰ فَلَ فَلَا إَشَارة إلى فأتقن خلقها، وجعلها مستوية في أحسن تقويم، وفي هذا إشارة إلى كمال قدرته تعالى وعلمه وحكمته، والفاء للترتيب والتعقيب، وحَذْفُ مفعولي: وَخَلْقَ وَ وَسُوَّى ﴾؛ لإفادة التعميم.

﴿ وَاللَّذِى قَلَّا فَهَدَىٰ ﴿ مِن التقدير؛ أي: جعل لكل شيء قدرًا في: ذاته، وصفته، وفعله، وأجله، وكلِّ ما يتعلق به، كما قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلُ مَا يَتعلق به، كما قال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كَالُّ مَنَّ مِ فَهَدَّنَّهُ لَقَدَّرَّهُ لَقَدْرَهُ لَقَدِيرًا ﴿ فَهَدَىٰ كَالَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّا اللَّلَّا اللَّهُ اللّ

<sup>(</sup>۱) قال ابن القيم: "عبر لي أبو العباس ابن تيمية \_ قدس الله روحه \_ عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة، فقال: "المعنى: سبح ربك ذاكرًا اسمه". وهذه الفائدة تساوي رحلة، لكن لمن يعرف قدرها؛ فالحمد لله المنّان بفضله، ونسأله تمام نعمته". بدائع الفوائد (۲/۱۳).

مخلوق إلى ما يناسبه؛ فهدى الإنسان إلى الخير والشر، والأنعام إلى مصالحها وعلَّمها أسباب بقائها، كما قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَدُهُ مُمُ مَصَالحها وعلَّمها أسباب بقائها، كما قال تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَدُهُ مُمُ هَدَىٰ ﴿فَكَنْ إِنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى هَدَىٰ ﴿فَدَى مَفْعُولِي ﴿فَذَنْ وَ﴿هُدَى ﴾؛ للدلالة على العموم، فيعم كلَّ مَا قدَّره وكلَّ مَن هداه.

﴿ وَٱلَّذِى آخَرَ اللَّمْ فَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّالِي الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

وفي الآيات الكريمة وقع العطف بالواو مع أن الموصوف واحد، وذلك لتغاير الصفات، وهذا معروف في كلامهم، فإن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى، تنزيلًا لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، كما قال الشاعر:

إلى المَلكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَا م وليْثِ الكتيبَةِ في المُزْدَحَمُ (١) وأكثر ما يكون هذا العطف بالواو في الأسماء الموصولة، كما في هذه السورة، وكما في أول سورة المؤمنون.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

۱ - الأمر بتسبيحه تعالى مع ذكر اسمه سبحانه، وقد أمر النبي ﷺ أن يكون هذا التسبيح في السجود، حيث قال: «اجعلوها في سجودكم» (۲)

 <sup>(</sup>۱) البيت غير منسوب في معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٥) والكشاف (١/ ١٣٣) وفي غيرهما من كتب التفسير، ولا نسب أيضًا في كتب اللغة.

 <sup>(</sup>۲) أخرجه أبو داود (۸٦٩)، وابن ماجه (۸۸۷)؛ من حديث عقبة بن عامر رشي . صححه ابن حبان (۱۸۹۸)، والحاكم (۳۷۸۳)، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده النووي في المجموع (۳/۳۱).

- ٢ \_ وجوب تسبيح أسمائه تعالى عن كل إلحاد.
- ٣ ـ وجوب تسبيحه تعالى عن كل نقص وعيب.
- ٤ ـ إثبات الربوبية لله تعالى، لقوله: ﴿ سَيْحَ اللَّهُ الْأَعْلَى ﴿ ﴾ وهي الربوبية الخاصة للعابدين والذاكرين، كما تفيده الإضافة.
- ٥ \_ إثبات الربوبية العامة، كما يفيده ما ذُكر من الأفعال في قوله:
   ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿ ﴾ الآيات.
- ٦ ـ أن من أسمائه سبحانه (الأعلى)، وهو أبلغ مِن (العليّ)، فله
   سبحانه العلو بكل معانيه.
  - ٧ ـ أنه تعالى خالق كلِّ شيء ومُسويه.
  - ٨ ـ أنه تعالى هو الذي قدَّر مقادير الخلق.
- ٩ ـ أنه تعالى هو الهادي لخلقه؛ الهداية العامة والخاصة، الكونية والشرعية.
- ۱۰ ـ توقف اهتداء العبد على هدى الله، كتوقف وجوده على خلق الله له.
- ١١ ـ أنه تعالى هو الذي أخرج النبات الذي ترعاه بهيمة الأنعام.
   ١٢ ـ أنه تعالى هو الذي يجعل النبات بعد الخضرة والنّضرة غثاء أصفر، وأحوى؛ أي: أسود.
- ١٣ \_ الامتنان من الله على عباده؛ بأن خلقهم فسواهم وهداهم، وأخرج ما ترعاه بهائمهم.
- ١٤ ـ الإشارة إلى قدرته تعالى على البعث بذكر دليلين: خلق الناس، وإخراج النبات.

١٥ \_ إثبات كمال قدرته رياق

١٦ \_ إثبات قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه.

١٧ ـ الرّد على نفاة الأفعال؛ مِن الجهمية ومَن تبعهم.
 ■ ■ ■ ●

ولما ذكر الله دلائل قدرته ووحدانيته وهدايته العامة ذكر فضله وإنعامه على رسوله وهدايته الخاصة له وإنعامه عليه بالوحي، فقال سبحانه:

﴿ وَمُنْفَرِثُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ بِعَلَمُ ٱلجُهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿ وَنُبُسِيرُكَ لِللِّمْرَىٰ ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿ وَمُا يَخْفَىٰ ﴾ وَنُبُسِيرُكَ لِللَّيْسَرَىٰ ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ وَنُبُسِيرُكَ لِللَّهُ مَرَىٰ ﴿ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ والأعلى].

#### 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ سَنُقُرِئُكَ فَلَا تَسَى ﴿ فَهُ اللهِ النبي اللهِ النبي اللهِ النبي اللهِ النبي اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وفي الآية \_ مع ما سبق \_ التفات مِن الغَيبة إلى التكلم؛ لأنه مقام وعدٍ وضمان، ولهذا أكده بالسين.

وفي الآية بشارة من الله تعالى لنبيه على أنه سيقرأ القرآن ويحفظه ولا ينسى منه شيئًا، وتلك معجزة له عليه الصلاة والسلام؛ فمع أنّه أمينًا لا يقرأ ولا يكتب، وليس راوية للأشعار والأخبار، فإن الله يسر له حفظ القرآن ووعده باستمرار الوحي - كما يفيده الفعل المضارع ﴿سَنُقُرِئُكَ﴾ وقد وقع ذلك حقًا، وأمّنه مِن نسيانه، مع أن القرآن نفسه معجزة، وفي الصحيحين عن عائشة على أن النبي على سمع رجلًا يقرأ مِن الليل فقال:

"يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آيةً، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» (١)، والله تعالى لا يُقرُّه على النسيان.

و(لا) في قوله: ﴿ وَلَلَا تَسَى ﴿ قَالَهُ نَافَيةٌ وليست ناهية؛ لثبوت الألف في المصاحف، ولأن الإنسان لا يُنهى عن النسيان؛ لأن ذلك خارج عن الاستطاعة فلا ينهى عنه.

وقوله: ﴿ إِلَّا مَا شَاآءَ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: إلا ما شاء الله أن تنساه، وهو ما قضى الله بنسخه لحكمة، وأن ترفع تلاوته وحُكمه، ﴿ يَمْخُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآهُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩].

قوله: ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿ آَ ﴾؛ أي: يعلم ما يعلنه العباد من الأقوال والأفعال، وما يخفونه، فالله لا تخفى عليه خافيه، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَنَ وَنَعْلَمُ مَا نُوسَوشُ بِهِ، نَفْسُمُ ﴿ [ق: ١٦].

قوله: ﴿وَنُيسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿ وَمَا يَخْفَى على قوله: ﴿ سَنُقُرِثُكَ فَلَا نَسَى الله وجملة ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْمِهْرُ وَمَا يَخْفَى ﴿ وَمَا يَخْفَى ﴿ معترضة للتعليل، و(اليُسرى) مؤنث الأيسر؛ أي: نوفقك توفيقًا مستمرًا للطريقة التي هي أيسر وأسهل، وهي كل ما فيه خيرٌ له ولأمته في الدنيا والآخرة، وتخفيفٌ عليهم، ومن ذلك أن الله حفظ له الوحي، واختار له الحنيفية السمحة، وجعل دينه يسرًا لا حرج فيه.

قوله: ﴿ فَذَكِرُ إِن نَفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿ الفَاء هي الفصيحة، أي: حيث هيأ الله لك ذلك الإقراء والتيسير فذكر الناس جميعًا بالقرآن؛ أي: دُم على التذكير والوعظ، وخُصَّ بعنايتك مَن ينتفع بموعظتك، ومن عداهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِرٌ وَالْقُرْءَانِ مَن يَخَانُ وَعِيدٍ ﴿ فَذَكِرٌ وَالْقُرْءَانِ مَن .

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٠٣٨)، ومسلم (٧٨٨)؛ من حديث عائشة ﴿ إِنَّهَا.

## 🖓 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن القرآن وحي من عند الله، لا مِن إنشاء الرسول ﷺ.

٢ ـ بشارة النبي ﷺ بحفظه للقرآن، فلا ينساه.

٣ ـ أن مرد هذا الحفظ والنسيان إلى مشيئة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٤ - أن الله قد يشاء أن يُنسي النبي عَلَيْ بعض الآيات، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ مَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦].

٥ \_ جواز النسخ في القرآن.

٦ \_ إثبات المشيئة لله تعالى.

٧ ـ إثبات إحاطة علمه تعالى بالجهر والإخفاء.

٨ ـ بشارة الله لنبيه عليه أن ييسره لأيسر الطرق فيما شرع له.

٩ ـ تيسير حفظ القرآن وفهمه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَرَّنَا ٱلْقُرْءَانَ لِللَّهِ مِن مُدَّكِرٍ ﴿ إِن القمراء.
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ ﴿ إِن القمراء.

١٠ ـ أن شريعة النبي ﷺ قائمة على اليسر ورفع الحرج.

١١ ـ أن مِنْ شكر الله على نعمة العلم: التعليم والتذكير.

١٢ ـ وجوب تبليغ القرآن والتذكير به، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِرَ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعِلْمُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهُ ال

17 ـ أن التذكير بالقرآن في نفسه منفعة للمُذَكِّر، وعلى هذا فلا مفهوم للشرط في الآية. وإن كان المراد منفعة المذَكَّر بالتذكر أو المنفعة العامة، فيدخل فيها البيان وإقامة الحجة، فيكون للشرط مفهوم. وعليه فإذا لم يحصل تذكر وقد قامت الحجة فلا يشرع التذكير حينئذٍ، خصوصًا إذا حصل من المعرضين عناد وشر وعدوان، والله أعلم.

لما أمر الله نبيه بالتذكير بيَّن تعالى أقسام الناس بعد هذا التذكير، فقال سبحانه:

﴿ وَسَيَذَكُرُ مَن يَخْشَىٰ ۞ وَيَنَجَنَبُهُا ٱلأَشْفَى ۞ الَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلكُبْرَىٰ ۞ ثُمَّ لَا يَسُوتُ فِيهَا وَلَا يَجْنَى ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ۞ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِهِ فَصَلَّى ۞ بَلْ يَسُوتُ فِيهَا وَلَا يَجْنَى ۞ وَلَا يَعْنَى ۞ وَلَا يَسْمَ اللهِ عَلَى الصَّبَحُفِ الْأُولَى تُوْثِرُونَ ٱلْحَيَوْةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَالْاَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّ هَلَذَا لَغِي ٱلصَّبَحُفِ ٱلْأُولَى صَعْفِ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ ۞ وَالْاَحِلَى].

#### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿ سَيَذُكُرُ مَن يَخْتَىٰ ﴿ اَي: سينتفع بهذا التذكير والموعظة من يخاف الله، والخشية نوع من الخوف لكن يصاحبها تعظيم للمخوف منه وعلم به، فهي أخص من الخوف، ﴿ وَيَنَجَنَّهُم اللَّشْقَى ﴿ اَي: البالغ الشقاوة، وهو الكافر، كما ويعرض عن الموعظة الأشقى؛ أي: البالغ الشقاوة، وهو الكافر، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَنِي النَّارِ ﴾ [هود: ١٠٦]، والشقاء ضد السعادة، قال تعالى: ﴿ فَينّهُ مُ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿ اَلَهُ اللَّهُ اللَّهُ الشَّقَاوة الشقاوة مقاساة أنواع الآلام الجسدية والنفسية، وأعظم ذلك ما يكون لأهل النار، ولذا قال هنا في وعيد الأشقى: ﴿ اللَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكَبْرَىٰ ﴿ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللهُ الللللهُ الللللهُ اللللهُ الللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ

قوله: ﴿ ثُمُّ لَا يَنُونُ فِيهَا وَلَا يَخِيَىٰ ۞ ﴾؛ أي: لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة هنيئة فينتفع بها، فحياته في النار شقاء وعذاب، قال تعالى: ﴿ لَا يُغْفَنُ عَنْهُم مِنْ عَذَابِها ﴾ [فاطر: ٣٦].

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله

والعطف بـ(ثم) للترتيب والتراخي، إشارة ـ والله أعلم ـ إلى الخلود في النار؛ لأنهم لو خرجوا منها لخرجوا أمواتًا أو أحياء، فنجوا من العذاب في كلِّ من الحالين.

ولما ذكر وعيد الأشقى المعرض عن الذكرى ذكر وعد الذي يخشى ويتذكر بالذكرى، فزكى نفسه بالإيمان والتوحيد والذكر والصلاة، فقال: ﴿قَدْ أَنْكُمْ مَن تَزَكَّى ﴿ وَذَكَرَ السَّمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ وَقَلَهُ اللَّهُ وَقَدْ فَاز بكل مراد، وذكر الفلاح بصيغة الماضي لتحقق وقوعه، وقوله: ﴿ تَزَكَّ ﴿ الله وَ أَي الله ولله وسائر المعاصي، ﴿ وَذَكَرَ الله على فَصَلَّى ﴿ وَفَكَرَ الله على الذلالة على الذكر باللسان، كما تقدم في أول السورة، وقوله: ﴿ وَفَكَلَ الله والنافلة.

وقوله: ﴿وَذَكَرُ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ يَعِمَلُ أَن يراد به الذكر العام من التهليل والتسبيح والتكبير، مما يبعث على آداء ما افترض الله، وأعظم ذلك الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِلْإِحْرِى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ اللِحِرامِ التي يحصل إله المعالى الله فكر خاص، وهو تكبيرة الإحرام التي يحصل بها الدخول في الصلاة، والآية عامة، وبهذا يظهر عطف الصلاة على الذكر بالفاء.

وقيل: المراد زكاة الفطر وصلاة العيد، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.

 والخطاب للكافرين كما يدل عليه السياق، ويدل عليه أيضًا قراءة أبي عمرو: ﴿ بَلِ تُؤْثِرُونَ ﴾ على الغيبة، ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَابْقَىٰ ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَالْقَالِمُ وَالسرور الدائم والحال أن الآخرة خير؛ لما فيها من النعيم المقيم والسرور الدائم ﴿ وَابْقَىٰ ﴿ وَالْ يلحقها زوال، خلافًا للدنيا، فإنها فانية، فكيف يقدّم الفاني على الباقي؟!

وإِنَّ هَاذَا لَفِي الصِّحُفِ الْأُولَى إِلَى صُحُفِ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ إِلَى السَمسار الله ما تقدم من قوله: ﴿ قَدْ أَقَلَحَ مَن تَزَكَّى إِلَى الله الله الأربع، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير، أي: إن معنى هذا الكلام مذكور في الصحف الأولى المتقدمة التي أنزلها الله على إبراهيم الخليل وموسى الكليم، وهما أفضل أولي العزم بعد محمد صلى الله عليهم وسلم، والقرآن مصدق لها، وذلك المعنى مما اتفقت عليه الشرائع كلها، ونظير هذه الآيات قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَأُ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ إِنَّ وَإِبْرَهِيمَ اللهِ عَلَى أَرْدُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ النجم].

# ∰ الفوائد والأحكام:

1 \_ أن المنتفعين بالتذكرة هم أهل الخشية، وهم المؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نَنفَعُ المُؤْمِنِينَ ﴿ الذاريات]، فيدخل في ذلك من تذكر مِن الكافرين فآمن واتبع الذكر، وكذا المؤمن إذا ذُكِّر فتذكر وازداد بالتذكير إيمانًا.

٢ ـ أنه لا يعرض عن دعوة الرسول على الناس عن دعوة الرسول على كفره .

٣ ـ أن عاقبة الكفر دخول النار التي أعدت للكافرين.

٤ ـ أن هذه العاقبة أعظم شقاءٍ وخزي: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ

أَخْرَيْتُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

٥ ـ أن هذه النار المعدة للكافرين أكبر نار، وفي معناها قوله تعالى:
 ﴿إِلَّا مَن تَوَكَّى وَكَفَرَ شَى فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ شَا﴾ [الغاشية].

٦ - أن الكافر في النار لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة سعيدة
 بل حياة شقاء.

٧ ـ أن من تذكّر وزكى نفسه بطاعة الله ـ ومن أعظم ذلك الصلاة ـ فعاقبته الفلاح، وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٨ ـ توبيخ الله لمن يؤثر الدنيا على الآخرة.

٩ ـ أن أعظم الجهل والسفه إيثار حظوظ الدنيا الفانية على حظوظ الآخرة، التي هي خير وأبقى.

١٠ \_ أن المذموم هو إيثار الدنيا لا مجرد محبتها المحبة الطبيعية.

١١ \_ أن مِنْ كُتِب الله صحف إبراهيم وموسى.

17 \_ أن ما ذكر في هذه السورة من المعاني هو مذكور في تلك الصحف.

۱۳ ـ فضل إبراهيم وموسى ﷺ.





هذه السورة مكية، وكان النبي يَقِيرًا بها بعد الفاتحة في الركعة الثانية من صلاة الجمعة وصلاة العيدين (١)، وآياتها ستّ وعشرون؛ ففي الآية الأولى ذكر اسم من أسماء القيامة، وست آيات بعدها في وعيد الأشقياء، وتسع بعدها في شأن السعداء، وأربع بعدها في أظهر الآيات الأخيرة في التذكير وبيان عاقبة المعرضين عن الذكرى، وأن مرد العباد كلهم لله. ولها شبه بسورة سبح اسم ربك الأعلى من وجوه: المعرفي الأشقياء والسعداء، وما أعد لهما في الآخرة، إلا أن ذلك مفصّل في سورة الغاشية، كما في الآيات مِن أول السورة إلى الآية السادسة عشرة.

٢ ـ أمر الله نبيه ﷺ بالتذكير.

٣ \_ وصف النار بالكبرى في الأعلى، ووصف عذابها بالأكبر في الغاشية.

## 緣 الآيات:

﴿ هُلَ أَنَكَ حَدِيثُ ٱلْعَنشِيَةِ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَهِذٍ خَنشِعَةً ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴿ عَامِلَةٌ مَا مَامُ مَا مَامُ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ تَصْلَى نَارًا حَامِيةً ﴿ لَا يُعْنِى مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية].

#### 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ مَلْ أَتَنكَ مَدِيثُ ٱلْفَنشِيَةِ ١ الخطاب للنبي عَلَيْهُ،

<sup>(</sup>١) سبق تخريجه في تفسير سورة (سبِّح).

والاستفهام في قوله: ﴿ هَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ ٱلْعَنشِيَةِ ﴿ وَجُوهٌ يُومَينٍ خَشِعَةً ﴿ لَهُ لَلْتَقرير والتهويل والتشويق والتنبيه إلى أن هذا من الأحاديث العظيمة التي ينبغي أن يتحدث بها، وسمَّى الله القيامة في القرآن بأسماء كثيرة باعتبار صفاتها؛ تخويفًا وتحقيقًا: كالواقعة، والحاقة، والقارعة، والطامة، والصاخة.

﴿وَجُوهُ ﴾؛ أي: وجوه الكفار والمنافقين، وهي مبتدأ، وسوغ الابتداء بها أنها في مقام التنويع، وقوله: ﴿خَاشِعَةٌ ﴿ ﴾ و﴿عَامِلَةٌ اللهِ أَخِار، وقدَّم ذكرَ أهل النار؛ لأنه أدخل في تهويل الغاشية.

وكني بـ (الوجوه) عن أصحابها؛ لظهور آثار الذل عليها، ﴿عَامِلَةٌ ﴾؛ أي: في النار بجر السلاسل وحمل الأغلال ومكابدة الأهوال، ﴿وَالْصِبَةُ اللَّهُ اللَّلَّا اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّه

عمل حتى تعب، وكأن هذا \_ والله أعلم ـ عقوبة من الله لهم حيث تركوا الخشوع له والعمل في الدنيا.

وْتَصَّلَىٰ ﴾؛ أي: تدخل وتباشر وْنَارًا حَامِيةُ الله الله الله الحر مستمرة مما أحميت، يقال: «حَمِيَ التَّنور» إذا اشتد حره، فتلك الوجوه مستمرة في مقاساة حر النار البالغ النهاية، كما يفيده تنكير النار ووصفها بالحامية.

هذا شراب أهل النار، وأما طعامهم فقال فيه: ﴿ لَيْسَ هُمُ طُعَامُ ﴾ أصلًا، ﴿ إِلَّا مِن ضَرِيعِ ۞ وهو (الشّبْرِق) اليابس: نباتُ ذو شوك لا تقربه الدّواب لخبثه وسوء عاقبته، ثم هو ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۞ ﴾ أي: لا فائدة فيه، فلا ينفع البدن ولا يدفع غائلة الجوع، والمراد أن مِن طعام أهل النار نبتًا يشبه الضّريع في عدم نفعه وغنائه، وإن لم يكن مثله في حقيقته، كما هو الشأن في سائر حقائق الآخرة مع حقائق الدنيا، بل هو طعام غاية في الخبث وفي سوء تجرعه.

والقصر في الآية للتأكيد، فهو إضافي؛ أي: نسبي، بدليل أنه جاء في القرآن أن من طعام أهل النار الغسلين والزقوم.

ويحتمل أن المعذبين على طبقات، والعذاب ألوان؛ فمنهم من طعامه الغسلين، طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، لكل باب منهم جزء مقسوم، نسأل الله النجاة بمنّه.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ التنبيه إلى عظم شأن القيامة.
- ٢ \_ أن من أسماء القيامة الغاشية.
- ٣ ـ أن الناس يوم القيامة فريقان أشقياء وسعداء.
  - ٤ ـ التعبير عن الفريقين بالوجوه.
- دكر أصناف عذاب الأشقياء؛ من الذل، والعمل الشاق،
   وصلي النار، والسقي من الحميم، وطعام الضريع.
  - ٦ ـ أن لأهل النار فيها طعامًا وشرابًا، وبئس الطعام والشراب!
- ٧ ـ التنبيه إلى شدة حرارة جهنم، لقوله: ﴿ عَامِيَةُ ۞ ﴿ وَ﴿ ءَانِيَةٍ ۞ ﴾.
- ٨ ـ أن من عذاب الآخرة ما هو حسى من المطاعم والمشارب والأغلال، ففيها:
  - ٩ ـ الرد على الفلاسفة القائلين بأن النعيم والعذاب أمور رُوحانية.
- ١٠ أن حقيقة نار الآخرة وما فيها وأحوال أهلها لا تماثل حقائق
   ما في الدنيا.
- هذا كله على القول الراجح في تفسير الآية، وأنها في وصف حال القيامة.

ولما ذكر الله أحوال الكافرين وما أعده لهم من العذاب والنكال في النار، أتبعه بذكر أحوال المؤمنين، وما هيأ لهم من النعيم في الجنة، جمعًا بين الزجر والترغيب، فإن من الناس من لا يجدي فيه إلا الوعيد، ومنهم من لا يدفعه إلا الوعد، فقال سبحانه:

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَهِذِ تَاعِمَةٌ ۞ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ لَا تَشْمَعُ فِيهَا لَانِينَةُ ۞ وَعَالِيَةٍ ۞ وَأَكُوابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞ وَغَالِونُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَأَكُوابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞ وَغَالِونُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَائِنُ مَبْنُونَةُ ۞ [الغاشية].

#### 🛞 التفسير:

قـولـه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَبِذِ نَاعِمَةٌ ۞﴾؛ أي: ووجـوه، وهـو مـبــــدأ، و﴿نَاعِمَةٌ ۞﴾ وَوَرَاضِيَةٌ ۞﴾ ووفي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞﴾ أخبار.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَبِذِ نَاعِمَةٌ ﴿ ﴾ هي وجوه المؤمنين، يومئذُ تغشى الناس القيامة، ﴿نَاعِمَةٌ ﴿ ﴾؛ أي: وضيئة مبتهجة بثواب ربها متنعمة به في الجنة، كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿ ﴾ [المطففين].

﴿ لِسَعْبِهَا رَاضِيةٌ ﴿ إِنَ الْهِ اللهِ عَمِلُهَا الذي عَمِلَتِه في الدنيا راضية ، لما لقيت من ثمرته ، فاللام متعلقة بـ ﴿ رَاضِيةٌ ﴿ إِنَ التقدير : راضية لسعيها ، واللام لتقوية التعدية ، لضعف اسم الفاعل عن العمل في الفعل ، ولضعفه أيضًا بتقديم المعمول .

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿ ﴾؛ أي: مرتفعة مكانًا وقدرًا، حسًّا ومعنَّى، وتنكير جنة للتعظيم، ﴿ لَا تَسْمَعُ فِهَا لَنِيَةً ۞ الخطاب لكل من يصلح له، أي: لا تسمع فيها لغوًا، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِهَا لَغُوا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ إلَّا قِيلًا سَلَمًا شَكُمًا شَكَا الله [الواقعة].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب: ﴿ لاَ تَتَمَعُ فِهَا لَغِيةً ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ على أَن العِنة دار كرامة بريئة من الباطل، وفيها إشارة إلى أن المؤمن عليه أن ينأى بنفسه عن اللغو والباطل.

﴿ وَيُهَا ﴾؛ أي: في الجنة ﴿ عَيْنٌ جَارِيةٌ ﴿ الله تتدفق على وجه الأرض من غير أخدود إلى حيث يريد أهلها، لا ينقطع ماؤها، والمراد الجنس؛ أي: عيون. ﴿ وَيُهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿ الله ﴾؛ أي: عالمة بنفسها وبما عليها من الفرش الوثيرة، ﴿ وَاَكُوابُ مَوْضُوعَةٌ ﴿ الله ﴾ أي: معدة بين أيديهم فلا تُرفع، فيشربون بها متى شاؤوا من أشربة الجنة، و(الأكواب) جمع كُوب، وهو الكوز الذي لا عروة له، فهو صالح للشرب من كل جهة، ﴿ وَهَارِفُ جمع نُمرقة، وهي الوسادة يُستند إليها ويُتَكا عليها، ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴿ الله ﴾؛ أي: بُسط كثيرة فاخرة، جمع برَّبِيّة، ﴿ مَبْثُونَةٌ ﴿ الله ﴾؛ أي: بُسط كثيرة فاخرة، جمع رَرْبِيّة، ﴿ مَبْثُونَةٌ ﴿ الله ﴾؛ أي: مبسوطة ومفرَّقة في كل مكان من مجالسهم، وهذا من كمال النعيم والرفاهية، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ جواز حذف حرف العطف؛ الواو.
- ٢ أن وجوه المؤمنين يوم القيامة تكون ناعمة؛ أي: يظهر عليها أثر النعيم بالبشر والسرور.
- ٣ أن المؤمنين في ذلك اليوم راضون سعيهم، وهو عملهم
   الصالح، لأنه أفضى بهم إلى السعادة.
- ٤ أن المؤمنين يصيرون يوم القيامة إلى الجنة التي أعدها للمتقين.
- ٥ ـ أن الجنة عالية، وهي درجات، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنَا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّلِحَنِ فَأُولَتِكَ لَمُمُ ٱلدَّرَجَنْتُ ٱلْعُلَى ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَمِلَ ٱلصَّلِحَنِ فَأُولَتِهِكَ لَمُمُ ٱلدَّرَجَنْتُ ٱلْعُلَى ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَمِلَ ٱلصَّلِحَنِ فَأُولَتِهِكَ لَمُمُ ٱلدَّرَجَنْتُ ٱلْعُلَى ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَمِلَ السَّالِحَنْتِ فَأُولَتِهِكَ لَمُعُمُ الدَّرَجَنْتُ ٱلْعُلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَمِلَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَمِلَ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ
- ٦ ـ أن الجنة خالية من لغو الكلام، فلا يسمع فيها إلا ما هو سالم
   من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِنْهَا لَغُوًّا إِلَّا سَلَنَمًا ﴾ [مريم: ٦٢].

٧ ـ أن في الجنة عيونًا جارية بأنواع الشراب.

٨ - أن في مجالس الجنة سررًا مرفوعة؛ أي: رفيعة، وأكوابًا موضوعة في المجالس؛ زينةً وإعدادا، ونمارق؛ أي: وسائد مصفوفة بعضها إلى بعضها، وزرابي مبثوثة؛ أي: مبسوطة.

٩ \_ أن في الجنة ما تلذه الأسماع والعيون.

١٠ \_ أن من نعيم الجنة أنواع الشراب.

١١ \_ أن من نعيم الجنة أثاث المجالس.

١٢ \_ أن من نعيم الجنة ما هو حسي؛ من المطاعم والمشارب والأشجار والقصور والأنهار، ففيها:

17 \_ الرد على الفلاسفة القائلين بأن النعيم والعذاب أمور رُوحانية.

١٤ \_ التشويق إلى الجنة بذكر ما فيها من أصناف النعيم. نسأل الله من فضله.

#### 

وبعد ذكر القيامة ومصير الأشقياء والسعداء، انتقل السياق إلى توبيخ المعرضين عن الإيمان وعن النظر في آيات الله الدالة على توحيده وقدرته على البعث، وذكر منها أربع آيات: خلق الإبل، ونصب الجبال، ورفع السماء، وبسط الأرض.

ثم أمر الله نبيه على بالتذكير بآيات الله الكونية وآياته الشرعية، وما تضمنته من الوعد والوعيد، وأخبره أن هذا هو وظيفته على وختمت السورة بأن إليه سبحانه المآب، وعليه الحساب، قال تعالى:

﴿ وَأَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتْ ﴿ وَإِلَى ٱلشَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى الشَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿ فَاذَكِّرْ إِنِّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ الْجَبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿ وَلَنَ وَلَكُ وَكُفَرَ ﴿ وَاللَّهُ الْعَذَابَ مَنْ قَوْلَى وَكَفَرَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ اللَّهُ الْعَذَابَ اللَّهُ الْعَذَابَ اللَّهُ الْعَذَابَ اللَّهُ الْعَذَابَ اللَّهُ اللَّهُ الْعَذَابَ مَنْ قَوْلَى وَكُفَرَ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ الل

#### 🞕 التفسير:

قوله: ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ ﴾ بأبصارهم نظر تفكر واعتبار، والاستفهام للإنكار والتوبيخ؛ أي: أأعرضوا (١) فلا ينظرون ﴿إِلَى ٱلإِبلِ ﴾ وهو الحيوان المعروف، والإبل جمع لا واحد له من لفظه، ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ هَا الخلق البديع العجيب في عظم جسمها، وشدة قوتها، بحيث تُحمل عليها الأحمال وهي باركة، ثم تقوم بيسر، وهي آية في الصبر على الجوع والعطش أيامًا، وترعى كل نبات، كثيرة المنافع، بحيث يشرب لبنها ويؤكل لحمها ويلبس من وبرها، وتنقاد للكبير والصغير، وهي أنفس أموال العرب.

وَوَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ( أَي: بلا عمد، وما زينت به من النجوم والشمس والقمر، وَوَإِلَى ٱلْجِبَالِ الشامخة وَكَيْفَ نُصِبَتْ ( النجوم والشمس والقمر، ووَإِلَى ٱلْجِبَالِ الشامخة وكَيْفَ نُصِبَتْ ( الله اي : جعلت منتصبة على وجه الأرض نصبًا ثابتًا، فصارت لها كالأوتاد، ويلوذ بها الناس، ويتخذونها أعلامًا للطرق، ويتخذون منها بيوتًا، ووَإِلَى اللهُرَضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ( أَي : بُسطت ومهدت، حتى صارت صالحة المشي عليها، وإقامة المساكن فوقها، وهذا لا ينافي كونها كروية؛ لأنها واسعة وسطحها مختلف ارتفاعًا وانخفاضًا.

<sup>(</sup>١) هذا على مذهب الزمخشري، وهو أنْ تكون الفاء عطفًا على محذوف، وهو مناسب في بعض الآيات، كما هنا، ومذهب الجمهور أن الهمزة مقدمة من تأخير، والأصل: فألا، لكن قدمت الهمزة لأن لها الصدارة.

فإنهم لو نظروا إلى كل ذلك نظر اعتبار وتفكر، لأيقنوا أن الله الذي خلقها قادر على بعثهم بعد الموت للحساب والجزاء، وخُصت هذه الأربعة بالذكر؛ لأنهم يشاهدونها دائمًا بأعينهم، وابتدئ بالإبل لأنها \_ والله أعلم \_ أشد ملابسة لهم من غيرها، والاستفهام في قوله: ﴿كَيْفَ﴾ في المواضع الأربعة للتعجيب والتعظيم.

ولما ذكر الله الأدلة على التوحيد والقدرة على البعث أمر الله نبيه بي بالتذكير، فقال سبحانه: ﴿فَذَكِرْ ﴾ الفاء هي الفصيحة؛ أي: إذا كان الأمر ما علمت فذكّر؛ أي: عظهم، وداوم على التذكير ولا تيأس ﴿إِنَّا أَنْتَ مُذَكِرٌ ﴿ إَي: وظيفتك التذكير فقط، ولست هاديًا لهم، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيِّطِرٍ ﴿ الله الولاية عليهم بمسلّط؛ أي: لست بذي سلطة فتجبرهم على الإيمان، بل لله الولاية عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِعَبَّارٍ ﴾ وق: ٤٥].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿ إِلَى الاستثناء منقطع؛ أي: لكن مَن أعرض عن الإيمان وأصر على كفره، و﴿ مَن مَبتدأ مضمَّنٌ معنى الشرط، ولذا قرن الخبر بـ (الفاء) في قوله: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرُ ﴿ إِلَى اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرُ ﴾؛ أي: عذاب النار، ووصفه بالأكبر؛ لأنه قد بلغ الغاية في الشدة، وكل عذاب نالهم في الدنيا فهو دونه.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿ أَي: رجوعهم بعد الموت إلينا لا إلى غيرنا ﴿ أُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿ فَهُ يَوم القيامة، فنحاسبهم على كفرهم، ولا بد من ذلك، كما تقتضيه الحكمة، وتدل عليه صيغة الوجوب (على)، فهو عهد أخذه الله على نفسه ولن يخلفه، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَيِّكَ لَنَسَتَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ عَلَى نَفْسه ولن يخلفه، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَيِّكَ لَنَسَتَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ عَلَى نَفْسه ولن يخلفه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ: ﴿ وَقَالَ: ﴿ وَقَالَ: ﴿ وَقَالَ: ﴿ إِلَنَهُ لَا إِلَهُ اللَّهُ لَهُ إِلَّهُ لَا إِلَهُ اللَّهُ لَا إِلَهُ اللَّهُ لَا إِلَهُ اللَّهُ لَا إِلَهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا



إِلَّا هُوْ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَكُمَةِ لَا رَبُّ فِيهِ ﴿ [النساء: ٨٧]، وفي الآيتين وعيد وتهديد للكافرين.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن خلق الإبل من عظيم الآيات، كيف هي مهيأة في خلقتها
 للركوب والحمل، ومذللة للإنسان، مع ما فيها من المنافع أكلًا وشربا.

٢ ـ أن مِن آيات الله خلق السماوات ورفعها وتزيينها بالنجوم.

٣ ـ أن من آيات الله نصب الجبال، وما في ذلك من تثبيت الأرض، فهي لها كالأوتاد، وفيها من المنافع ما أودعه الله فيها من المعادن المختلفة.

إن من آيات الله سطح الأرض؛ وهو بسطها للقرار عليها، ولذلك سُميت: (مهادًا)، و(فراشًا)<sup>(۱)</sup>، وفي جوفها وسطحها ما لا يحصى من النعم والآيات، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَنَ لِللَّهِ قِنِينَ ﴿ الذاريات].

٥ \_ وجوب التذكير بالله وآياته ووعده ووعيده.

٦ - أن التذكير عام لجميع الناس، كما يدل عليه حذف المفعول به في قوله: ﴿ فَذَكِرُ ﴾ [الأعلى: ٩].

٧ ـ أن التذكير وظيفة الرسول ﷺ بالتبشير والإنذار، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَبَكِذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

٨ ـ أن الرسول ﷺ ليس مسلطًا على الكفار بالقتل والقتال. وعلى
 هذا؛ فتكون الآية منسوخة بآيات الجهاد.

<sup>(</sup>۱) في قوله تعالى: ﴿ أَلَرْ نَجْمَلِ ٱلأَرْضَ مِهَدُا ۞ [النبأ]، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ جَمَلَ لَكُو ٱلأَرْضَ بِسَاطًا ۞ [نوح].

٩ - أن الرسول ﷺ ليس مسلطًا على الكفار بالإكراه على الإسلام، ويؤيده قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِينِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

١٠ أن مَن أعرض عما جاء به الرسول الله ﷺ، وكذب به السيعذبه الله العذاب الأكبر، وهو عذاب النار الكبرى، كما قال تعالى:
 ﴿ وَيَنَجَنَّهُم الْأَشْقَى شَلَ اللَّذِى يَصَلَى النَّارَ الكُبْرَىٰ شَلَى اللَّاعلى].

۱۱ - أن جميع العباد راجع إلى الله، وذلك بالموت، ثم بالبعث من القبور.

١٢ \_ إثبات البعث، والحساب، والجزاء بالثواب والعقاب.

١٣ ـ إثبات الجنة والنار.

١٤ ـ أن الله أوجب على نفسه حساب الخلق، لقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم إِنَّ عَلَيْنَا
 حِسَابَهُم إِنَّ عَلَيْنَا

10 \_ تقديم الغاية على الوسيلة في الذكر؛ لأنها أهم، يدل لذلك تقديم الوعد والوعيد على الأمر بالتذكير والوعد بالحساب.







هذه السورة مكية، وآياتها ثلاثون، افتتحت بخمسة أقسام، وأشير فيها إلى ثلاث أمم من ذوي الكفر والطغيان: عاد، وثمود، وفرعون وقومه.

كما أشير إلى بعض أخلاق الإنسان الجاهل والكافر، وما جُبل عليه. ثم ذكر سبحانه بعض أحوال القيامة: من دكِّ الأرض، ومجيء الربّ للفصل، والمجيء بالنار، وندم الكافر، ومآل النفس المطمئنة، وهو الدخول في عباد الله وأوليائه، وفي جنة الله.

#### الآيات:

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَثْرِ ۞ وَٱلثَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۞ هَلْ فِي
 ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۞ ﴿ [الفجر].

هذه الآيات اشتملت على إقسامه تعالى بخمسة أمور؛ وهي: الفجر، والليالي العشر، والشفع، والوتر، والليل إذا يسر. وهي أمور عظيمة، يدل على عظمتها الإقسام بها.

# 🕸 التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿ أَيُ أَي: أُقسم بِالْفجر الذي هو أُولَ النهار، وهو الفجر الصادق، وأصل الفجر الشّق، سُمي بذلك؛ لأنه ينفجر فيه الضوء فيشق الظلام.

وأقسم الله به؛ لأنه من آيات الله الباهرة، ومن مخلوقاته العظيمة الظاهرة، حيث تعود الأرواح إلى الأجساد بعد النوم، وذلك مذكر بالبعث، وتدب الحياة في الكون بعد السكون والظلمة وينتشر النور، وتتعلق بطلوع الفجر أحكام شرعية؛ كالصلاة والصوم، وقد تمدح الله بكونه خالق الفجر؛ فقال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ الْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وأقسم به في آيات أخرى، قال تعالى: ﴿ وَالصَّبْحِ إِنَّا أَسْفَرَ اللهِ ﴾ [المدثر]، وقال: ﴿ وَالصَّبْحِ إِنَّا أَسْفَرَ اللهِ ﴾ [المدثر]، وقال:

وقوله: ﴿وَلِيَالٍ عَشْرِ ﴿ أَي: وأقسم بالليالي العشر، وهي عشر ذي الحجة، والمراد: الليالي وأيامها، والعرب تطلق اليوم وتريد اليوم والليلة معًا، هذا هو الأصل في والليلة معًا، هذا هو الأصل في إطلاق كل من اليوم والليلة، إلا أن يمنع من ذلك قرينة، ومن ذلك الأيام في آيات الصيام؛ فإن المراد الأيام دون الليالي، كقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِن أَسَكُم مُ اللَّهُ أَيَامِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله: ﴿فَصِيامُ ثُلَاتُهُ أَيَامٍ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وأقسم الله بهذه العشر لشرفها، وخصها بالتنكير؛ لأنها عظيمة، حيث تؤدّى فيها مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، الذي هو أحد أركان الإسلام، ولأن هذه العشر بأيامها موسم للطاعات، إذ تضاعف فيها الحسنات، كما قال عليه الله العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله من هذه الأيام»؛ يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسُولَ الله، ولا الجهادُ في سبيلِ الله؛ إلا رجلٌ خَرَجَ بنفسِه ومالِه، فلم يَرجعُ من ذلك بشيءٍ "().

<sup>(</sup>۱) أخرجه أبو داود (۲٤٣٨)، والترمذي (۷۵۷)، وابن ماجه (۱۷۲۷)؛ من حديث ابن عباس اللها. عباس اللها.

قوله: ﴿ وَالنَّفَعِ وَالْوَرْ فَ ﴾ أي: وأقسم بكل شيء في الوجود، و(أل) في الكلمتين للعموم والاستغراق، فيشمل كل شفع وكل وتر؛ لأن الأشياء إما شفع أي زوج، كما قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلْلنَا رَوْجَيْنِ ﴾ [الناريات: ٤٩]، أو وتر؛ أي: فرد، وهو الشيء المفرد، يقال: وَتْر ووِتْر، بفتح الواو وكسرها، وبهما قرئت الآية.

وقيل: ﴿ ٱلْوَتْرِ ﴾ هو الله تعالى، و﴿ ٱلشَّفْعِ ﴾ المخلوقات.

وجواب القسم هو ما يفهم من القسم بها من عظمتها، لدلالتها على توحيد الله، وبديع صنعه وسعة قدرته وعلمه وحكمته ورحمته، فالله وله ينبه إلى ما في هذه المذكورات من دلالات لا يدركها إلا ذوو العقول النيرة، ولذا قال: ﴿ مَلَ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ ﴾؛ أي: أليس في هذا القسم العظيم مَقنع ﴿ لَذِى حِبِّرٍ ﴿ الله كَانَ الذي عقل وبصيرة؟! والاستفهام للتقرير وتفخيم المقسم به، وسُمي العقل حِجرًا؛ لأنه يمنع صاحبه من الوقوع في المذمومات فيما يضر أو ما لا ينفع.

# ∰ الفوائد والأحكام:

ا ـ أن طلوع الفجر من آيات الله العظيمة الدالة على قدرته، ومن نعمه الدالة على رحمته، وهذا على القول بأن ﴿الْفَجْرِ﴾ هو الصبح مطلقًا، وعلى القول بأنه فجر يوم النحر، ففيه الدليل على فضل ذلك اليوم.

٢ ـ فضل الليالي العشر، وهي عشر ذي الحجة.

٣ ـ أن كل شفع ووتر في المخلوقات هو من آياته الدالة على قدرته تعالى وحكمته.

٤ ـ أن من أسماء الله الوتر، على القول بأنه تعالى هو المراد بالوتر في الآية، والشفع المخلوقات.

۵ ـ أن الليل من آياته تعالى ونعمه على عباده، وقد أقسم الله به في كل أحواله، بإقباله وإدباره، وبسيره.

7 \_ أن في هذه الأقسام مقنعًا لذي العقل الراجح.

٧ \_ مدح العقل وأصحاب العقول، وهم أولو الألباب.

ولما ذكر الله بعضًا من مخلوقاته العظيمة مقسمًا بها؛ أتبع ذلك بالتذكير بما فعله سبحانه من العذاب والنكال بثلاث أمم طاغية، تهديدًا لكفار مكة أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، وموعظة للمؤمنين ليزيدهم ذلك ثباتًا، فقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ رَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿ اللَّهِ لَمْ يُعْلَقُ مِثْلُهَا فِ الْلِينَدِ ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْنَادِ ﴾ اللَّذِينَ طَغُوا فِي وَقِمُونَ ذِى ٱلْأَوْنَادِ ﴾ اللَّذِينَ طَغُوا فِي ٱلْلِلَدِ ﴾ وأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾ فصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ والفجرا.

## 🖓 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ الاستفهام للتقرير والتعجيب، والخطاب للنبي على ولكل من يصلح للخطاب؛ أي: ألم تعلم، والرؤية قلبية بمعنى العلم، وأطلقت الرؤية هنا على العلم؛ لأن أخبار عاد وثمود

﴿إِنَّ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ إِنَّ مَهُ بدل من عاد لا عطف بيان، لأنهم عرفوا بعاد أكثر مما عرفوا بإرم، وإرم هو جد قبيلة عاد، وسميت القبيلة به، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار القبيلة، ﴿ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿ اللهِ مَنْ الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار القبيلة، ﴿ وَالْعِمَادِ اللهِ الْعِمَادِ فَهُ وَ العمود اللهِ مَنْ اللهِ الخيام وبيوت الشعر، والمراد أنهم كانوا يتخذون الخيام الذي ترفع عليه الخيام وبيوت الشعر، والمراد أنهم كانوا يتخذون الخيام حين ينتجعون مواقع الغيث ويتبعون الكلا، وهم مع ذلك يأوون إلى مساكن، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمَبْكُوا لَا يُرَى اللهِ مَسَكِنُهُم ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، مساكن، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمَبْكُوا لَا يُرَى اللهِ مَسَكِنُهُم ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقال: ﴿ وَتَتَخِذُونَ مَسَكِنَهُ لَعَلَكُمْ عَنْلُدُونَ اللهِ وَالشعراء]؛ أي: قصورًا، على أحد التفسيرين.

قوله: ﴿وَتَمُودَ اللَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿ اللَّهِ الْمُود) قوم صالح، وقد سُموا باسم جدهم، ومساكنهم بين المدينة والشام، وهم أصحاب الحجر، ﴿وَتَمُودَ اللَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿ اللَّهِ ؟ أي: قطعوا الصخر من وَوَفِرْعُونَ ذِى ٱلْأَوْلَادِ ﴿ فَ فَ رَعُونَ مِلْكُ مُصِر، وَهُو صَاحِبُ مُوسَى اللَّهِ، وَكَانَ طَاغِية جَبَارًا عَاتِيًا فِي الْكَفَر، والمراد بالآية فرعون وقومه، وَذِى ٱلْأَوْلَادِ ﴿ فَ اَي: صَاحِبَ الأوتاد جَمَعَ وَتِد، وَكَانَ يَدَقَهَا فِي الأَرْضُ لِيشَدَ عَلَيْهَا مِن يَرِيد تَعَذَيْبِه.

وذلك جزاء من كفر بالله وكذب رسله، والله يمهل ولا يهمل، ولذا قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (المرصاد) في الأصل المكان الذي يراقب

## 🛞 الفوائد والأحكام:

١ ـ تنوع أساليب القرآن بالقصص؛ بالتفصيل والإجمال، والبسط والاختصار.

٢ ـ أن من مثاني القرآن ذكر القصة مرات، مبسوطة ومختصرة،
 وبالإشارة إليها.

٣ ـ أن هذه الأمم عادًا وثمود وفرعون من أعظم الأمم عتوًا وطغيانًا، ولهذا وصفوا جميعًا بالطغيان.

٤ \_ تمدُّح الرب بإهلاك المفسدين.

٥ ـ أن إرم اسم لعاد قوم هود.

٦ \_ أن عادًا أصحاب خيام وعَمَد، مع اتخاذهم المساكن المبنية.

٧ \_ أن عادًا ذوو قوة في أبدانهم وآلاتهم.

٨ ـ أن أخص صفات ثمود قوم صالح قطع الصخور، والمراد
 نحت الجبال بيوتًا.

٩ ـ أن ثمود ذوو قوة وطول أمل.

١٠ ـ أن ديار ثمود تشرف على واد، وهو المسيل.

۱۱ ـ أن فرعون ذو أوتاد، وهي ما يثبت به الشيء، قيل: كان يضرب الأوتاد فيمن يريد تعذيبه فيوثقه بها، ففيه:

١٢ ـ الإشارة إلى ظلمه وجبروته، والله أعلم.

١٣ \_ وصف هذه الأمم الثلاث بالطغيان والإفساد، وذلك مالكفر بالله والظلم للعباد.

١٤ \_ أن كفرهم وطغيانهم سببٌ لما نزل بهم من العذاب.

١٥ \_ أن ما حل بهم من أنواع العذاب هو بفعله على الله.

١٦ ـ شدة بطش الله تعالى.

١٧ \_ الإشارة إلى علو الله تعالى، لقوله: ﴿فَصَبُّ ﴾.

١٨ \_ أن ما فعله الله تعالى بهذه الأمم الطاغية مُرْصَد مثله لأمثالهم ﴿ وَلِلْكَفِرِينَ أَمْثَلُهَا ۚ إَنْ مَا فعله الله تعالى بهذه الأمم الطاغية مُرْصَد مثله لأمثالهم ﴿ وَلِلْكَفِرِينَ أَمْثَلُهَا إِنَّ اللهُ اللهُ

ولما ذكر الله أحوال الأمم الطاغية، وما فعل بهم بسبب طغيانهم وجهلهم بربهم، وأخبر أنه تعالى للعباد بالمرصاد يحصي عليهم أعمالهم ويجازيهم عليها = أخبر عن جانبٍ مِن شأن الإنسان الجاهل، وهو عدم فهمه لحكمة الله فيما يجري عليه من خير أو شر، فقال:

﴿ وَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا اَبْلَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَكْرَمَنِ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا اَبْلَلَهُ رَبَّهُ فَا كُرْمَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَهَنَنِ ﴿ كَالَّا بَلَ لَا تُكْرِمُونَ إِذَا مَا اَبْلَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْفَهُ فَيَقُولُ رَبِّ أَهَنَنِ ﴿ اللَّهِ كَالَمُ بَلَ لَا تُكْرِمُونَ النَّهُ وَلَا تَحْتَفُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿ اللَّهِ وَتَأْكُلُونَ اللَّهُ إِنَا لَكُنَّا فَا اللَّهُ اللَّلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

## 🕸 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ ﴾ الفاء للتفريع على ما سبق؛ أي: إنه سبحانه علىم بخلقه وبأحوالهم ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْنَلَكُ رَبُّهُ ﴾؛ أي: اختبره ﴿ فَأَكْرَمَدُ ﴾ بالغنى والجاه وسعة الرزق ﴿ وَنَعَمَدُ ﴾؛ أي: جعله في نعمة ،

والفاء تفسيرية، ﴿ فَيَقُولُ رَبِّتَ أَكْرَمَنِ ﴿ أَي: يقول هذا فخرًا؛ أي: أعطاني ذلك لأني أهلٌ له، ولكرامتي عنده، ويجهل أنَّ ذلك فضلٌ من الله وابتلاء؛ هل يشكر ربه أو يكفره.

﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا اَبْنَلَكُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾؛ أي: ضيّق عليه الرّزق امتحانًا ﴿ فَيَقُولُ على سبيل التشكي والجزع ﴿ رَبِّ آهَنَنِ ﴿ آهَنَنِ ﴿ اَي: أَذَلني بالفقر، ويغيب عنه أن ذلك ابتلاء من الله ليرى أيصبر أم يجزع، وما كان عطاء الله للعبد دليلًا على كرامته عنده، ولا تضييقه عليه دليلًا على مهانته عنده، بدليل أنه يبتلي بالنّعم وسعة الرزق أعداءه الكافرين، ويبتلي بالمصائب وضيق المعيشة أولياءه المؤمنين.

فما ذكره الله في الآيتين ظنُّ الإنسان من حيث هو؛ أي: جنسه، والأصل في الإنسان الظلم والجهل، كما قال تعالى: ﴿وَمَلَكُ ٱلْإِنسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ الْطَنِ الظلم والجهل، والكافر أحرى بذلك الظن، والسورة مكية، وأما المؤمن فيعلم أن ذلك العطاء والمنع راجع إلى مشيئة الله وحكمته، فهو يشكر عند النعماء، ويصبر عند البلاء، وفي كلا الحالين هو على خير، كما قال على (عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، وإن

قوله: ﴿ كُلُّ أَى رَدِعٌ وَرَجِرٌ للإنسانَ على قوله القبيح، ثم ذكر بعض أفعال الكفار السيئة: ﴿ بَلُ لا تُكُرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿ الله الكفار السيئة: ﴿ بَلُ لا تُكُرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿ الله الكلام التفات مِن مع غناكم، واليتيم: مَن مات أبوه ولم يبلغ، وفي الكلام التفات مِن الغَيبة إلى الخطاب لمزيد التوبيخ، ﴿ وَلَا يَخَضُونَ ﴾ ؛ أي: ولا يحض بعضًا ﴿ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿ الله الله الله على إطعامه، وإذا كانوا بعضكم بعضًا ﴿ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ ؛ أي: على إطعامه، وإذا كانوا

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)؛ من حديث صهيب عظيه.

كذلك مِن عدم التحاضِّ فمن باب أولى أنهم لا يطعمونه أصلاً، وقد حذفت إحدى التاءين تخفيفًا من الفعل (تحاضون)، والأصل: تتحاضُون.

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلنِّرَاكَ ﴾؛ أي: السمسسرات ﴿ أَكُلُو لَمَّا الله ؟ أي: شديدًا مِن أي طريق، حلالًا كان أو حرامًا، والمعنى: أنهم يأكلون الذي لهم والذي ليس لهم، وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون النساء والصبيان، فيأخذون أموالهم، ﴿ وَيُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا الله ؟ أي: كثيرًا مع الحرص والشره، ولا تؤدون حقوقه، وفي هذا ذمِّ لهم، وفيه الإشارة إلى أن المحبة الطبيعية للمال لا بأس بها.

## ۿ الفوائد والأحكام:

١ ـ أن من سُنَّة الله الابتلاء بالمحبوب للإنسان والمكروه له، كسعة الرزق وضيقه.

- ٢ ـ أن إكرام الله للإنسان عام وخاص.
- ٣ ـ أن الإكرام العام لا يستلزم الإكرام الخاص.
  - ٤ \_ أن من الإكرام العام الإنعام بسعة الرزق.
- ٥ ـ هوان الدُّنيا على الله؛ حيث يعطيها للكافر، وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تعدل عنذ الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(١).

٦ ـ أن من جهل الإنسان أن يظن أنَّ إكرام الله له بسعة الرزق يدل على محبة الله له وعلو منزلته عنده في هو الإكرام الخاص في قوله:
 ﴿ فَيَقُولُ رَبِّتَ أَكْرَمَنِ ﴿ إِنَّ اللهِ ﴾ .

<sup>(</sup>۱) رواه الترمذي (۲۳۲۰)، وابن ماجه (٤١١٠)؛ من حديث سهل بن سعد رفي وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه».

٧ ـ أن من جهل الإنسان ظنه أن الله إذا ابتلاه بضيق الرزق فقد أهانه؛ أي: صار مهينًا عنده.

٨ ـ زجر الله للإنسان عن هذا الظن وتكذيبه في قوله: ﴿ كُلُّا ﴾.

٩ \_ ذكر أربع خصال من خصال المؤثرين للدنيا:

١- ترك ما يجب لليتيم من إيتائه حقه، والإحسان إليه، وذلك
 إكرامه.

٢ ـ ترك الحض على إطعام المسكين بخلًا وغفلةً عن يوم الدين.

٣ أكل الميراث بغير حق، كما كان أهل الجاهلية لا يورثون الصبيان ولا البنات.

٤ حب المال حبًا شديدًا وكثيرًا مما يحمل على اكتسابه من غير
 حله، والبخل بما يجب فيه.

١٠ ـ أن الجامع لكل هذه الخصال هو إيثار الدنيا على الآخرة.

11 \_ الإرشاد من الله إلى ضد هذه الخصال، من إكرام اليتيم والتحاض على إطعام المسكين، وإيتاء الوارثين حقوقهم، والاقتصاد في حب المال.

#### 

وبعد أن ذكر بعض أعمالهم الذميمة أتبعها بزجرهم وردعهم، وتذكيرهم بيوم القيامة الذين يحاسبون فيه، وما يكون فيه من أحوال وأهوال؛ وأول ذلك دكّ الأرض، وأعظم ذلك مجيء الرب للفصل، وتجيء الملائكة صفوفًا؛ صفًا بعد صف، وأشد ذلك أن يجاء بجهنم، فيندم الكافر، ولات ساعة مندم، ويصير المؤمن ذو النفس المطمئنة إلى جنة الله، فقال سبحانه:

﴿ وَجَانَةَ يَوْمَهِ إِنَا ذُكَّتِ ٱلْأَرْضُ ذَكًا دَكًا إِلَى وَجَاةً رَبُّكَ وَٱلْمَلُكُ صَفًا صَفًا اللهِ وَجَانَةَ يَوْمَهِ إِن يَكُولُ وَجَانَةً وَأَنَى لَهُ ٱلذِكْرَى ﴿ يَعُولُ وَجَانَةً يَوْمَهِ إِن يَعْرَبُ الْإِنسَانُ وَأَنَى لَهُ ٱلذِكْرَى ﴿ يَعُولُ يَعُولُ يَالَيْتُ إِنَّ يَعْرَبُ عَذَابَهُ أَمَدٌ ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ أَمَدٌ ﴿ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا يُعْلِقُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ لَلْكُولُولُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلَا لَاللّهُ وَلَا لَا لَاللّهُ

#### 🕸 التفسير:

وكُلّا ودع لهم وزجر، أي: ما هكذا ينبغي أن تكون حالكم، فإنها حال يندم صاحبُها يوم القيامة ﴿إِذَا دُكّتِ ٱلْأَرْضُ ﴾؛ أي: دُقّت وفُتّت ما عليها من الجبال، فلا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، وهذا الدكّ بعد النفخة الأولى. ﴿وَدُكًا دُكًا إِنَّ اللهِ اللهُ اللهُ

وأما قول تعالى: ﴿وَجُهِلَتِ ٱلأَرْضُ وَلَلْجِبَالُ فَدُكَّنَا دَكَةً وَحِدَةً ﴿ ﴾ [الحاقة]، فليس المراد والله أعلم نفي تكرار الدك، بل بيان أن الأرض والجبال دُكتا دكّة واحدة، لا دكّتين إحداهما للأرض والأخرى للجبال، وعلى هذا فلا تعارض بين الآيتين.

﴿وَجَاءَ رَبُك ﴾ للفصل والقضاء بين الخلائق مجيئًا حقيقيًا يليق بجلاله وكماله سبحانه، لا نعلم كيفيته أو كُنهه، والقول بأن المراد جاء أمرُه تأويلٌ وعدولٌ عن ظاهر اللفظ بغير دليل، ﴿وَٱلْمَلُكُ صَفًا صَفًا ﴿ الله عن ظاهر اللفظ بغير دليل، ﴿وَٱلْمَلُكُ صَفًا صَفًا ﴿ الله عن الملائكة صفًا بعد صف، فيحيطون بالخلائق، و(أل) في الملك للجنس، فتفيد العموم، وقوله ﴿ صَفًا صَفًا الله كالم عن الملك،

كقولك: جاء القوم واحدًا واحدًا؛ أي: واحدًا بعد واحد.

﴿ يَوْمَ إِذِ يَنَذَكُرُ ٱلْإِنسَانُ ﴾ ﴿ يَوْمَ إِنَّهُ بِلِهِ بِلِل مِن ﴿ إِذَا دُكَّتِ ﴾ ؛ أي: إذا وقعت هذه الأمور مِن دكِّ الأرض وما بعده تذكر الإنسان المكذب وتاب وندم على معاصيه، ولا ينفعه الندم، ولهذا قال: ﴿ وَأَنَّى لَهُ ٱلذِّكْرَى قَالَ الموعظة ) وقد فات أوانها، وهو استفهام بمعنى النفي والاستبعاد.

﴿ يَقُولُ يَلْيَتَنِي قَدَّمْتُ لِجَيَاتِي ﴿ يَكُنْ أَي: يقول هناك نادمًا متحسرًا ﴿ يَلْيَتَنِي قَدَّمْتُ لِجَيَاتِي ﴾ أي: قدمت في الدنيا عملًا صالحًا لأجل حياتي الأخروية الخالدة، ف (اللام) للتعليل في قوله ﴿ لِجَيَاتِي ۞ ، وفي الآية إشارة إلى أن الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة، فيجب العمل لها، وأن الدنيا مزرعة لها.

﴿ فَيُوَمِينِ لَا يُعَذِبُ عَذَابُهُ أَحَدُ ﴿ فَ الله الله أَي لا يعذّب كتعذيب الله أحدً في الإيلام، وإضافة العذاب إلى الله لأنه بأمره، ولتعظيم شأن العذاب، في الإيلام، وإضافة العذاب أي: ولا يستطيع أحد أن يقيد مثل تقييد الله في الشدة، كما قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَظْلُلُ فِي آعَنَقِهِم وَٱلسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ في الشدة، كما قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَظْلُلُ فِي آعَنَقِهِم وَٱلسَّلَسِلُ يُسْحَبُونَ في السَّدة، في الآيتين دليل على عظيم عذاب الله وشدة إيثاقه.

ولما ذكر الله عذاب الكافر ختم الكلام بذكر حال المؤمنين بشارة

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله .

﴿ فَأَدْخُلِي فِي عِبَدِى ﴿ أَي: ادخلي في جملة عبادي المقربين، كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَبِلُواْ الصَّلِحَتِ لَنَدُخِلَنَّهُمْ فِي الصَّلِحِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَبِلُواْ الصَّلِحَتِ لَنَدُخِلَنَّهُمْ فِي الصَّلِحِينَ ﴾ العنكبوت]، ﴿ وَالتَّهُ عَنِي ﴿ الله عَلَى الله عَلَى عَلَى الله عَلَى الله الله وإكرامًا لهم.

## 🞕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ زجر المفرطين في حب المال والمجترئين على أكل الحرام.
- ٢ ـ أن الأرض يوم القيامة تدك؛ أي: يدك كل ما عليها من جبال
   وبناء، فتسوى فتكون صفصفًا.
- ٣ ـ أن الله يجيء يوم القيامه نفسُه للفصل بين عباده، مجيئًا يليق
   بجلاله لا يعلم العباد كيفيته.
- ٤ ـ أن الملائكة يجيؤون لمجيء الرب، ويكونون صفوفًا؛ صفًا
   بعد صف.
- ٥ ـ أنه يجاء بجهنم لموقف القيامة فيراها المجرمون، كما قال تعالى: ﴿ وَرَبَّ اللَّهُ مِونَ ٱلنَّارَ ﴾ [الكهف: ٥٣].
- ٦ أن الكافر عند ذلك يتذكر تفريطه فيما دعته إليه رسل الله فيندم، ولات ساعة مندم.

٩ ـ الرد على الجبرية.

١٠ ـ بيان نهاية الكافر، وأنه يصير إلى عذاب الله وأسره اللذين لا يماثلهما عذاب ولا أشر، نعوذ بالله من ذلك.

١١ ـ أن المؤمن ذا النفس المطمئنة يرجع إلى ربه راضيًا مرضيًا،
 قد رضى الله عنه وأرضاه.

١٢ ـ أن المؤمن يصير إلى أعظم كرامة، وهي الجنة.

١٣ \_ إثبات القيامة.

١٤ ـ إثبات الجنة والنار.

١٥ ـ إثبات الجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة والعدل.

١٦ ـ الترغيب والترهيب في هذه الآيات بالوعد والوعيد.





هذه السورة مكية، وقد افتتحها الله بثلاثة أقسام: بالبلد الأمين، وبكل والد، وما ولد. أقسم سبحانه أنه خلق الإنسان في شدائد ومشاق يكابدها في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، حتى يدخل الجنة، ثم ذكر جوانب من جهل الإنسان مع ما أنعم الله به عليه في خلقه، ثم لامه على ترك اقتحام العقبة، وهي الإنفاق الشاق على النفس؛ من عتق وإطعام في يوم مجاعة، شبَّه ذلك باقتحام العقبة التي لا يحصل الظهور عليها إلا بكُلفة، ولا بد مع ذلك أن يكون ممن آمن وعمل صالحًا، ومن أهل الصبر والرحمة، فإنه يكون من السعداء أهل الميمنة، أما الكافرون فهم أصحاب المشأمة، ومصيرهم إلى النار.

وآيات السورة عشرون؛ العشر الأولى في الخبر عن الإنسان، من أول السورة إلى قوله: ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجَدَيْنِ ١٠٠٠ أُولَ السورة إلى قوله:

وأما العشر الأخيرة مِن قوله: ﴿ فَلَا أَقْنَحُمَ ٱلْعَقَبَةَ ١ فَقَد تضمنت ذم الإنسان \_ مع فخره بإهلاك المال الكثير \_ بترك الإنفاق في ما ينفعه من وجوه الإحسان؛ كالعتق وإطعام اليتيم والقريب في يوم مجاعة، وختمت السورة بذكر عاقبة المؤمنين والمكذبين.

#### الآيات:

﴿ وَاللَّهِ مَا وَلَدُ ﴿ وَاللَّهِ ﴿ وَالنَّا حِلُّ عِبَدَا الْبَلَدِ ﴿ وَوَالِدِ وَمَا وَلَدُ ﴾ لَقَدْ خَلَقَنَا الْإِنسَانَ فِي كَبْدٍ ﴿ أَغَلَّمُتُ مَالا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبْدٍ ﴿ أَغَلَّمُتُ مَالا لَهُ عَيْدِ أَحَدُ ﴿ فَي يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَالا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿ فَي يَقُولُ أَهْلَكُتُ مَالا لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿ فَي وَلِسَانًا وَشَفَلَيْنِ لَلْ وَهَنَيْنِ فَي وَلِسَانًا وَشَفَلَيْنِ فَي وَهُدَيْنَهُ أَلْتَجْدَيْنِ فَي وَلِسَانًا وَشَفَلَيْنِ

#### التفسير:

وأقسم الله بمكة لشرفها وفضلها على سائر البلاد، فهي أحب البلاد إلى الله، وقد جعلها محلًا لبيته المعظم الذي هو قبلة المسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَرَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وأمر الناس بحج ذلك البيت، ﴿وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّ عِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ البلد]؛ أي: أقسم بهذا البلد، وأنت \_ أيها النبي \_ فيه حلٌ، أي: حلال لك تصنع فيه ما تشاء من قتل وأسر، وعلى هذا؛ ف (الواو) في قوله: ﴿وَأَنتَ حِلُّ عِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ وَأَسَر عَلَى هَذَا البلد والحال أنك فيه للحال، والجملة حالية من البلد؛ أي: أقسم بهذا البلد والحال أنك فيه حلال، وهو حلال لك، وذلك في الساعة التي أحلها الله لنبية، فجملة الحال معترضة بين المتعاطفات المقسم بها، وهي قيد للمقسم به وهو

البلد؛ للدلالة على أن مكة لم تنقص حرمتها في تلك الساعة، وفي الآية بشارة بفتح مكة، وأنها ستحل له في زمن آت، كما قال عليه الصلاة والسلام: "إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضِد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله عليها، فقولوا: إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب"(۱). وأشار إلى البلد مكة باسم الإشارة مرتين، وكرر ذكره زيادة في تعظيمه.

﴿وَوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ﴾؛ أي: وأقسم بكل والد وكل مولود من الموجودات التي تتوالد، من إنسان وحيوان، فهذا ما أقسم الله به.

وجواب القسم قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ﴾؛ أي: جنس الإنسان ﴿فِي كَبَدٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَلَمُ اللَّهِ وَتَعْبَ، فَهُو يَكَابِدُ مَصَائِبِ الدَّنيا وهمومها إلى أن يموت، فالكبّد يحيط به من كل جانب ويغمره، كما يشير إليه حرف الجر (في).

وفي الآية \_ والله أعلم \_ تسلية وتثبيت للنبي ﷺ، وإشارة إلى أن على الإنسان أن يسعى إلى ما فيه سعادته في عاجله وآجله، وذلك بطاعة ربه وخالقه.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٣)؛ من حديث أبي شريح رضيه.

أي: أتلفت مالًا كثيرًا؛ أي: على شهواته ولطلب الجاه والسمعة، و(اللُّبَد) جمع لُبْدة وهو ما تلبَّد؛ أي: كثر واجتمع.

وأَيَحْسَبُ أَن لَمْ يَرُهُ أَحَدُ ﴿ إِن اللهِ المُلْمُولِ المُلْمُولِ المُلْمُلْمُ المُلْمُلْمُ المُ

## 🏶 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الله يقسم بما شاء من خلقه.

٢ ـ فضل مكة، وهي البلد المقسم به.

٣ ـ أن هذه السورة مكية، بدليل الإشارة في قوله: ﴿ إِيهَاذَا الْبُلَهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ المُلْمُ اللهِ اللهِ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ اللهِ المُلْمُ المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُ المُلْمُلِي المُلْمُ

٤ - أن الله أحل لنبيه يوم الفتح من القتل والقتال فيها ما لم يحله لأحد قبله أو بعده، على ما جاء عن ابن عباس وغيره من التابعين في تفسير الآية، وعلى هذا ففي الآية:

البشارة بفتح مكة، ويناسب على هذا أن تكون الجملة ﴿وَأَنتَ حِلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ أَي: أقسم به حال كونك حلالًا بمكة.

٦ - أن من آيات الله العظيمة التوالد في جنس الإنسان وغيره، وكلُّ والد ومولود آية.

٧ - أن الإنسان منذ نشأته في أطوار حياته معرض للشدائد
 والمشاق، وهو حمْل، وهو طفل، وفي أطوار حياته في هذه الدنيا.

٨ ـ توبيخ الكافر الجاحد لقدرة الله عليه.

٩ ـ ذم الفخر بكثرة المال وإتلافه في الشهوات.

١٠ أن الكافر مخاطب بفروع الشريعة؛ لذمه على عبثه بالمال وفخره بذلك.

١١ \_ ذم الكافر لحسبانه أن الله لا يراه، فهو يخبط كما يشاء، لا يرى عليه رقيبًا.

۱۲ \_ أن من آيات الله ونعمه الدالة على قدرته وإحسانه ما ركَّبه في خَلْق الإنسان من عينين يبصر بهما، ولسانٍ وشفتين يتكلم بهما، وعقلٍ يدرك به هداية الله إياه السبيلين سبيل الخير وسبيل الشر.

١٣ \_ إقامة الحجة على الإنسان في التوحيد بما أوتي من أسباب العلم والبيان.

١٤ \_ إثبات قدرة الله على بعث الإنسان كما قدر على بدء خلقه.

١٥ \_ إثبات رؤية الله للعبد في جميع أحواله وتصرفاته.

١٦ \_ وجوب شكر الله على نعمه.

١٧ ـ أن معطي الكمال أولى به، فالله الذي أعطى الإنسان الكمالات من السمع والبصر والكلام والعلم أحق به.

ثم ذكر الله تعالى أنه أنعم على الإنسان بنعم عظيمة من البصر والكلام والمال والهداية، ولكنه لم يقابل تلك النعم بالشكر، ولم يحسن في عمله، فقال سبحانه:

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ ٱلْعَقَبَةُ ﴿ أَي: فلا هو اقتحم العقبة، والاقتحام هو الدخول في الأمر بشدة، والعقبة أصلها الطريق الصعب في الجبل، والمراد بها الأعمال الصالحة والتكاليف الشرعية، واقتحامها فعلها وتحصيلها؛ أي: إن هذا الإنسان لم يفعلها، ﴿وَمَا أَدْرَنكَ مَا أَعْفَبَةُ ﴿ أَي: ما أعلمك أيُّ شيءٍ هي، والخطاب للرسول ﷺ ولكل مَن يصلح للخطاب، والاستفهام للتفخيم والتشويق.

ثم فسر العقبة بقوله: ﴿ فَكُ رَفَبَةٍ ﴿ أَي: تحريرها من الرّق، وهي الرقبة المؤمنة، ويشمل ذلك فك الأسير المسلم عند الكفار، ﴿ أَوَ الْعَنَدُ فِي بَوْمِ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿ إِنَ اللّهِ عَلَى اللّهِ المسلم عند الكفار، ﴿ أَوَ الْعَنَدُ فِي بَوْمِ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾؛ أي: مجاعة، ﴿ يَلِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿ إِنَّ اللّهِ وَلَم يبلغ، ﴿ أَوْ قُوابَة ، فَإَطْعَامِه صدقة وصلة رحم، واليتيم مَن مات أبوه ولم يبلغ، ﴿ أَوَ عَسْرَكِنَا ذَا مَتْرَبُةٍ ﴿ إِنَّ اللّهِ الرجل الرجل اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

وخص فكَّ الرقاب وإطعام الطعام بالذكر؛ لأنهما أشق على النفس

من سائر الطاعات لما فيهما من بذل المال، وهو محبوب للإنسان، لا سيما مع شدة الحاجة إليه في وقت الجوع، كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِنُونَ الطَّعَامُ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الإنسان: ٨]، ولذا كان فك الرقاب وإطعام الطعام بمنزلة اقتحام العقبة.

و(المسغَبة)، و(المقرَبة)، و(المترَبة)، مصادر ميمية. و ﴿ يَبِمًا ﴾ و ﴿ مِسْكِينًا ﴾ مفعولان به للمصدر، وهو: ﴿ إِطْعَدُ ﴾.

قوله: ﴿ ثُغَرُكَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ؛ أي: بما يجب الإيمان به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان بها مقدمٌ على ما ذكر من فكّ الرقبة وإطعام الطعام، ولذا فإن ﴿ ثُعَرَ كُ ليست للترتيب والتراخي الزمني، وإنما هي للترقي في الرتبة، فالإيمان أعلى ممّا ذُكر ؛ لأنه الأصل، وهو شرط لقبول سائر الأعمال.

وفي ذكر الإيمان إشارة إلى أنهم عملوا العمل لوجه الله، ﴿وَتَوَاصَوْا عِلَى الصّبر على الصّبر على الصّبر وتَوَاصَوْا عِلَى ما يصيبهم من أذى في سبيل الله، وتواصوا بالرحمة فيما بينهم، فيرحم القوي الضعيف والغني الفقير، وإذا كانوا كذلك من التواصي فيما بينهم فلا بد إذن أن يكونوا متخلقين بذلك في أنفسهم، ولهذا أثنى عليهم فقال:

## ∰ الفوائد والأحكام:

١ ـ ذم الإحجام في وجوه البر مع التبذير في الشهوات.

٢ ـ أن الإنفاق في القربات شاق على النفوس، لقوله: ﴿ فَالَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةُ شَالِهِ .
 أَلْعَقَبَةُ شَالَهِ .

٣ \_ جهل الإنسان بإيثار العاجل على الآجل.

٤ ـ أن من أفضل القربات المالية فك الرقاب وإطعام الطعام في أيام العسرة.

٥ \_ فضل الصدقة على اليتيم القريب والمسكين المعدم.

٦ - أن الإحسان ببذل المال لا ينفع إلا مع الإيمان بالله ورسوله
 واليوم الآخر.

٧ ـ أن من أفضل خصال الخير الصبر والتواصي به، ورحمة الخلق والتواصي بها.

٨ ـ أن أفضل الناس في ذلك من جمع بين الصبر والرحمة،
 وأسوؤهم من لا صبر له ولا رحمة.

٩ ـ الإشارة إلى حاجة المؤمنين بمكة إلى الصبر والتواصي به على
 ما يلقون من الأذى.

١٠ ـ أن المؤمنين الذين يعملون الصالحات هم السعداء أصحاب الميمنة، ويقال لهم: أصحاب اليمين.

١١ \_ أن أصحاب الميمنة عند الانفراد يشمل: المقربين، والأبرار.

١٢ ـ أن الكفار المكذبين بآيات الله هم أصحاب المشأمة، ويقال
 لهم: أصحاب الشمال.

١٣ \_ أن مصيرهم النار المؤصدة عليهم.



هذه السورة مكية، وهي خمس عشرة آية، اشتملت العشر الأولى على أحد عشر قَسَمًا، وعلى جواب القسم، وهذا أكثر قسم في القرآن افتتحت به سورة، واشتملت الآيات الخمس الباقية على خلاصة قصة ثمود قوم صالح، وما انتهى إليه أمرهم من الهلاك والتدمير.

## الآيات:

م وَالشَّمْسِ وَضُمَّنَهَا ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا لَلْنَهَا ﴾ وَالنَّهَا ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴾ وَالنَّهَا أَلْهُ وَاللَّهُ مَن دَسَّلُهَا ﴾ وألنّها ألى وقد خاب من دسَّلها ﴿ الشمس].

## 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ وَالشَّيْسِ وَضَّعَهَا ﴿ هَذَا قسم من الله تعالى، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وأما الخلق فلا يجوز لهم القسم إلا بالله قال ﷺ: «مَنْ كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت (١)، ومعنى الآية: أقسم بالشمس وبإشراقها وانتشار ضوئها. و(الضحى) أولُ النهار، وهو من ارتفاع الشمس إلى الزوال، وأقسم الله بالشمس لما فيها من الحكم البالغة والمنافع العظيمة، وهي آية النهار.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)؛ من حديث ابن عمر ﷺ.

وَوَالْقَمَرِ إِذَا نَلَهَا ﴿ إِنَ اللهَ ﴿ أِي: وأقسم بالقمر إذا تلاها؛ أي: تَبع الشمسَ في الغروب، وذلك في أول ليلة من الشهر؛ فإن القمر يغيب بعد الشمس على إثرها، ثم لا يزال القمر يتلوها في المغيب كل ليلة إلى منتصف الشهر، وبعد ذلك يطلع القمرُ قبلها، فتتلوه إلى نهاية الشهر.

وُوَالنّهَارِ إِذَا جَلّنها ﴿ أَي: وأقسم بالنهار إذا جلّى الشمس وأظهر ضوءها، و(النهار) اسم جنس لما بين طلوع الشمس إلى غروبها، و(الليل) اسم جنس لما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر أو طلوع الشمس، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغَشَلْهَا ﴿ أَي: وأقسم بالليل حين يغطي الشمس بظلامه فتظلم الآفاق، وذلك في نظر العين.

﴿ وَٱلسَّمَاآءِ وَمَا بَنَهَا ﴿ إِنَهَا أَيْ وَأَقْسَمُ بِالسَمَاءُ وَمَن بِنَاهَا، وَهُو اللهُ تَعَالَى، ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا اللهُ تَعَالَى، ﴿ وَاللهُ وَمَا طَحَاهَا اللهُ تَعَالَى، وَطَحُوها بِسُطُها وتسويتها كالفراش.

وهو الله تعالى، وتسويتُها ﴿ أَي: وأُقسم بكل نفس ومَن سوَّاها، وهو الله تعالى، وتسويتُها ما يُرى فيها من كمال الخِلقة والعقل، والمراد نفس الإنسان، بدلالة ما بعده. ف (مَنْ) في المواضع الثلاثة اسم موصول بمعنى الذي، فيكون الله تعالى قد أقسم بالمذكورات وبنفسه سبحانه.

ويحتمل أن تكون (ما) في المواضع الثلاثة مصدرية، ويكون المعنى: أُقسم بالشمس وبنائها العالي المحكم بلا عَمد، وأُقسم بالأرض وطَحْوِها أي: بسطِها وتسويتها كالفراش، وأُقسم بكل نفس وتسويتها في كمال الخِلقة والعقل.

والقولان وإن كانا متلازمين إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ فَاللَّهُ مَهَا ﴾ وطفًا على قوله: ﴿ وَمَا سَوَّنِهَا ﴿ ﴾، ورجح ذلك شيخ

الإسلام ابن تيمية (١).

وقوله: ﴿ فَأَلْمُمَا لَجُورَهَا وَتَقُونَهَا ﴿ إِلَهُ الفاء للعطف على ﴿ سَوَنِهَا ﴿ ﴾ والجملة تفسير لقوله: ﴿ سَوَنِهَا ﴿ ﴾ وضمير ﴿ الهمها ﴾ يعود على الله اي عرف الله النفوس قُبح الفجور وحُسن التقوى، بما غرس فيها من الفطرة، وصح عن ابن عباس: ﴿ فَأَلْمُمَهَا لَجُورَهَا وَتَقُونَهَا ﴿ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَالشر (٢) ، كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هُدَيْنَهُ ٱلنَّجِدِينَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هُدَيْنَهُ ٱلنَّجِدِينَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا هُدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿ ﴾ [الإنسان].

وقدم (الفجور) مراعاة للحال، فالسورة مكية، وأكثر أهلها مشركون ذَوو فجور، مع ما في تأخير التقوى من مراعاة الفواصل.

فَالله عَلَى فَلاح مَن طَهّر نفسه بالطاعة، وخيبة من أضلها بالمعصية.

<sup>(</sup>۱) مجموع الفتاوي (۲۱/۲۲). (۲) رواه ابن جرير (۲۴/۲۶).

## 🎕 الفوائد والأحكام:

ا أن الله يقسم بما شاء من خلقه، كما أقسم هنا: بالشمس،
 والضحي، والقمر، والنهار، والليل، والسماء، والأرض، والنفس.

٢ ـ التنبيه إلى آياته تعالى في الآفاق وفي الأنفس.

٣ - أن من أعظم آيات الله: الشمس، والقمر، والليل، والنهار،
 والسماء، والأرض.

٤ ـ أن الشمس أعظم الآيات الأفقية.

أن الله يقسم بنفسه وبأفعاله، كما قال: ﴿وَمَا بَنْهَا ۞﴾، ﴿وَمَا لَخَنْهَا ۞﴾، ﴿وَمَا لَخَنْهَا ۞﴾، ﴿وَمَا لَحَنْهَا ۞﴾، ﴿وَمَا سَوَنْهَا ۞﴾.

٦ - أن من آيات الله: بناء السماء وارتفاعها، وطحو الأرض وبسطها، وتسوية نفس الإنسان.

٧ ـ أن السماء والأرض والنفس ليست قديمة، بل هي محدثة،
 ففيه:

٨ ـ الرد على الفلاسفة القائلين بقدم النفس والأفلاك.

٩ ـ أن الله هو الذي يبين للإنسان طريق الخير والشر، وبذا تقوم
 الحجة على الإنسان.

١٠ ـ إثبات القدر، وأن الله هو الذي يُضل ويهدي.

١١ \_ الرد على القدرية.

١٢ ـ أن الفجور والتقوى يكونان بإلهام من الله.

١٣ ـ أن الفجور والتقوى ضدان، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَارِ ﴿ إِلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْحَالَ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

١٤ ـ الوعد بالفلاح لمن زكى نفسه بطاعة الله.

=<u></u> Y•\

١٥ ـ وعيد من دسّي نفسه بمعصية الله بالخسران والخيبة.
 ١٦ ـ الرد على الجبرية.

ثم ذكر الله مثلًا لسوء عاقبة مَن دسَّى نفسه وطغى، فقال سبحانه:

وَكَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغُونِهَا ﴿ إِذِ ٱلْبَعَثَ أَشْفَنَهَا ﴿ فَقَالَ لَمُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَافَةَ اللَّهِ وَسُقَبَهَا ﴿ فَكُذَّبُوهُ فَعَفَرُوهَا فَكَمْ نَمْ عَلَيْهِمْ وَيُبَهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنَهَا ﴾ وَسُقَبَنَهَا ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبُنَهَا ﴿ فَهُ وَالسَّمِسِ].

#### 🛞 التفسير:

وكان نبيّهم صالح يدعوهم إلى التوحيد فكذبوه، ثم سألوه آية فأخرج الله لهم ناقة عظيمة من صدع الجبل، كما ذكره المفسرون، وحذرهم نبيهم أن يمسوها بسوء، ولكنهم تمادوا في الكفر، ولجوا في طغيانهم يعمهون، وتآمروا على قتل الناقة، فانتدب أشقاهم، كما قال سبحانه: ﴿إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشَقَنْهَا إِنَّ ﴾؛ أي: نهض أشقى القبيلة بسرعة وحنق لقتلها ﴿فَقَالَ لَمُمُ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقِينَهَا إِنَّ ﴾؛ أي: احذروا ناقة الله فلا تؤذوها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوّءِ ﴾ [الشعراء: ١٥٦]، واحذروا سُقياها؛ أي: شِربها في يومها، (السُّقيا) مصدر كالرُّجعى؛ أي: لا تشاركوها في نصيبها من السقي، وكان لها يوم ترد الماء فيه ولهم يوم،

وذُكر صالح بوصف الرسول لا باسمه؛ إشعارًا بذمهم حيث عصوا رسول الله وكان الواجب أن يطاع، وأضاف الناقة إليه سبحانه تشريفًا لها، ك «بيت الله».

وَنَكَذَبُوهُ الله الله الأول في أمر الناقة، والتكذيب الأول في شأن التوحيد والرسالة، وفَعَقُرُوهَا الله أي: قتلوها، وأضاف العقر إليهم جميعًا مع أن القاتل هو الأشقى؛ لأنهم متفقون جميعًا على القتل، ولذا أنزل الله العذاب بجميعهم، فقال سبحانه: وفكد مُدَمَ عَلَيْهِم دَبُهُم وَذَلِيهِم وفي لفظ (دمدم) تهويل للعذاب، يقال: «دمدم عليه القبر» إذا أطبقه، وفي لفظ (دمدم) تهويل للعذاب، يقال: «دمدم عليه القبر» إذا أطبقه، وفي لفظ (دمدم) تهويل للعذاب، يقال: «دمدم عليه القبر» إذا أطبقه، صغير ولا كبير.

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴿ أَي: والحال أنه تعالى لا يخاف عاقبة فعله بهم؛ لأنه تعالى ليس ظالمًا لهم، ولا يخشى ثأرها كما يخاف ملوك الأرض عواقب أفعالهم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهذه الآية نظير قوله تعالى في الحديث القدسي: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، وفي الآية هوانهم على الله، ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُرْمَ الله على الله الله الحج: ١٨].

## 🎇 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن من الأمم التي خابت وخسرت أمَّةَ ثمود.

<sup>(</sup>۱) أخرجه أحمد (۱۷٦٦٠)؛ من حديث عبد الرحمٰن بن قتادة السلمي، وصححه أبن حبان (۲/ ٥٠)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله ثقات» مجمع الزوائد (٧/ ١٨٦). وبداية الحديث: «إن الله خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي...».

- ٢ \_ أن سبب هلاكها تكذيب رسولهم.
- ٣ \_ أن الحامل لهم على التكذيب هو الطغيان.
  - ٤ ـ أن أشقاهم هو عاقر الناقة.
  - ٥ \_ أن الكفر يتفاوت لقوله: ﴿أَشْفَنْهَا ﴿ ﴾.
- ٦ ـ أن آية صالح ناقة عظيمة من شأنها أن لها يومًا تشرب فيه الماء، ويومًا لهم يشربون فيه لبنها، ﴿ فَمَا شِرْبُ وَلَكُو شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومِ ﴿ فَهَا شِرْبُ وَلَكُو شِرْبُ يَوْمِ مَعْلُومِ ﴿ فَهَا الشَعراء].
   الشعراء].
- ٧ ـ أن الراضي بالمعصية والمواطئ عليها بمنزلة الفاعل، فالذي عقر الناقة واحدٌ، وأضاف العقر إلى جميعهم، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.
  - ٨ \_ تدمير الله لهم بذنبهم، وهو التكذيب وعقر الناقة.
- 9 ـ أن عذاب الله لثمود عمَّ جميعهم إلا نبيَّ الله صالحًا ومن آمن معه، وهي سُنَّة الله في المكذبين للرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْنُ اللهُ في المكذبين للرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْنُ اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ الللللَّا الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ
  - ١٠ ـ أن الكفر والمعاصي سبب الشقاء في الدنيا والآخرة.
- ١١ ـ أن الله لا يخاف عاقبة ما يفعله بالمكذبين؛ لكمال قدرته وعزته وحكمته.
  - ١٢ ـ تهديد مشركي مكة وتحذيرهم أن يصيبهم ما أصاب ثمود.





هذه السورة مكية، وآياتها إحدى وعشرون، افتتحت بالقسم من الله بالليل والنهار وخالق الذكر والأنشى على أن سعي الناس شتى؛ أي: مختلف، ثم فصّل ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَأَنَّقَىٰ ۞ إلى قوله: ﴿وَمَا يُنْنِي عَنْهُ مَالُهُۥ إِذَا تَرَدَّىٰ ۗ ﴾.

ثم ذكر بعض معاني ربوبيته ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۞ وَإِنَّ لَنَا لَلْأَخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۞ ﴿.

ثم ختمت السورة بالإنذار مِن النار، وذِكْر مَن يصلاها، وهو مَن كذَّب وتولى، ومَن يُجنبها وينجو منها، وهو الأتقى مِن العباد الذي ينفق ماله ليتزكى يبتغي بذلك وجه الله.

## 🛞 الأيات:

#### 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿وَالْتَلِ إِذَا يَغْثَىٰ ﴿ اَي: أَقْسَمُ بِاللَّيلُ حَينَ يُغْطَي الشَّمِسُ والنهار بظلامه، ويغطي الأرض وكل شيء، فحذْفُ مفعول ﴿يَغْثَىٰ ﴿ وَالنَّهُ لَا يَغْشَنَهُا ﴿ وَالنَّهُ اللَّهُ اللّ

وقال: ﴿ يُغْشِى ٱلْتِكَ ٱلنَّهَارَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و(الليل) اسم جنس لما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر أو طلوع الشمس، و(النهار) اسم جنس لما بين طلوع الشمس إلى غروبها.

﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿ هُ أِي: وأقسم بالنهار إذا ظهر وتبيَّن بطلوع الشمس، ودبَّت فيه الحياة والحركة، ﴿ وَمَا خَلَقُ اللَّكُرُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالشَّمِ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِن كُل شيء وأما والله والله تعالى، في ﴿ مَا ﴾ بمعنى (مَن)، فيكون قسمًا مِن الله بنفسه المقدسة.

وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية؛ أي: وأُقسم بخَلْقِ الذكر والأنثى، فيكون قسمًا مِن الله بفعله، وهو إنشاؤه الذَّكر والأنثى، والأول أولى، كما تقدم في سورة الشمس.

وفي هذه الأقسام تنبيه العباد إلى عظيم صُنع الله في آياته، وبديع حكمته وقدرته في هذا الكون الفسيح الذي يجري فيه كل شيء بانتظام بالغ، بما يحقق مصالح الخلق من طلب المعاش والراحة، وهو مما يبهر العقول.

قوله: ﴿إِنَّ سَعْبَكُمْ لَشَقَ ﴿ اللهِ هذا جواب القسم؛ أي: إنَّ عملكم في الدنيا لمختلف جدًا، فمنه الحسن ومنه السيء، ومنه الطاعة ومنه المعصية، وتبعًا لذلك يتفاوت الجزاء، والخطاب لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، و(شتى) جمع شَتيت؛ كقتلى وقتيل، وبيْنَ المُقسم به وجواب القسم تناسب؛ فالله أقسم بأشياء متضادة من الليل والنهار والذكر والأنثى على أشياء متضادة، وهي أفعال العباد الحسنة والقبيحة.

ولما كان العاملون صنفين محسنًا ومسيتًا؛ فصَّلهما، فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْلَى وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا عليه مِن حقوق، وبذل ماله في وجوه

الخير، واتقى الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، ﴿وَمَدَّقَ إِلَّهُ مِنْ الله وصدق بِالْمُوبة والجزاء من الله وصدق بالجنة، كما قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لَلْمُسْنَى وَزِيَادَةً ﴾ [بونس: ٢٦].

﴿ فَسَنُيْتِرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿ ﴾؛ أي: سنهيّئه للطريقة اليسرى، ونرشده إلى أسباب السعادة والفلاح ونسهلها له. و(السين) للتأكيد، فهذا وعدٌ مِن الله محقق.

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾؛ أي: بماله فلم يؤدِّ ما عليه مِن الحقوق ﴿ وَأَسْتَغْنَىٰ ﴿ فَهُ بَغِلَ ﴾؛ أي: زهد فيما عند الله ﴿ فَلَى يعمل للآخرة ، ﴿ وَكَذَبَ إِلَّهُ مُنْ فَلَم يعمل للآخرة ، ﴿ وَكَذَبَ إِلَّهُ مِنْ فَلَم يعمل للآخرة ، ﴿ وَكَذَبَ إِلَّهُ مُنَا فَلَم يعمل للآخرة ، وَوَلَمُ اللَّهُ وَجِنته ﴿ فَسَنُيْتِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ فَاقًا .

وفي الآيات مقابلةُ أربعةِ معانِ بأربعة: قابل (أعطى) بـ(بخل)، و(اتقى) بـ(استغنى)، و(صدق) بـ(كذب)، و(اليسرى) بـ(العسرى)، وهذا من بلاغة الكتاب العظيم، وفائدة المقابلة الإيجاز وإظهار التضاد بين الفريقين، حثًا وتحذيرًا، وترغيبًا وترهيبًا.

وْرَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿ إِنَا تَرَدَّىٰ ﴿ أَي: لا ينفعه ماله الذي بخل به إذا مات، ولا يدفع عنه الهلاك، و ﴿ تَرَدَّىٰ ﴿ هِلَ مِن الرَّدَى ؛ وهو الموت، ف ﴿ مَا ﴾ نافية، وقيل: استفهامية للإنكار والتوبيخ، والمعنى: أيُّ شيء يغني عنه ماله؟! أي: لا يغني عنه شيئًا.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

منها في الآيات الأربع الأولى:

١ ـ أن الله يقسم بما شاء من خلقه، ويقسم بنفسه وفعله.
 ٢ ـ أن الليل آية، وأظهر ما تكون عند غشيانه.

٣ ـ أن النهار آية، وأظهر ما تكون عند تجليه.

٤ \_ أن الله خالق كل ذكر وأنثى من بني آدم وغيرهم.

٥ ـ أن عمل الناس متفاضل ومتباين، كما قال تعالى: ﴿ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضِيلًا ﴿ إِنْظُرْ كَيْفَ فَضَيلًا ﴿ إِنْظُرْ كَيْفَ فَضِيلًا ﴿ إِنَّا الْإِسراء].
 فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَنتِ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿ إِنَّا الْإِسراء].

وفي الآيات السبع التالية:

٦ أن الناس فريقان: معط وبخيل، وتقيي وفاجرٌ يرى نفسه مستغنيًا عن الله، ومصدقٌ ومكذب.

٧ \_ أن كلًا ميسر لما خلق له من سعادة وشقاوة، كما قال ﷺ:
 «اعملوا فكل مُيسر لما خُلق له» (١)، ثم قرأ: ﴿ وَمَدَّقَ أَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاَنْقَىٰ ﴿ وَصَدَّقَ إِلَّـُسُنَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَسَنُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ إِلَى هَوْلَهُ : ﴿ وَسَنُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ إِلَى هَوْلَهُ : ﴿ وَسَنُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ إِلَى هَوْلَهُ : ﴿ وَسَنُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ إِلَى هَوْلُهُ : ﴿ وَسَنُيسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿ إِلَى اللَّهُ اللللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

٨ ـ أن السعادة تكون بالتصديق بالحق وامتثال الأمر والنهي.

٩ \_ أن الشقاوة تكون بالتكذيب بالحق وترك الطاعة؛ بمنع الواجب
 وفعل المحظور.

١٠ - إثبات القدر، والردُّ على القدرية، لقوله: ﴿ فَسَنْيَسِّرُهُ الْعُسْرَىٰ ﴿ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

۱۱ ـ أن التقوى والإحسان إلى الخلق والتصديق بالحق سبب لتيسير العبد للطريقة اليسرى، وهي الميسَّرة التي لا حرج فيها.

17 ـ أن البخل والفجور والتكذيب بالحق سبب لتيسير العبد للعُسرى؛ التي لا تنفك عن المشاق، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن لِلعُسرى؛ التي لا تنفك عن المشاق، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن فِينَ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

١٣ \_ أن التوفيق للحسنة يكون جَزاءً على حسنة، فيدل على

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)؛ من حديث علي اللهاله.

قبولها، وأن الخذلان وفعل السيئة يكون عقوبة على سيئة قبلها.

١٤ ـ أن الفاجر الذي اغتر بماله ومنع حق الله فيه لا يغني عنه ماله
 إذا حضره الموت.

ولما ذكر سبحانه من يُيَسَّر لليسرى ومَن يُيسَّر للعسرى، وهم السعداء والأشقياء، أخبر تعالى أن عليه بيان الطريقين، طريق الهدى وطريق الضلال، وأنه مالك الدنيا والآخرة، فقال:

#### 🛞 التفسير:

قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿ أَي: أَوْجِبَتُ على نفسي ـ بمقتضى الفضل والحكمة ـ أَنْ أبين طريق الهدى والضلال، وطريق الطاعة والمعصية. فهذا ضمان مِن الله لبيان الطريقين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد هذا البيان.

 وتقديم الآخرة في قوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿ لَانَهَا أَعَظُم مَنَ الْدَنْيَا، ولمراعاة الفاصلة.

قوله: ﴿ فَأَنْدُرْتُكُمْ فَارًا تَلَظَّىٰ ﴿ فَا ﴾؛ أي: خوفتكم وحذرتكم نارًا عظيمة تتلهب وتتوهج، كما قال تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ فَارًا ذَاتَ لَهَبِ ﴿ فَهِ المسد]، والفاء في ﴿ فَأَنْدُرْتُكُم ﴾ للسبية، فإن الإنذار مسبب عن كون الآخرة لله ﴿ فَلَن وأصل ﴿ تَلَظّى ﴿ فَا لَكُونَ الْآخِرة لله وَ فَل الله والخطاب عام وأصل ﴿ تَلَظّى ﴿ فَلَ يَصُلَنُهَا إِلّا الْأَشْقَى ﴿ فَا لَا يَدخلها ويقاسي لجميع المكلفين. ﴿ لا يَصُلَنُهَا إِلّا الْأَشْقَى ﴿ فَهِ الْكَافِر، بدليل حرها ﴿ إِلّا الْأَشْقَى ﴿ فَهُ الله والكافر، بدليل قوله: ﴿ اللَّهِ الله وَهُ الله والكافر، بدليل قوله: ﴿ اللَّهِ الله والكافر، المومن العاصي قد يدخل النار، كما دلت على ذلك النصوص؛ لأن المواد في الآية الدخول الدائم.

وَوسَيُجَنَّمُ اللَّافْقَ اللَّهِ الله الله الله عن النار مَن يكون أتقى لربه، و(التجنيب) جعل الشيء من الشيء جانبًا، والفعل يُجنّب ينصب مفعولين، مفعوله الأول وآلاً نُقى الله الذي هو نائب الفاعل، والمفعول الثاني الضمير المتصل الهاء، فالأتقى لما اجتنب السيئات جنبه الله النار، والجزاء من جنس العمل.

ثم ذكر من صفات الأتقى: ﴿ اللَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّ ﴿ أَي اللَّهُ يَتَزَكَّ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّ

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نَعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿ هَا مَاكِيد لقوله: ﴿ يَتَزَكَّى ﴿ ﴾ ، والمعنى: ليس لأحد عند هذا الأتقى نعمة سابقة حتى يكافئه عليها ﴿ إِلَّا اللَّهِ وَجَدِ رَبِّهِ ٱلأَعْلَى ﴿ أَي: لكن لا يفعل ذلك إلا ابتغاء ثواب الله

ورضاه، فالاستثناء منقطع؛ لأن الابتغاء ليس من جنس النعمة، وهُ ٱلأُعْلَىٰ ﴿ وَهُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿ وَلَسُوفَ يَرْضَى بِمَا يُعطيه الله في الآخرة من النعيم المقيم، والله أكرم مَن وعد وأصدق من وفي ﴿ وَعَدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ ﴾ [الروم: ٦].

ونقل ابن عطية والرازي وابن كثير اتفاق المفسرين على أن المقصود بهذه الآيات أبو بكر الصديق والله الأولى، وهي وإن لم يرد بها نص صحيح فإنها منطبقة عليه، فيدخل فيها بطريق الأولى، ولا ريب أنه والفضل الأمة بعد نبيها محمد والها.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الله أوجب على نفسه هداية العباد ببيان طريق الخير وطريق الشر.

٢ ـ أن الدنيا والآخرة ملك الله تعالى يتصرف فيهما كيف شاء.

٣ \_ أن الله أنذر العباد النار ليتجنبوا الأسباب المفضية إليها.

٤ ـ أن أحق الناس بدخول النار هو الأشقى الذي كذب بالحق،
 وتولى عن طاعة الله.

٥ \_ أن أحق الناس بالنجاة من النار من كان أتقى لله.

٦ ـ أن النجاة من النار كانت بفضل الله ورحمته، والتقوى سبب في ذلك، لقوله: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهُا ٱلْأَنْقَى ﴿ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ ع

٧ ـ أن التقي ينفق ماله ليزكي نفسه.

٨ ـ أن أفضل الإنفاق ما كان خالصًا لوجه الله، وأفضل ذلك ما
 كان مبتدًا لا مكافأة.

٩ \_ فضل أبي بكر نَفِيْظُنِه في العمل والجزاء، والرد على الرافضة.

١٠ \_ إثبات الوجه لله.

١١ \_ إثبات العلو بكل أنواعه لله تعالى.



هذه السورة مكية، وعدد آياتها إحدى عشرة، اشتملت الآيات الخمس الأولى على قسم من الله بالضحى وبالليل إذا سجى، وعلى جواب القسم في ثلاث آيات، واشتملت الآيات الباقية على امتنان الله على نبيه على نبيه على بما أنعم عليه من الإيواء من يُتمه والهدى والغنى، ثم التوجيه إلى ما يتضمن شكر هذه النعمة: ﴿ فَالَمَّ الْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرُ ﴿ فَ وَأَمَّ النَّابِلُ فَلَا نَقْهَرُ ﴿ فَ وَأَمَّا النَّابِلُ فَلَا نَقْهُرُ ﴾.

# الآيات:

﴿ وَٱلضَّحَىٰ ۞ وَٱلتَّلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۞ [الضحى].
 لَكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۞ [الضحى].

## 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَالشَّحَىٰ ﴿ أَي: أَقسم بالضحى، فهو قسمٌ مِن الله بوقت الضحى الذي فيه انتشار الضياء والحركة، وهو تعالى النهار، وهو مِن ارتفاع الشمس إلى الزوال، ﴿وَالنَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿ أَي: النهار، وهو مِن ارتفاع الشمس إلى الزوال، ﴿وَالنَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿ أَي: أَقسم بالليل إذا عمَّ بظلامه وسكن؛ أي: انقطعت فيه الحركة، والضحى والليل من مخلوقات الله الباهرة ومن آياته الظاهرة الحرية بالتفكر والاعتبار، والضحى يقابل الليل، فبينهما تضاد يدل على كمال قدرة الله وحكمته في خلق المتباينات.

وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: ما تركك ربك أيها الرسول، و(التوديع) مبالغة في الوداع، وهو الترك؛ أي: ما قطع الله عنك الوحي، وفي لفظ (رب) وإضافته إلى النبي عَلَيْ لطف من الله بنبيه، وحفاوة به عَلَيْ ، وَوَمَا قَلَ شَهُ ﴾؛ أي: ما أبغضك، وحذف المفعول من وفي للفاصلة، والمعنى: وما قلاك.

وفي الآيات ردُّ على الكفار، فإنهم حين أبطأ جبريل على النه على النبي على النبي على الله قوله: ﴿وَالضَّحَىٰ ۞ وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ (١).

وبين المُقسَمُ به والمقسَمُ عليه تناسب؛ فكما يجيء الضحى بعد ظلام الليل، فكذلك الوحي وافَى بعد انقطاعه واحتجاب نوره.

﴿ وَلَلْآخِرَةُ ﴾؛ أي: وللدار الآخرة، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَلُّكُ ٱلدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣]، ولام الابتداء لتوكيد مضمون الجملة، ﴿ فَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَى ﴿ آي: خيرٌ من دار الدنيا، فما أعده الله في الآخرة من الثواب والكرامة لنبيه على خير مما أعطاه في الدنيا، ولهذا كان على يقول في دعائه: «اللَّهُمّ لا عيش إلا عيش الآخرة (٢٠)، وفي الآية بشارة لما سيكون له عليه الصلاة والسلام في الدنيا من النصر وظهور الدّين، كما يفيده أفعل التفضيل ﴿ فَيْرٌ ﴾، فإن له عليه الصلاة والسلام في الدنيا والآخرة خير له وأفضل.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ أيها النبي في الآخرة مِن أنواع الإنعام والإكرام، ومن أعظمها الشفاعة = ما يرضيك، وأكدَّ الجملة باللام؛ لأنه

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١٨٠٥)؛ من حديث أنس ظلمه.

مقام وعْد، ﴿فَرَّضَىٰ ﴿ لَهُ بِذَلَكُ العطاء، وفي الجمع بين لام التوكيد وحرف التنفيس ﴿ سَوْفَ ﴾ دلالة على تحقق الوعد وإن تأخر عن هذه الدنيا.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ \_ أن الله يقسم بما شاء من خلقه.

٢ ـ أن الله تعالى يقسم بالزمان وبأجزاء من الزمان، فأقسم: بالليل والنهار والفجر والعصر وبالضحى.

٣ ـ أن من آيات الله ونعمه الليل وسكونه، والضحى والانتشار فيه.

٤ \_ الرد على المشركين الذين زعموا أن الله قلى نبيه.

٥ \_ أن الآخرة خير لنبيِّه من الدنيا.

٦ \_ كرامة النبي ﷺ على ربه.

٧ ـ إثبات الربوبية الخاصة التي من مقتضاها العطاء الكثير والخير الوفير.

٨ ـ أن الله سيكرم نبيه من العطاء حتى يرضى.

9 \_ إثبات الشفاعة من قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعَطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى آ ﴾ ، ويشهد للآية حديث الشفاعة الطويل (١١) ، وما رواه مسلم أن الله قال: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك (٢٠).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)؛ من حديث أبي هريرة ظلمه

<sup>(</sup>٢) مسلم (٢٠٢)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فيها-

ولما بشر الله نبيه ﷺ بما سيعطيه في الآخرة من أنواع الخير ذكّره بما أنعم عليه مِن النعم السابقة في الدنيا، فقال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَعِدْكَ يَتِيمًا فَعَاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآبِلًا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآبِلًا فَهَدَىٰ ۞ وَأَمَّا إِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآبِلَ فَلَا نَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا إِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَعَدِثْ ۞ فَأَمَّا الْسَحَى].

#### التفسير:

قوله تعالى: ﴿أَلُمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَعَاوَىٰ ﴿ أَي: فاقدًا لأبيك فآواك إلى من يكفلك ويرعاك، والاستفهام للتقرير والامتنان، والتقرير هو حمل المخاطب على الإقرار بمضمون الجملة؛ أي: وجدك يتيمًا فآوى، وكان أبوه عبد الله بن عبد المطلب توفي وهو عليه الصلاة والسلام حمل في بطن أمه، وماتت أمّه وهو ابن ستة أعوام، وكان الذي كفله جده عبد المطلب، ثم توفي جده وعمره ثماني سنين، فكفله عمه أبو طالب، وكان شقيقًا لأبيه عبد الله، فما زال يرعاه ويحوطه حتى بعثه الله فنصره، وكف عنه الأذى إلى أن مات قبيل الهجرة بقليل، وهذا إيواؤه وقي الذي ذكره الله.

﴿ وَوَجَدُكَ ضَالًا فَهَدَىٰ ﴿ أَي: غير عالم فعلَّمَكَ ما لم تكن تعلم، وكان عليه الصلاة والسلام لا يعلم شيئًا عن الشريعة، ولا عما يراد به من النبوة، حتى أتاه الوحي، كما قال تعالى: ﴿ مَا كُنتَ نَدْرِى مَا الْكِتَبُ وَلَا آلِايمَنُ ﴾ [الشورى: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ عَن الْكِتَبُ وَلَا آلِايمَنُ ﴾ [الشورى: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ عَن الْكِتَبُ وَلَا آلِايمَنُ ﴾ [الشورى: ٥٦]، وقال على الله وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكُ الله وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكُ ﴾ [القصص: ٨٦].

وقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآبِلًا فَأَغْنَى ﴿ إِنَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَآبِلًا فَأَغْنَاكُ،

وحذف مفعول ﴿فَاوَىٰ ﴿ الله الله وَهُدَى ﴾ و﴿أَغْنَى ﴾؛ تفخيمًا لشأن الإيواء والهداية والإغناء، ولموافقة رؤوس الآي.

ولما ذكّره الله بهذه النعم الثلاث وصّاه بما يفعل في ثلاث مقابِلَة لها؛ حتى يعامل أهلها بما يقتضيه إنعام الله عليه، فيرحم اليتيم، ويرفق بالسائل، ويحدث بنعمة الله، ولذا جاء الكلام مفرّعا بالفاء على ما سبق: فِفَامًا ٱلْيَسِمَ فَلَا نَقْهُرْ آلَ هَمُ هذا في مقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَسِمًا فَاوَىٰ آلِنَامِلُ فَلَا نَقْهُرْ آلَ ﴾ هذا في مقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَسِمًا فَاوَىٰ آلِنَامِلُ فَلَا نَتْهُرْ آلَ ﴾ أي: فأما اليتيم فلا تظلمه لضعفه، وأحسن إليه، ﴿وَأَمّا ٱلسّامِلُ فَلَا نَبْهُرْ آلَ ﴾ هذا في مقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَىٰ آلَ وَوَجَدَكَ عَآمِلًا له في فَاعَيْنَ آلَ ﴾؛ أي: وأما سائل العلم أو المال فلا تزجره ولا تغلظ له في القول لجهله أو الإلحاحه.

وُواًما بِنِعْمَةِ رَبِكَ فَحَدِثَ شَ هذا في مقابل النّعم الثلاث؛ أي: حدّث نفسك وغيرك بها وبغيرها من نعم الله عليك وأظهرها، واشكر الله عليها، وهذا الخطاب عام له ولأمته عليه، فيتحدث العبد بنعم الله عليه على وجه الشكر والثناء على الله، وأضاف النعمة إلى ﴿رَبِّكَ ﴾ تشريفًا لها، وأنه المنعم بها.

## ﻫ الفوائد والأحكام:

١ ـ امتنان الله على نبيه بما أنعم عليه: ١ ـ من الإيواء في يتمه.
 ٢ ـ والهدى بالنبوة بعدما كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان.
 ٣ ـ وبالغنى بعد الفقر.

٢ ـ عظم حق اليتيم، وقد تضافرت النصوص في الأمر بالإحسان
 إلى اليتامى والنهي عن ظلمهم.

 نهر السائل؛ سائل المال أو سائل العلم؛ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآمِلَ فَلَا نَنْهُرْ ﴿ ﴾. ٣ ـ التحدث بنعم الله، ويدخل في ذلك نشر العلم؛ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿ ﴾.

٤ ـ التناسب بين هذه التشريعات وبين المنن الثلاث في قوله:
 ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ بَتِيمًا فَتَاوَىٰ ۚ ﴿ ﴾ الآيات الثلاث.

٥ ـ أن التحدث بنعم الله مِن شكرها، وهذا المعنى في القرآن كشير؛ كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُونِ كَشِير؛ كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُونِ
 [الأحزاب: ٩].





هذه السورة مكية، وعدد آياتها ثمان، اشتملت آياتها الأربع الأولى على امتنان من الله على نبيه على نبيه الله عليه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر، ودلت الآية الخامسة والسادسة على الوعد باليسر بعد العسر؛ ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِ يُسْرًا ۞ ، وفي ذلك تسلية للنبي علي مما ناله من أذى قومه، ودلت الآية السابعة والثامنة على الأمر بالنَّصَب بالعبادة عند الفراغ مع الرغبة إلى الله، لنيل ثوابه ورضاه؛ ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَأَنْصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَب ۞ .

## الآيات:

الله وَأَلَةُ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرَكَ ١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ١ الَّذِي ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ١ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرِكَ ١ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ١ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ١ فَإِذَا فَرَغْتَ فَأَنْصَبُ ﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَب ۞ [الشرح].

### 🕸 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ أَلَوْ نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ ١٠٠ أي: ألم نوسع لك صدرك، وهذا استفهام تقرير وامتنان؛ فإن الاستفهام إذا دخل على النفي قرره، وصار الكلام أقوى أثرًا وأمكن في النفس، والمعنى: قد شرحنا لك صدرك، بدليل قوله: ﴿وَوَضَعْنَا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا﴾، وفي قوله: ﴿ لَكَ ﴾ وإضافة الصدر إليه تأكيدٌ للامتنان، وتنبيه على عود أثر النعمة إليه على الله على الله نفسه بصيغة الجمع ﴿نَشْرَحْ ﴾ لدلالتها على التعظيم.

وشرح الصدر معنوي على قول الجمهور، كما يقول ابن عطية، وذلك بتوسيعه بنور الوحي والنبوة، وما أودع الله فيه من الهدى والإيمان ومكارم الأخلاق.

وقيل: إنه شرحٌ حسِّي، بما وقع له على من ذلك مرتين:

إحداهما: في صباه يوم كان مسترضعًا في بني سعد، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس صلحه أن رسول الله على أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: «هذا حظُّ الشيطان منك»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمِّه \_ يعني ظئره \_ فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: «وقد كنت أرى أثر ذلك المخيَط في صدره»(۱).

والأخرى: قبل المعراج، لحديث أنس وَ الله في مسلم أيضًا، قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله على قال: "فُرِج سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل على فَفرج صدري، ثم غسله مِن ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء "(٢) الحديث.

ولا تعارض بين القولين؛ فإن الشرح الحسّي هو من أسباب الشرح المعنوي، والله أعلم.

قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِذْرَكَ ۞﴾؛ أي: حططنا عنك الذنب، أي:

<sup>(1)</sup> مسلم (177).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

غفرناه لك، وأصل الوزر الحِمْل الثقيل، سميت الذنوب أوزارًا \_ على سبيل الاستعارة \_ لثقلها على قلب المؤمن، وثقل تبعتها على الكافر والعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآة مَا يَزِرُونَ إَنْ اللهُ اللهُو

وَالَّذِى اَنَفَسَ طَهْرَكَ ﴿ إِنَّى اللهِ الذَب حتى صار له نقيضٌ اللهِ صوت، فالله للاستعارة، أي: أثقله الذنب حتى صار له نقيضٌ الي: صوت، فالله تعالى قد حط عن نبيه ولله جميع الأوزار ما تقدم منها وما تأخر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحَا لَكَ فَتَعَا مُبِينَا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا نَقَدَمَ مِن ذَفْكَ وَمَا تَأْخَرَ ﴾ [الفتح]، ولْيُعلم أن الأنبياء تجوز عليهم الصغائر، ولكنهم يتوبون تأخرَ ﴾ [الفتح]، ولْيُعلم أن الأنبياء تجوز عليهم الصغائر، ولكنهم يتوبون منها ولا يُقرُّون عليها، وتكون حالهم بعد الذنب خيرًا منها قبله، ولْيُعلم أنه ليس كل ذنب يجوز على الأنبياء؛ فإن منها أشياء لا تقع منهم أبدًا الكذب، والخيانة، وما يزري بهم، ويُنفِّر عنهم، لا قبل النبوة ولا بعدها.

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ( الله وبذكر السمه مع اسمه تعالى، وطاعته بطاعته، كقوله اسمك في الشهادة، وقرن اسمه مع اسمه تعالى، وطاعته بطاعته، كقوله تعالى: ويَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤا أَطِيعُوا ٱللّهَ وَرَسُولُهُ اللّهَ وَرَسُولُهُ الله وَرَسُولُهُ الله الله وَوَله : ﴿ وَلَوَ أَنْهُمُ رَضُوا مَا مَاتَنَهُمُ الله وَرَسُولُهُ وَرَسُولُهُ وَالنساء: ١٣٦]، وقوله : ﴿ وَلَوَ أَنْهُمُ رَضُوا مَا مَاتَلَهُمُ الله وَرَسُولُهُ وَرَسُولُهُ وَرَسُولُهُ وَالنساء : ١٣٥]، ولم يخاطبه الله باسمه العلم (محمد)، بل بوصف النبوة والرسالة، وألقى الله في قلوب المؤمنين محبته وتعظيمه وإجلاله عَلَيْهُ.

قوله: ﴿ وَإِنَّ مَعَ ٱلْمُسْرِ يُسُرًا ﴿ إِنَّ الله الفاء هي الفصيحة التي تفصح عن شرط مقدر؛ أي: إذا كنا أنعمنا عليك بذلك فلا تحزن لعدم إيمان قومك، واصبر على أذاهم ﴿ إِنَّمَ الْمُسْرِ ﴾؛ أي: المشقة والضيق ﴿ يُسَرًا ﴿ فَ الْمُسْرِ ﴾ ؛

أي: فرجًا وسعة، وتنكير (اليسر) لعظمته وسعته، فهو يسر في كل شيء، وفي الآية بشارة ووعد من الله بنصر نبيه وإظهاره على المشركين عن قريب، لما تفيده ﴿مَعَ ﴾ مِن سرعة مجيء اليسر بعد العسر، فكأنه معه؛ أي: مقارن له، ولذا أكد المعنى بتكراره فقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسِّرِ يُسُرًا

ولما ذكّر الله نبيّه بنعمه ندبه إلى الشكر والاجتهاد في العبادة، فقال: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾؛ أي: من أمر دنياك ﴿ فَانَصَبْ ﴿ ﴾ ؛ أي: جِدَّ في العبادة، ففيها: الحث على استغراق جميع الأوقات في عبادة الله، وهذا أمر للنبي على ولأمته، وكذا قوله: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَب ﴾ ؛ أي: إلى ربك عرصه دون غيره \_ فارغب، كما يفيده تقديم الجار والمجرور؛ أي: فاتجه إلى ربك بالسؤال والضراعة وطلب ما عنده من الخير، فتضمنت الآية توحيد الربوبية في قوله: ﴿ رَبِّكَ ﴾ ، وتوحيد العبادة في قصر الرغبة على الرب سبحانه.

# ه الفوائد والأحكام:

۱ ـ امتنان الله على نبيه ﷺ بما أنعم عليه مِن شرح صدره، والمراد بشرح الصدر ـ كما تقدم ـ قيل: معنوي، وهو توسعته لقبول ما يلقى إليه من الوحي، وقيل: حسِّي، كما جاء في الخبر.

٢ ـ امتنان الله على نبيه ﷺ بوضع وزره، وذلك بمغفرته تعالى له
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

٣ - إكرام الله لنبيَّه عليه الصلاة والسلام من أول أمره بعظيم النعم.

٤ - أن الذنب ثقيل على القلب، ولذا شُبّه بالشيء الثقيل الذي يحمل على الظهر.

٥ ـ امتنان الله على نبيه برفع ذكره، وهو إعلاء ذكره، فلا يذكر الله
 إلا ذكر معه، كما في الشهادتين.

٦ \_ تسلية الله لنبيِّه ﷺ بوعده باليسر بعد العسر.

٧ ـ أمره تعالى نبيه ﷺ بشكره على ما مَنَّ به عليه من نعمه، وذلك بالنَّصَب في عبادته والرغبة إليه.

٨ \_ قَصْرُ الرغبة في المطالب على الله وحده.

٩ \_ أن كل ما يُطلب مِن خيرٍ فهو عند الله وبيده، فوجب أن تكون
 الرغبة إليه وحده، كما تدل عليه ربوبيته تعالى العامة والخاصة.

١٠ ـ التناسب بين هذه السورة والتي قبلها؛ لما فيهما من الامتنان والأمر بما يكون به الشكران.





سورة التين مكية، وعدد آياتها ثمان، تضمنت الآيات الثلاث الأولى قسمًا من الله بأربعة أشياء: بالتين، والزيتون، وطور سينين، والبلد الأمين.

التين والزيتون ثمرتان معروفتان، فالله يقسم بهما، وقيل: المراد منابتهما، وهي الأرض التي بعث فيها المسيح، فيكون الإقسام من الله بالمواضع التي خرجت منها الرسالات الثلاث: رسالة المسيح، ورسالة موسى، ورسالة محمد عليهم الصلاة والسلام، ولم تذكر المواضع مرتبة الترتيب الزمني، وذلك ليقترن ذكر موسى بي بذكر رسالة محمد بي، الما بين الرسولين والرسالتين من التشابه، وهذا كثير في القرآن، لما بين الرسولين والرسالتين من التشابه، وهذا كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿قُلُ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَبُ ٱلَّذِى جَآهَ بِهِ مُوسَىٰ ثُورًا وَهُدَى لِلنَّاسِ كَاللَّهُ مُبَارَكُ مُصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

وتضمنت الآيات الرابعة والخامسة والسادسة جواب القسم وذِكْرَ المقسم عليه، وهو الإنسان في مبدئه ومنتهاه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي مبدئه ومنتهاه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي آخَسَنِ تَقْوِيمِ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْمِنْلِحَنْتِ فَلَهُمْ أَجُرُ غَيْرُ مَنُونِ ﴾ .

وأما الآيتان السابعة والثامنة فتضمنتا توبيخ المكذبين بالجزاء، وتمجيد رب العالمين ﴿ وَنَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿ الْعالمين اللَّهُ بِأَخَكَر اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللّهُ ال

### 🕸 التفسير:

قوله: ﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿ ﴾؛ أي: أقسم بالتين والزيتون، فهو قسم من الله تعالى بالتين والزيتون، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله تعالى، كما تقدمت الإشارة إليه، ﴿وَالنِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ هما الثمرتان المعروفتان، وأقسم الله بهما لكثرة منافعهما، ولما فيهما من الدلالة على عظيم قدرة الله وبديع صنعه وحكمته ﴿ وَاللَّهِ وَلَمَا فَيهما من الدلالة على عظيم قدرة الله وبديع

ولا ينفي ذلك أن يكون معنى الآية - على ما اختاره بعض المفسرين - أنه قَسمٌ بأرض التين والزيتون؛ أي: البلاد التي تنبت فيها، وهي بلاد أشرقت منها رسالات الله السماوية، ووُجد فيها الأنبياء الكرام، فأرض التين والزيتون هي الشام، وقد ظهر منها أنبياء آخرهم كلمة الله عيسى ابن مريم عليه ، ﴿وَمُورِ سِينِينَ الله هو الجبل الذي كلم الله عنده موسى الله .

ويدل لهذا القول أن الله عطف عليه قوله تعالى: ﴿وَهُذَا ٱلْبَلَهِ اللَّهِ عِلْمَ عَلَى عَلَى اللَّهِ عَالَى يقسم الْأَمِينِ ﴿ أَي: مَكَةً، وفيها بُعث نبينا محمد ﷺ، فالله تعالى يقسم بهذه البقاع لشرفها، وللتذكير بنعمته تعالى على خلقه، حيث أخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقوله: ﴿ وَمُلُورِ سِينِهَ ١ سِينينَ الله سِينين لغة في (سيناء) بفتح السين

وكسرها، وسيناء صحراء بين مصر وفلسطين، ﴿وَهَاذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿ هُوَهَاذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أي: وأُقسم بهذا البلد الأمين الذي هو مكة، والإشارة إليه لشرفه، و﴿ ٱلْأَمِينِ ﴾ بمعنى الآمن، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا وَإِنَا ﴾ إلينكبوت: ١٧]، ومَن دخله فقد أمِن على نفسه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن دخله فقد أمِن على نفسه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَن دَخله أَمِن عَلَى نفسه، كما قال سبحانه:

وَلَقَدْ خَلَقَنَا ٱلْإِنسَانَ فِيَ أَحْسَنِ تَقْوِيمِ ﴿ اللَّهِ عَلَا جوابِ القسم، والمراد بالإنسان جنس بني آدم؛ أي: خلقناه في أحسن صورة، سَويَّ الأعضاء منتصب القامة، ذا فطرة سوية وعقل يميز به الخير من الشر، كما قال على: "ما مِنْ مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (۱) ، فمن آمن بالله ورُسله فقد نجا من عذاب الله وفاز برضوانه، ومن كفر فمصيره النار، ولهذا قال: ﴿ مُنَّ رَدَدَتُهُ أَسْفَلَ سَفِلِينَ ﴿ وَهُ اللَّهُ وَرُسله فقد نجا من عذاب الله والكفار سَفِلِينَ ﴿ وَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مُ الْأَسْفَلِينَ اللهُ وَاللَّهُ مُ الْأَخْسَرِينَ اللهُ واللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَمُومَهُ وَجُومَهُ اللهُ وَمُلْهُ وَجُومَهُ اللهُ الله

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالردِّ إلى أسفل سافلين هو الرد إلى أرذل العمر بالهرم، وضعَّف شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول، وقطع بالقول الأول، وهو أن المراد النار، وأيد ذلك بوجوه قوية (٢).

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَاتِ ﴾؛ أي: جمعوا بين الإيمان وعمل الصالحات، والاستثناء متصل، استثني المؤمنون من جنس

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (١٦٢)؛ من حديث أبي هريرة ظَلْجُه.

<sup>(</sup>۲) ينظر: مجموع الفتاوي (۲۱/۲۷۹).

الإنسان، فإنهم لا يُردون إلى أسفل سافلين يوم القيامة؛ ولا تَقْبُح صورهم، بل يزدادون حسنًا إلى حسنهم وبهجة إلى بهجتهم.

وعطف العمل الصالح على الإيمان من عطف الخاص على العام؛ لأن العمل من الإيمان، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ ﴿ فَكَ قدم الجار والمجرور ﴿ فَلَهُمْ ﴾ للفاصلة وللبشارة والتشويق لما بعده؛ أي: لهم ثواب عظيم غير مقطوع، وهو جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، والفاء رابطة؛ لتضمن الموصول ﴿ اللَّذِينَ ﴾ معنى الشرط، وقد لا يتضمن الموصول معنى الشرط، وقد لا يتضمن الموصول معنى الشرط، فلا تأتي الفاء، كما في سورة الانشقاق في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا اللَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَمَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمّنُونٍ ﴿ الانشقاق]، وهذا من التنويع في الكلام.

قوله: ﴿ وَمَا يُكَذِبُكَ بَعَدُ بِالدِّينِ ﴾ استفهام إنكاري، والفاء للتفريع، تفريع الإنكار على ما ذكر قبلها من دلائل الإيمان والقدرة، والمعنى: أيَّ شيء يحملك \_ أيها الإنسان \_ على التكذيب بالبعث والجزاء بعد وضوح الأدلة وقيام البرهان على ذلك؟! فإن مَن خلقك بعد العدم قادر على إعادتك مرة أخرى للجزاء، وفي الكلام التفات مِن الغَيبة إلى الخطاب لتشديد الإنكار والتويبخ،

﴿ اَلَيْسَ اللَّهُ بِأَخَكِمِ الْمُنكِمِينَ ﴿ إِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مِن اللَّهُ مِن الللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللللَّهُ مِن اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللللَّهُ مِن الللَّهُ مِن الللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن

وفي الآية وعيدٌ لكل مكذب، وفيها دليل على أن البعث والجزاء موجَب حكمة الربِّ ﷺ، فتأبى حكمتُه ألا يجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى،

# ه الفوائد والأحكام:

١ \_ فضل التين على سائر الفواكه.

- ٢ \_ فضل الزيتون على غيره من الأُدُم.
- ٣ \_ أن شجرهما ينبت في أرض الشام.
- ٤ .. فضل هذه المواضع الثلاثة التي ظهرت فيها الرسالات الثلاث: رسالة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم، وأفضلها البلد الأمين، مبعث خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين، وهو مكة التي حرمها الله، وجعلها بلدًا آمنا.
  - ٥ ـ النص على أن هذه السورة مكية، بدليل الإشارة في قوله: 
    ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾، وهذا كقوله: ﴿ وَأَنتَ حِلُّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد].
    - ٦ \_ أن من أسماء مكة البلد الأمين.
  - ٧ ـ تفضيل مكة بالأمن الكوني، ومنه: حفظها ممن يريدها بسوء،
     كما في حادثة الفيل، والأمن الشرعي، ومنه: تحريم شجرها وصيدها،
     وتغليظ حرمة الدماء والأموال والأعراض فيها.
    - ٨ ـ تفضيل الإنسان في حُسن خلْقه في صورته وانتصاب قامته.
  - ٩ ـ إثبات قدرته تعالى على البعث، بدليل قدرته تعالى على خلق
     الإنسان في نشأته الأولى.
    - ١٠ \_ سُوء مصير الإنسان الكافر بردّه إلى أسوأ حال.
  - ١١ أن الإيمان والعمل الصالح هما سبب النجاة من سوء المصير والفوز بالأجر الكبير.
    - ١٢ ـ اعتبار الصلاح في العمل، وهو ما كان خالصًا صوابًا.
      - ١٣ ـ دوام ثواب المؤمنين، وهو الجنة، ففيه:
    - ١٤ ـ الرد على من يقول بفناء الجنة، وهو جهم بن صفوان.

١٥ \_ أنه لا حجة للمكذبين بالبعث والجزاء، والرد عليهم بثبوت حكمته تعالى وقدرته.

١٦ - أنه تعالى أحسن الحاكمين؛ ﴿وَمَنَ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكُمًا لِقَوْمِ يُوفِونَ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكُمًا لِقَوْمِ يُوفِئُونَ ﴿ وَمَنَ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكُمًا لِقَوْمِ يُوفِئُونَ ﴾ [المائدة].

۱۷ ـ أن من أسمائه تعالى (أحكم الحاكمين)، والحاكم اسم فاعل
 من الحُكْم، وكمال الحُكْم يتضمن إثبات الحِكمة وكمالها.





سورة العلق مكية، وعدد آياتها تسع عشرة؛ الخمس الأولى هي أول ما نزل على النبي على النبي على من القرآن ألقاها إليه جبريل عليه، وهو في غار حراء، كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رفي النافي قصة بدء الوحى، قالت: «كان أولَ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه \_ قال: والتحنث: التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: «اقرأ»، فقال رسول الله: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ»، قلت: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ»، قلت: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ آفَرَأُ بِٱسْمِ رَبَكِ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ ٱقْرَأَ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْفَلَمِ ۚ ۚ ﴾ الآيــات إلــى قــولــه: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ۞﴾"(١) الحديث.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (٢٥٢).

### الآيات:

﴿ وَآقَرَأَ بِالسِّهِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ آقَرَأَ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ اللَّذِي عَلَّمَ بِأَلْقَالِمِ ۞ عَلَمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ۞ [العلق].

### 🕸 التفسير:

قوله: ﴿ أَقُرَأُ بِاللهِ وَمُفتتَ ابْدُ وَ أَيها النبي ـ ما يوحى إليك من القرآن مستعينًا بالله ومُفتتَ ابذكر اسمه تعالى، وقول جبريل النبي بَيِّةِ: ﴿ أَفَرَأُ ثَلاث مرات، هو تبليغ للأمر بالقراءة، فقوله: ﴿ أَفَرَأُ هُو مَن كلام الله المنزل، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُ في عدد من السبور والآيات، فهو أمر بأن يقول هذا القول، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُو الله أَحَدُ لَهُ اللهُ لنبيه أَمر مِن الله لنبيه بأن يقول ما ذكر، وهكذا قوله: ﴿ أَقُرَأُ هُ أُمرٌ من الله لنبيه بأن يقول ما ذكر، وهكذا قوله: ﴿ أَقُرَأُ هُ أُمرٌ من الله لنبيه بالقراءة، وجبريل مبلغ لهذا الأمر.

نبّه إلى هذا المعنى الطاهر ابن عاشور تَغَلّقُهُ، قال: "والأمر بالقراءة مستعملٌ في حقيقته مِن الطلب لتحصيل فعل في الحال أو الاستقبال، فالمطلوب بقوله: ﴿ أَفْرَأَ ﴾ أن يفعل القراءة في الحال أو المستقبل القريب مِن الحال؛ أي: أن يقول مَا سَيُمْلَى عليه، والقرينة على أنه أمر بقراءة في المستقبل القريب أنه لم يتقدم إملاء كلام عليه محفوظ فتُطلَب منه قراءته، ولا سُلِّمت إليه صحيفةٌ فتطلب منه قراءتها، فهو كما يقول المعلم للتلميذ: اكتب، فيتأهب لكتابة ما سيمليه عليه»، إلى أن قال تَخَلَّقُهُ: "وعلى هذا الوجه يكون قول الملك له في المرات الثلاث: ﴿ أَقْرَأَ ﴾ إعادةً للَّفظ المنزل من الله إعادةً تكرير؛ للاستئناس بالقراءة التي لم يتعلمها من قبل (١٠). ا.ه.

<sup>(</sup>١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٣٥).

وهذا كلام نفيسٌ قلَّ مَن نبَّه على معناه.

قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى خَلَقَ ﴿ آي: خلق جميع المخلوقات بعد العدم، كما يفيده حذف المفعول، فهو سبحانه المتفرد بالخلق، وذكر وصف الربوبية دون وصف الإلهية؛ لأن المقام مقام ربوبية وتدبير، ولما يفيده لفظ الرب من التربية الخاصة؛ أي: الذي ربّاك ورعاك، ففيه تأنيس للنبي ﷺ.

وبعد أن أخبر سبحانه أنه خلق جميع الكائنات خص الإنسان بالذكر، وهو من أشرف مخلوقاته، وأدلها على كمال قدرته وحكمته وعلمه سبحانه، لما في خلق الإنسان من الإحكام والإتقان الذي يبهر العقول، ولأنه المكلف بالأمانه والمخاطب بالكتب السماوية ومنها القرآن، فقال سبحانه: ﴿ غَلَقَ ٱلْإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ ) أي: خلق هذا الإنسان الحسن الخِلقة مِن عَلَق؛ جمع عَلقة، وهي القطعة الجامدة من الدم، وهومن البحائية، فمن قَدِر على خلق الإنسان مِن هذا الأصل الضعيف فهو قادرٌ على أن يعيده تارةً أخرى بعد الموت.

ثم أعاد تعالى الأمر بالقراءة للتأكيد، فقال: ﴿ أَفْرَا وَرَبُّكَ ٱلْأَكُرُمُ ﴿ آَ ﴾ أي: أكرم من كل كريم، فله سبحانه الكرم الأكمل من كل وجه، فالأكرم صفة تدل على كمال الاتصاف بالكرم، ومن كرمه سبحانه أنه ﴿ أَلَذِى عَلَمْ بِالْفَلَمِ فَهِي من جلائل النعم، وفيها من المنافع ما لا يحيط به إلا الله، فبالكتابة خُفِظ الدِّين وضُبطت العلوم وثبتت الحقوق، ومما يدل على شرف الكتابة أن الله ذكرها بعد تمدحه سبحانه بأنه الأكرم، والباء في القلم هي الداخلة على الآلة؛ أي: علمه الكتابة بواسطة القلم، كالتي في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا وَالْبَوْهُ بِبَعْضِما ﴾ [البقرة: ٢٧].

وقوله: ﴿ عَلَمُ الْإِنسَانَ مَا لَرْ يَعْلَمُ ﴿ اَي: ما لم يكن يعلم قبل تعليم الله له، فالله تعالى أخرج الإنسان من بطن أمّه لا يعلم شيئًا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، و ﴿ مَا ﴾ اسم موصول يعمُّ كلَّ علم، فكل علم يعلمه الإنسان فهو من تعليم الله له، فخصَّ ثم عمَّ في التعليم، كما عمَّ ثم خصَّ في الخلق.

وذكر السيوطي تَعْلَقُهُ أن سورة العلق في آياتها الأولى مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال؛ لكونها أول ما أنزل من القرآن، فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله، وفيه الإشارة إلى علم الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، من صفة ذات وصفه فعل، وفي هذا الإشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَمْ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْمَ فَيْ وَلَهُذَا قيل: إنها جديرةٌ أن تسمى (عنوان القرآن)؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله (١٠).

# 🏶 الفوائد والأحكام:

١ ـ الأمر بالقراءة، وهي التلاوة.

٢ \_ مشروعية الاستعانة بالله بذكر اسمه تعالى عند القراءة.

٣ .. الرد على الجبرية، لقوله: ﴿ أَقُرْأُ ﴾، فهو يدل على أن الإنسان له فعل.

٤ ـ أنه ليس أول واجب هو النظر في دلائل الربوبية، كما ذهب البه المتكلمون؛ إذ لم يؤمر به النبي في أول ما نزل عليه، قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (٢).

<sup>(</sup>١) الإتقان (٥/ ١٨٣٢) طبع مجمع الملك فهد.

<sup>(</sup>۲) مجموع الفتاوي (۲۱/ ۳۲۸).

- ٥ \_ أن الله خالق كل شيء، لقوله: ﴿ أَلَّذِى خَلَقَ ۞ ﴿ .
  - ٦ ـ إثبات صفة الخلق لله عَلِيْن.
  - ٧ \_ إثبات الأفعال الاختيارية له ﷺ.
    - ٨ \_ إثبات القدرة.
- ٩ \_ أن من أعظم الدلائل على قدرته تعالى خلق الإنسان.
- ١٠ إثبات قدرته تعالى على البعث، يؤخذ هذا بالاستدلال
   بالمبدأ على الإعادة.

قال شيخ الإسلام: "في الآية الأولى إثبات الخالق تعالى، وكذلك في الثانية، وفيها وفي الثانية الدلالة على إمكان النبوة، وعلى نبوة محمد على الله الشيخ من الدلالة على إمكان النبوة، وعلى نبوة محمد على أن القادر على خلق جميع الخلق وعلى خلق الإنسان نبيًا.

١١ ـ أن من أطوار خلق الإنسان: العلقة، وقد جاء ذكر هذا في مواضع من القرآن، وهو أول طورٍ يكون بالانتقال من الطور الأول النطفة.

١٢ \_ أن من أسماء الله الأكرم.

۱۳ - إثبات صفة الكرم، وهو حسن الأوصاف وكمالها، والإحسان إلى العباد بأنواع النعم.

- ١٤ ـ أن تعليم القراءة من كرمه تعالى.
- ١٥ أن علم الكتابة يكون بتعليمه سبحانه.

<sup>(</sup>١) السابق (١٦/ ٢٦٠).

١٦ \_ أن علم الكتابة من نعم الله.

1۷ - أن كل علم يعلمه الإنسان فبتعليمه وقل التعليم الشرعي وقل والكوني، فمن الكوني تعليم القلم، ومن الشرعي تعليم القرآن، وقد جمع الله النوعين في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ إِنَّ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ إِنَّ خَلَقَ الْإِنسَانَ فِي قوله تعالى: ﴿الرّحمٰنَ اللّهِ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ اللّهِ وَتعليم الْإِنسَانَ اللّهِ عَلَمَ ٱلْبَيَانَ اللهِ [الرحمٰن]، فتعليم القرآن شرعي، وتعليم البيان كوني.

#### 

لما ذكر الله ما أنعم به على الإنسان من النعم بدءًا مِن خلقه ثم تعليمه، مما يقتضي الشكر؛ إلا أنَّ مِن الإنسان مَن لم يشكر نِعم الله، وهم الأكثر، بل قابلوها بالكفران، ومع الاستغناء بالطغيان، الموجب للخسران والعذاب، فقال سبحانه:

هذه الآيات تضمنت ذكر صنف من الناس، وهو الكافر، أو إنسان معين من الكفرة، وهو أبو جهل، كما جاء في سبب نزول الآيات، وفيها ذم له بالطغيان وكفران النعمة، والنهي عن الصلاة، والصدِّ عن سبيل الله، وبالتكذيب والإعراض، وفيها تهديد وتوبيخ له.

وفيها وصف النبي ﷺ بضد ما عليه ذلك الكافر ﴿أَرَبَّتَ إِن كَانَ عَلَى الْمُدَىٰ ۚ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَهُ لِللَّهِ وَلَهُ لِللَّهِ اللَّهِ عَنْ طاعته، وأمرُهُ بالسجود لربه والتقرب إليه ﴿كَلَا لَا نُطِعْهُ وَاسْجُدُ وَاقْتَرِب ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ لَا نُطِعْهُ وَاسْجُدُ وَاقْتَرِب ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّالَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

وقوله تعالى: ﴿ كُلاّ ﴾؛ أي: حقًا ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْنَى ﴿ أَن رَّاهُ ٱسْتَغْنَى ﴿ أَن اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ الله وعشيرته، و(الإنسان) في الآية وإن كان المراد به أبا جهل؛ فإنه يعم كلَّ إنسانٍ ملاً الكِبرُ قلبَه، وأبطره الغنى، وعصى ربه، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ووصفه تعالى لأبي جهل بالطغيان يشبه قوله سبحانه في فرعون: ﴿ الله عَلَيْ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عن النبي الله عن أبي جهل أنه فرعون هذه الأمة (٢).

قوله: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلرُّجْنَىٰ ﴿ أَي: الرجوع والمصير إلى الله وحده، فيجازي كلا بعمله، وفي الآية تهديد لكل طاغ متكبر، و(الرجعي) مصدر كالبُشري.

﴿ أَرَبَيْتَ الَّذِى يَنْعَىٰ ﴿ إِنَّ الخطاب للنبي عَلَيْهُ ولكل من يصلح له الخطاب؛ أي: أخبرني أيها السامع عن هذا الطاغي الشقي، ما أجهله

<sup>(</sup>۱) صحيح مسلم (۲۷۹۷).

<sup>(</sup>٢) روى الإمام أحمد في المسند (٤٠٣/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٦٢)؛ عن ابن مسعود مرفوعًا: «كان هذا [أي أبو جهل] فرعون هذه الأمة».

وأضله! الذي ينهى على سبيل الاستمرار ﴿عَبَدًا إِذَا سَلَىٰ ۗ ۗ وهو النبي عَلَيْ، ووصْفُه بالعبودية تشريف له، ﴿ أَرَهَيْنَ ﴾ أيها السامع ﴿ إِن كَانَ ﴾ العبد المصلي ﴿ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ وَتَرك الشرك به ، أي: أمر الناس بالتوحيد وعبادة الله وترك الشرك به ، أيم عن ذلك؟! وفي الآية تعجيب وتشنيع على الشقي .

وَأَرَائِتَ إِن كُذَّبَ وَتُولَّتَ الله أخبرني أيها السامع عن هذا الناهي إن كذب بالرسول وأعرض عن اتباعه وألز يعلم بأن الله يرَى الله أي أي الله يرى الإيات على فعله القبيح، فيجازيه عليه، ولا يفلت من عقابه، ففي الآيات تعجيب من حال هذا الطاغي الجاهل، وتبشيع لفعله، مرة بعد مرة، حيث لم يقتصر طغيانه على غروره بماله، بل تمادى به الطغيان حتى صارينهي من يصلي لربه، ويشتد قبح فعله إذ كان ذلك العبد على الحق والهدى، آمرًا بتقوى الله، وقد جمع هذا الطاغي إلى ذلك الفعل القبيح التكذيب بالحق والتولي عنه.

وفي قوله ﴿أَلَرَ يَتُمُ بِأَنَّ أَلَهُ يَرَىٰ ﴿ يَكُ لِلْ اللَّهُ عَلَى جَهَلُهُ وَعَفَلَتُهُ عَنَ رؤية الله له، وهو يرد الحق وينهى من يؤمن به، ويدعو إليه، كقوله تعالى: ﴿أَيْخَسَبُ أَن لَمْ يَرُهُ أَخَدُ ﴿ ﴾ [البلد].

وَكَلَّهُ رِدعٌ وزجرٌ لذلك الطاغي وَلَيْ لَرَ بَنتِهِ اللام هي الموطئة للقسم الدال على تأكيد الكلام؛ أي: لئن لم ينته عما هو عليه من الطغيان والكفر ونهي الرسول وَ النَّهُ وَلَنسَفَعًا بِالنَّاصِيةِ اللهم واقعة في جواب القسم؛ أي: لنأخذن بناصيته، ثم نلقيه في النار، كقوله تعالى: ويُعْرَفُ ٱلدُجِرمُونَ بِسِيمَهُم فَيُوْخَذُ بِالنَّوْصِي وَٱلْأَقْدَامِ الله [الرحلن]، و(السّفع) هو القبض على الشيء وجذبه بشدة، وقوله: (الشفعاله أصله: (نسفعنْ) آخره نون ساكنة للتوكيد، لكنها جعلت في الرسم القرآني ألفًا على حكم نون ساكنة للتوكيد، لكنها جعلت في الرسم القرآني ألفًا على حكم

الوقف؛ لأن نون التوكيد الخفيفة يوقف عليها بإبدالها ألفًا، قال ابن مالك في نون التوكيد الخفيفة:

وأبدِلنه ابعد فَتْح ألفا وقفا كما تَقُولُ في قِفَن: قِفَا و(الناصية) هي شعر مقدَّم الرأس، وتطلق على مقدم الرأس بلا قيد شعر، وخصَّ الناصية لزيادة الإهانة والإذلال، ثم وصف ناصيته فقال: وناصِية كَذِبَةٍ في قولها، والمراد صاحبُها ﴿ المِنْوَةِ الله في فعلها، يقال: خطئ - بوزن عَلِم - خِطْأً فهو خاطئ، وهو مَن يفعل الذنب عن عمد، خلافًا لِـ (أخطأ)؛ فإنه الذي يفعله لا عن عمد، واسم الفاعل منه مُخطئ، ومصدره (الخَطأ) بالتحريك، هذا هو الأكثر في استعمال القرآن.

وقد يستعمل (الخَطَأ) بمعنى الخِطء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَنْلَهُمْ صَانَ خَطَأً كَبِيرًا ﴿ إِنَّ الْإِسراء] على قراءة ابن ذكوان وأبي جعفر.

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة ولله قال: كان رسول الله على يعند المقام، فمر به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده، فأغلظ له رسول الله على وانتهره، فقال: يا محمد بأيِّ شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدُ عُنَادِيَهُ ﴿ سَنَدُعُ الزَبَانِيَةُ ﴿ اللهِ اللهِ عَباس: لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته (۱).

قوله: ﴿ فَلْيَنْعُ نَادِيَهُ ﴿ ١٠ أَي: أهل مجلسه جميعًا من قرابته

<sup>(</sup>۱) مسند الإمام أحمد (۲۳۲۱). ورواه أيضًا ابن جرير في تفسيره (۳۰۸/۲٤)، وله شاهد من حديث ابن عباس اللهام أحمد (۲۳۲۱)، (۳۰٤٤)، والترمذي (۳۳٤۹). وقال عنه: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وصحح إسناده الحاكم (۳۸۰۹).

وَكُلَّهُ ردعٌ للطاغي ونفيٌ أن يفعل ما تحدي به، ولا نُطِعْهُ في ترك الصلاة، واثبت على معاصاته، والخطاب للنبي وَ الله واثبت على معاصاته، والخطاب للنبي والله تعالى بأنواع واقترب إليه تعالى بأنواع الطاعة، ومنها السجود، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، كما في الحديث (۱).

فبدئت السورة بالأمر بالقراءة التي هي ذكر ركن القيام في الصلاة، وختمت بالأمر بالسجود، الذي هو أفضل أحوال الصلاة، والفرق بين الاقتراب أن الاقتراب ثمرة التقرب.

# الفوائد والأحكام:

١ ـ التناسب بين السورتين (التين والعلق) في شأن الإنسان؛ في خلقه ومصيره، فهذا الذي طغى وتولى هو المردود في النار أسفل سافلين.

٢ ـ النهي عن الطغيان، وهو الإفراط في الكفر والظلم، وذم من
 اتصف به، ومنه كفران النعمة، والنهي عن المعروف، كالصلاة.

٣ ـ تهديد من طغى بالرجوع إلى الله بالموت، ثم البعث والجزاء.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٤٨٢)؛ من حديث أبي هريرة ١٠٠٠

<sup>(</sup>٢) صحيح مسلم (٥٧٨).

- ٤ \_ إثبات المعاد.
- ٥ \_ أن من أنواع الطغيان الصدُّ عن سبيل الله، ومنه النهي عن الصلاة.
  - ٦ \_ أن الغنى من أسباب الطغيان.
- ٧ ـ التقابل بين حال العبد الكافر الطاغي والعبد المؤمن التقي، وأنهما ضدان ﴿ أَرَبَيْتَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ
- ٨ ـ أن من الطغيان التكذيب بالحق والإعراض عن قبوله والعمل
   به، مع علم المكذب بأن الله يراه؛ ﴿أَرْءَيْنَ إِن كُذَّبَ وَتَوَلَّقَ ۚ إَلَا يَعْلَمَ بِأَنَّ الله يراه؛
   يَرَىٰ إِنْ كُنْ بَالَهُ عَلَمَ الله عَلَمُ الله عَلَمَ الله عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ عَل
  - ۹ ـ وصفه تعالى بأنه يرى كل شيء.
- - ١١ \_ \_ إثبات ملائكة العذاب، وهم الزبانية.
  - ١٢ ـ النهي عن طاعة الكفار، وشواهده في القرآن كثيرة.
- ۱۳ ـ الأمر بالسجود لله، وهو يتضمن الأمر بالصلاة، ففيه شاهد لقوله على: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(۱).
- ١٤ ـ التناسب بين أول السورة وآخرها، وارتباط ذلك بالصلاة،
   فأولها الأمر بالقراءة، وآخرها الأمر بالسجود.



<sup>(</sup>١) تقدم تخريجه.



سورة القدر، وعدد آياتها خمس، وهي مدنية على الصحيح، كما تشهد لذلك السُّنَّة في الأحاديث الصحيحة، وما فيها من التنويه بليلة القدر، ولم يكن مثل ذلك في مكة.

وقد تضمنت الإخبار عن وقت إنزال القرآن، وهو ليلة القدر، كما دلت الآية في سورة البقرة على الشهر الذي نزل فيه القرآن، وهو شهر رمضان، فدل مجموع الآيتين على أن ليلة القدر في شهر رمضان، كما تضمنت السورة التنويه بليلة القدر، وذلك من وجوه:

- ١ \_ إنزال القرآن فيها .
- ٢ \_ وصفها بذات القدر؛ أي: الشرف.
  - ٣ \_ تفخيمها بالاستفهام.
- ٤ \_ تعظيم شأنها بذكر اسمها الظاهر دون الضمير ثلاث مرات.
  - ٥ \_ تقدير المقادير فيها.
  - ٦ ـ أنها تفضل على ألف شهر.
  - ٧ ـ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.
    - ٨ ـ وصفها بأنها سلام.
    - ٩ ـ ومن السُّنَّة أن من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه.
- ١٠ \_ اجتهاد النبي ﷺ في تحريها، وترغيبه أصحابه في ذلك، فدل على فضلها الكتاب والسنة.

### 🛞 الآيات:

﴿ وَمَا آذَرَنكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿ وَمَا آذَرَنكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ لَنْزَلُ الْمُلَتِهِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِيهِم مِن كُلِ أَمْرٍ ﴾ سَلَمُ هِيَ حَتَى مَطْلِعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر].

### 🕸 التفسير:

وأَنزَلْنَهُ الضمير المنصوب يعود إلى القرآن، ولم يتقدم له ذكر للعلم به ولشهرته، وفي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ شَهُ ؛ أي: ليلة الشرف والفضل، من قولهم: "فلان له قدْرٌ"، فليلة القدر ليلة عظيمة تغفر فيها الخطيئات وتقال العثرات، وفي الصحيحين: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه"(١).

وقيل: سميت ليلة القدر من التقدير؛ لأن مقادير العام؛ من الأرزاق والآجال وغيرها، تقدر وتكتب في تلك الليلة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَكُ فِي لَيْلَةٍ مُّبُرَّكَةً إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿ فِيهَا يُقْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان].

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠)؛ من حديث أبي هريرة ظليه.

والمعنيان صحيحان، والثاني داخل في الأول، فإن تقدير المقادير فيها لشرفها وفضلها.

دلت الآية على أن القرآن أُنزل في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان، قال تعالى: ﴿ شُهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْذِلَ فِيهِ الْقُرْهَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومعنى إنزاله في رمضان؛ أي: ابتداء نزول القرآن كان في رمضان؛ فإن الليلة التي نزل فيها جبريل على النبي على الآيات الخمس مِن سورة العلق كانت في رمضان، وصح عن ابن عباس في في معنى ﴿ أَنزَلُتُهُ فِي لَيُلَةِ الْقَدْدِ ( ١٩٥٤) أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ جملة إلى بيت العزة من السماء الدنيا(١٠)، ثم بقي ينزل على الرسول في نجومًا مفرقًا بحسب الوقائع، وبهذا يظهر التناسب في ترتيب السورتين العلق مالقدر، فكأنه قيل: إن تلك الآيات في العلق أنزلت في ليلة القدر.

ودلَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿ عَلَى تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه:

**الأول: ذ**كر القرآن بالضمير.

الثاني: أن الله اختار لإنزاله أشرف الأوقات.

الثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه.

ولما كانت تلك الليلة عظيمة عند الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَذْرَنْكَ مَا لَيْلَةُ اللهُ وَلَمَا كَانَتُ تَلَكُ الليلة عظيمة عند الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَذْرَنْكَ مَا لَيْلَةً الْقَدْرِ إِنَّ ﴾؛ أي: أي شيء أعلمك عظم قدرها ومنتهى فضلها: ﴿لَيْلَةُ فَالاستفهام للتفخيم والتشويق لما بعده، ولهذا قال في بيان فضلها: ﴿لَيْلَةُ اللهُ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ إِنَّ ﴾؛ أي: في الشرف والفضل، والمعنى: أن القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ إِنَ ﴾؛ أي: في الشرف والفضل، والمعنى: أن

<sup>(</sup>۱) أخرجه ابن جرير في تفسيره (۳/ ۱۸۸)، والنسائي في السنن الكبرى (۷۹۹۱)، والحاكم في المستدرك (۲۲۲۲)، ولم يتعقبه الذهبي، وصححه الضياء في المختارة (۱۵۱).

العبادة في تلك الليلة خيرٌ وأكثرُ ثوابًا وأعظم فضلًا مِن العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال ابن عيينة: «ما كان في القرآن ﴿مَا أَدْرَاكَ ﴾ فقد أعلمه، وما قال: ﴿وما يدريك ﴾ فإنه لم يعلمه (١) قلت: هذه قاعدة أغلبيه.

ثم ذكر تعالى من فضل تلك الليلة فقال: ﴿ لَنَزَّلُ الْمَلَتَهِكَةً ﴾؛ أي: تتنزل الملائكة تباعًا ﴿ وَالرُّوحُ ﴾ وهو جبريل الله ، والمعنى أنه ينزل مع الملائكة في ليلة القدر، وخصه بالذكر لشرفه مع أنه داخل في الملائكة، ﴿ بِإِذْنِ رَبِّمٍ ﴾؛ أي: بأمره تعالى لهم بالنزول، فنزولهم طاعة الله، وفي الحديث عن النبي الله أن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى (٢).

﴿ مِن كُلِ أَمْرٍ ﴿ إِنَ اللهِ اللهُ اللهِ الهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

ويجوز أن تكون ﴿ مِن على بابها، فيكون الجار والمجرور ﴿ مِن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ متعلِّقًا بما بعده، وهو قوله: ﴿ سَلَامٌ هِي ﴾، والمعنى: هي ليلةُ خيرٍ وأمان وسلام من كل آفة وشر (٣).

<sup>(</sup>١) نقله عنه البخاري في صحيحه (٧٠٨/٢).

<sup>(</sup>٢) وهو ما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٤٥)، ومن طريقه الإمام أحمد (٢٠٧٣٤)؛ من حديث أبي هريرة ولفظه: "إنها ليلة سابعة ـ أو تاسعة ـ وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى وصححه ابن خزيمة (٣/ ٣٣٢)، وقال الهيثمي "مجمع الزوائد" (٣/ ١٧٦): "رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، رجاله ثقات". وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٠٥).

 <sup>(</sup>٣) النحويون يقولون: إنَّ المصدر لا يتقدَّم عليه معمولُه. ولهذا يجعلون الجار والمجرور (مِنْ كلِّ أَمْرٍ) متعلِّقًا بمحذوفٍ يَدُلُّ عليه المصدرُ (سَلَامٌ)، ولا موجب لهذا، والقرآن حجة عليهم.

وقوله: ﴿ سَلَامُ خبر و ﴿ مِن مَا مَا أَخُر للحصر؛ أي: ما هي إلا سلام، فهو إخبار بالمصدر مبالغة؛ للدلالة على الكثرة والكمال، ﴿ حَتَى مَطْلَعَ الْفَجْرِ فَهُ وَ الْحَالِ وَقَتَ طَلُوعَ مُطْلَعَ الْفَجْرِ فَي الْحَيْرِ إِلَى وقت طلوع الفجر.

وقد اختلف أهل العلم في تعيين ليلة القدر تبعًا لاختلاف الأحاديث الواردة في تعيينها، وأصح ما قيل أنها تتنقل في العشر الأواخر مِن رمضان، وهي في الأوتار آكد(١)، والعلم عند الله.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ ذِكْر الله نفسه بضمير الجمع الدال على عظمته.
  - ٢ ـ أن القرآن منزل.
- ٣ ـ أنه منزل في ليلة القدر؛ أي: ابتداء نزوله، وقيل: إنزاله جملة
   من اللوح المحفوظ.
  - ٤ \_ فضل ليلة القدر من الوجوه المتقدمة.
  - ٥ \_ تقدير مقادير السَّنة، من ليلة القدر إلى مثلها.

٦ - أن ليلة القدر باقية لم ترفع، قاله بعضهم، ووجُهُه: إضافتها للقدر، وهو التقدير لما يكون في السَّنة، والتقدير في كل سنة، لا يختص بالسَّنة التي بدئ فيها إنزال القرآن، ولأن بقاءها مناسب لبقاء القرآن محفوظًا، فتذكر كلما ذكر نزول القرآن، كما يذكر القرآن كلما جاء رمضان الشهر الذي أنزل فيه القرآن، كما يقتضي بقاءها ـ أيضًا ـ ما ذكر

<sup>(</sup>١) ذكر ابن حجر في فتح الباري (٢٦٥/٤) أربعين قولًا في تعيين ليلة القدر، قال في أثنائها: «القول السابع والعشرون: تنتقل في العشر الأخير كله، قاله: أبو قلابة، ونص عليه: مالك، والثوري، وأحمد، وإسحاق. وزعم الماوردي أنه متفق عليه».

في هذه السورة من تعظيم شأنها، والامتنان بها على هذه الأمة.

٧ \_ تنزل الملائكة في تلك الليلة، وجبريل عبي معهم.

٨ ـ أن الروح اسم لجبريل ﷺ، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّبِعُ الرَّبِعُ الرَّبِعُ الرَّبِعُ الرَّبِعُ اللهِ اللهِ الذي نزل الشعراء]، وتخصيصه بالذكر في هذا السياق؛ لأنه الذي نزل بالقرآن.

٩ \_ أن نزول الملائكة بإذن الله؛ أي: بأمره.

١٠ إثبات الملائكة، وأنهم قائمون بأنفسهم، ويتصرفون بأمر الله،
 خلافًا لمن يزعم من المتكلمين أنهم أشياء معنوية.

١١ ـ أن ليلة القدر مباركة، كما في سورة الدخان، ومن بركتها
 كثرة نزول الملائكة فيها.

١٢ \_ أنها ذات سلام؛ أي: سالمة من الشرور التي تحدث في غيرها.

١٣ \_ أن وقت ليلة القدر من أول الليل إلى طلوع الفجر.

15 \_ أن الليل أفضل من النهار، كما استنبطه بعض العلماء من إنزال القرآن في ليلة القدر، وهذا استنباط وجيه، ويؤيده أن الليل أخصُّ بالوظائف والفضائل الدينية كالتهجد والدعاء، وفيه النزول الإلهي، ومن الليالي ليلة القدر.

١٥ \_ أن العمل قد يفضل غيره لفضل الزمان.

١٦ \_ فضل الله على هذه الأمة بتيسير أسباب الأجور.





هذه السورة مدنية، وآياتها ثمان، وقد قرأها الرسول على على أبيِّ بن كعب، وأخبره أن الله أمره بذلك، فقال أبيٌّ: وسمَّاني لك؟ قال: النعما، فبكي أبيِّ رَقِيْقُهُ (١).

وقد تضمنت الآيات الأربع الأولى الخبر عن الكفار من أهل الكتاب والمشركين بأنهم لم يكونوا منفكين إلا من بعد ما جاءتهم البينة، والبينة هي الرسول ﷺ الذي جاء بالقرآن المكتوب في صحف، وهي الصحف التي في أيدي الملائكة، كما في سورة عبس: ﴿ فِي مُعُفِ مُكُونَهُ مُكُونًا مُكُونًا مُكُرِّمَةِ ﴿ مَنْهُوْعَةِ مُطَهِّرَةٍ ۞ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۞ .

كما تضمنت الخبر عن تفرقهم بعدما جاءتهم البينة، وأنهم لم يؤمروا إلا بعبادة الله وحده، وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما أعظم شرائع الإسلام بعد التوحيد، كما تضمنت الآيات الثلاث في آخر السورة ذكر جزاء الكافرين، وهو الخلود في جهنم، وجزاء المؤمنين، وهو الخلود في جنات النعيم، مع بيان منزلة الفريقين.

<sup>(</sup>۱) أخرجه البخاري (۳۸۰۹)، ومسلم (۷۹۹).

## الآيات:

### 🞕 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ لَا يَكُنِ اللَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾؛ أي: اليهود والنصارى، و ﴿ مِنْ لَهُ بِيانية ، لبيان الذين كفروا ﴿ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ عُبّاد الأوثان، معطوف على أهل الكتاب، ﴿ مُنفَكِينَ ﴾ عن كفرهم؛ أي: مفارقين له ﴿ حَتَّى تَأْنِيمُ مُ الْبِينَةُ ﴿ آَي: إلى أن تأتيهم الحجة الواضحة من الله التي يتبين بها الحق من الباطل، ثم بين هذه البينة ، فقال: ﴿ رَسُولٌ مِنَ اللهِ وهو محمد عليه الصلاة والسلام، وإطلاق البينة عليه كإطلاق النور والسراج عليه الصلاة والسلام، وإطلاق البينة عليه كإطلاق النور والسراج عليه الله الله المن الله التي الناسِ مَا نُزِلُ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّمُ مُن ربهم ، كما فيال تعالى في وَالنَّلُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

ولقد أخبر الله عن أهل الكتاب أنهم كانوا يستفتحون على العرب بمحمد على مشركي العرب، بمحمد على مشركي العرب، ويتحرون ظهوره لما هو مكتوب عندهم في كتبهم، فيتبعونه بزعمهم،

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدَّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْنِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِدِّ، فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَفِرِينَ ﴿ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ عَلَى ٱلْكَفِرِينَ ﴾ [البقرة].

وقيل: معنى الآية: لم يكن هؤلاء وهؤلاء متروكين حتى يُرسَل السيهم رسول، فهي كقوله تعالى: ﴿أَيَّعْسَبُ آلْإِنسَنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿ السيهم رسول، فهي كقوله تعالى: ﴿أَيَّعْسَبُ آلْإِنسَنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة]، لا يؤمر ولا ينهى، وكقوله: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُم عَلَيْهِ حَتَى يَمِيزَ ٱلْخِيكَ مِن ٱلطَّيِبُ وذلك بإرسال الرسل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْفَيْبِ وَلَكِنَ ٱللهَ يَجْتَبِى مِن رُسُلِهِ عَن يَشَاأَةُ ﴾ [آل عصمران: ١٧٩]، ليطلِعكُمْ عَلَى ٱلْفَيْبِ وَلَكِنَ ٱللهَ يَجْتَبِى مِن رُسُلِهِ عَن يَشَاأَةً ﴾ [آل عصمران: ١٧٩]، ورجح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (١).

وسمَّى الله نبيه ﷺ (بيِّنة) لكمال أوصافه، كأنَّ ذاته نفسُ الحجة، وذلك لما كان عليه مِن الأخلاق الباهرة، ولما أيِّدَ به من الآيات والمعجزات الظاهرة، مع كونه أُميًّا، لا يقرأ ولا يكتب، عليه الصلاة والسلام.

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ هذا بدل من ﴿ ٱلْبَيِنَةُ ﴿ ﴾، وتنكير (رسول) لتعظيمه، ﴿ يَلْلُوا صُعُفًا مُطَهَرَةً ﴾ أي: يقرأ عن ظهر قلب قرآنًا مكتوبًا في الصحف التي بأيدي المؤمنين،

<sup>(</sup>۱) ينظر: مجموع الفتاوى (۱٦/٤٩٤).

قال تعالى: ﴿ لَكُرْ إِنَّهَا لَذَكِرَةٌ ﴿ لَى فَنَ شَآةَ ذَكَرَهُ ﴿ فَ فَعُفِ مُكَرِّمَةٍ ﴾ أي: مُطَهَّرَةً ﴿ فَالِدِى سَغَرَةٍ ﴿ فَا كَرَامِ مِرْرَةٍ ﴿ فَا هَا اللَّهِ مَن الباطل والتحريف، فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿ فِيهَا كُنُبُ قَيِّمَةٌ ﴿ فَ ﴾ أي: في تلك الصحف شرائع مستقيمة وأخبار صادقة، فكُتُبٌ بمعنى أحكام أو أخبار مكتوبة، وهي ما تتضمنه آيات القرآن.

وما اختلف اليهود والنصارى في القرآن أو في النبي محمد ولله وصاروا وما اختلف اليهود والنصارى في القرآن أو في النبي محمد ولله وصاروا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما جاءهم الرسول ولله بالحق المبين، فهذا موجبٌ لإيمانهم، ولكنهم اختلفوا، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَتَلَفَ الَّذِيكَ أُوتُوا الْكِتَلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْحِيلُ بَغْمَا الله ومنهم من كفر، المينان تعالى: ﴿وَمَا الْحَتَلَفَ الَّذِيكَ أُوتُوا الْكِتَلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الله عَمْران وَالله عَمْران وَالله الله والله عَمْران عمران والله الله عن الله عمران واله الله عن الله عنه عن الله عن اله عن الله عن الله

وأفرد أهل الكتاب بالذكر لشناعة حالهم؛ فإنهم يعلمون نبوته وصدقه عليه الصلاة والسلام، فجحود العالم أقبح من إنكار الجاهل الغافل، وفي الآية تسلية للنبي عليه أي: إن تكذيبهم كان لعنادهم، لا لقصور في الحجة.

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلّا لِيعَبُدُوا الله والحال أنهم - أي الجميع - ما أمروا بما أمروا به إلا ليعبدوا الله وحده ﴿ عَلِمِينَ لَهُ الدِينَ ﴾؛ أي: لا يشركون أحدًا معه في العبادة، ﴿ حُنفَآ هَ ﴾؛ أي: ماتلين عن الباطل إلى الحق، جمع حَنيف، ﴿ وَنُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُوْتُوا الزَّكُوٰةَ ﴾ وهما مِن أعظم أركان الإسلام، ولذا خصهما الله بالذكر، ﴿ وَذَلِكَ ﴾ أي: ما أمر الله به من العبادة والإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأشير إليها بإشارة البعيد ﴿ وَذَلِكَ ﴾ ؛ أي: دينُ الملة ﴿ وَلِكَ ﴾ ؛ أي: دينُ الملة

المستقيمة، وهو دين الإسلام، فلأيِّ شيء لا يدخلون فيه؟!

ثم ذكر مآل الفريقين المؤمنين والكافرين في الآخرة، وابتدأ بالكفار؛ لأن الحديث عنهم من أول السورة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُواْ ﴾؛ أي: بالله ورسوله، ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَأْ ﴾؛ أي: لا يخرجون منها أبدًا، وسُميت النار (جهنم)؛ لأنها ذات تجهم وعبوس، ﴿أَوْلَيِّكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَةِ ﴿ ﴾؛ أي: شر الخليقة عند الله لكفرهم، وسُموا (برية)؛ لأن الله برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم، وأصل (البرية): البريئة، فسُهّلت الهمزة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ أُولَيِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَةِ ﴿ ﴾ فلا بُدً مع الإيمان مِن عمل، ولا بد أن يكون العمل صالحًا، ولا يكون صالحًا إلا بشرطين؛ هما: الإخلاص والمتابعة، ﴿ جَزَآوُهُمْ عِندَ رَبِيهِمْ ﴾؛ أي: في الآخرة، ومجيء اسم الرب هنا لبيان أن ما نالوه من الجزاء هو من آثار ربوبيته الخاصة، ﴿ جَنَّتُ عَدَنِ ﴾؛ أي: جنات إقامة، مِن: عَدَنَ بالمكان؛ إذا أقام فيه، وعلى هذا فرعَدْنٌ ) ليس اسمًا مخصوصًا لجنة من الجنات، فكلها جنات عدن، كما يفيده اشتقاق بل هو وصف عام لجميع الجنات، فكلها جنات عدن، كما يفيده اشتقاق المادة، ورجحه ابن القيم (١)، وجمعت الجنات باعتبار أنواعها، وإذا أفردت فباعتبار الجنس، ﴿ بَعْرِي مِن تَعْنِهُ الْأَثْهَرُ ﴾؛ أي: من تحت قصورها وأشجارها، فهي متناهية في الحسن، قال ابن القيم:

أنهارُها في غَيرِ أُخدُودِ جرتْ سُبحانَ مُمسِكها عَن الفَيضانِ (٢) ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدا ﴾ وهذا من تمام السعادة، فهم في نعيم مقيم

<sup>(</sup>١) ينظر: حادي الأرواح (ص: ٩٨).

<sup>(</sup>٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص: ٣٠٨).

وسرور دائم، كما قال تعالى: ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِولًا ﴿ الكهفا، ﴿ وَضَى الله عنهم الله عنهم أعظمُ من دخول الجنة، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَاللّهُ وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّتِ عَدْنِ جَنّتِ عَدْنِ جَنّتِ عَرْنَ مِن تَعْيِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّتِ عَدْنِ وَرَضُونَ مِن تَعْيِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنّتِ عَدْنِ وَلِي مَن عَلِيكَمَ اللّهُ وَاللّهُ لَا اللّهُ لَا اللّهِ اللّه الله المحمدة: «ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقول: «أُحلُّ عليكم فيقولون: يا ربِّ وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: «أُحلُّ عليكم بعده أبدًا» (١٠).

## 🎕 الفوائد والأحكام:

١ ـ وصف أهل الكتاب بالكفر.

٢ ـ تسمية الرسول ﷺ بينة، كما سُمي ذِكرًا في قوله: ﴿ فَالْتَقُوا اللّهَ يَتَأُولِ اللّهَ اللّهَ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُوا عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُوا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلِيكُمْ عَلْكُمْ عَلْكُمْ عَلِيكُمْ عَلِيكُمْ عَلِيكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَ

٣ ـ ضرورة البشر إلى بعْثِ الرُّسل.

٤ ـ أن القرآن مكتوب في صحف بأيدي الملائكة وعند المؤمنين.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري ١١٥٥

٥ ـ أن في القرآن علومًا وشرائع قيمة.

٦ \_ أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ما جاءتهم البينة المبيّنة؛ إما تفرقهم بعد مجيء أنبيائهم بالآيات البينات، وإما تفرقهم بعد بعثة محمد عَلَيْهُ، بين مؤمن به وكافر.

٧ ـ أن أعظم ما أمر الله به العباد: التوحيد والصلاة والزكاة، وهي أهم أصول الدين الحق.

٨ ـ وجوب الإخلاص في العبادة، واعتبار النية.

٩ \_ إثبات الجنة والنار، وأن أهلهما فيهما مخلدون.

١٠ \_ بيان أسباب السعادة والشقاوة.

۱۱ \_ منزلة الكافرين ومنزلة المؤمنين بين الخليقة، فالكفار شر البرية، والمؤمنون خير البرية.

١٢ \_ فضل صالح المؤمنين على الملائكة، قاله بعضهم، لقوله: ﴿ أُولَيِّكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿ ﴾ .

١٣ \_ إثبات عندية العهد والضمان؛ لقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

١٤ \_ إثبات الربوبية الخاصة.

١٥ \_ إثبات صفة الرضا لله.

١٦ \_ فضل خشية الله، وأنها الباعث على طاعة الله ورسوله.





هذه السورة مكية، كما جاء عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وغيرهم، وقيل: مدنية، والأول أظهر، ويؤيده أن مضمون السورة مما يناسب القرآن المكي، وعدد آياتها ثمان، وقد تضمنت الآيات الخمس الأولى الخبر عن حدث عظيم من حوادث يوم القيامة، وهو زلزلة الأرض واضطرابها بعد قرارها، وتحديثُها بأخبارها بوحي الله إليها، وتضمنت الآيات الثلاث الأخيرة الخبر عن صدور الناس بعد الحشر من أرض الحشر، ليجد كلّ جزاء عمله وإن قلّ، ثوابًا أو عقابًا.

### 🕸 الآيات:

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالْهَا ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَنْقَالُهَا ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَمَا ﴿ يَوْمَيِلِ ثَمُونَ إِلْمَا ﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَنْقَالُهَا ﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَمَا ﴿ يَوْمَيِلِ ثَمُ يَعْمَلُ مِثْقَالُهَا ﴾ يَوْمَيلِ فِي يَوْمَيلِ فِي يَوْمَيلِ فِي يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْنَانًا لِيُمْرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴾ فَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَسَرُهُ ﴿ فَهُنَ يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَيْرًا يَسَرُهُ ﴿ فَهُنَ يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَيْرًا يَسَرُهُ ﴿ فَهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَيْرًا يَسَرُهُ ﴿ فَهُ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَيْرًا يَسَرُهُ ﴿ فَا لَالِولِولَةِ ].

#### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالْهَا ﴿ أَي: حُرِكَتَ تَحْرِيكُا عَنِيفًا، ورُجَّتَ رَجًّا شَدِيدًا مِتَتَابِعًا، فَتَحَطّم كُلُّ مَا عَلِيها، وصارت بسببه قاعًا صفصفًا، ﴿زِلْزَالْهَا ﴿ مُصدر مضاف إلى ضمير الأرض لتناسب رءوس الآي، ولإفادة عِظَمه؛ أي: زلزالها الهائل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَالُهُ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿ إِلَى إِللهِ الحج].

وبناء الفعل ﴿ وُلِّالِكِ ﴾ لما لم يسم فاعله للعلم بالفاعل؛ وهو الله تعالى، ولأن المقصود الإخبار عن الزلزال، وافتتاح السورة بإذا الشرطية مع تعدد جمل الشرط للتشوَّف إلى معرفة الجواب بذكر ما سيحدث؛ ليقع موقعه في النفس، ومعلوم أنَّ ﴿ إِذَا ﴾ هنا ظرف لزمان يوم القيامة الممتد من النفخة الأولى إلى دخول دار الجزاء (الجنة والنار)، فهذه الزلزلة تكون عند النفخة الأولى التي بها قيام الساعة ونهاية الحياة الدنيا.

وقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿ أَي: مَا فَي بَطْنَهَا مِن الْمُوتَى لَلْحُسَابِ وَالْجَزَاء، وَهَذَا يَكُونَ عَنْدَ النَّفْخَةَ الثَّانِيَة، وَهِي نَفْخَةَ الْبَعْث.

و(الأثقال) جمع ثِقْل - بكسرٍ فسكون - وهو الحِمل الثقيل؛ في الأصل.

وقيل: أخرجت كنوزها، وهو قول ضعيف، واستُدِل له بما رواه مسلم عن أبي هريرة وَلَيْهُ مرفوعًا: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأُسْطُوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يدّعونه فلا يأخذون منه شيئًا"(۱).

ويجاب عن ذلك فيقال: إنَّ جعْل الحديث تفسيرًا للآية ليس بظاهر؛ لأن لفظ الحديث يدل على أن ذلك يكون وقت خروج الدجال، قبل يوم القيامة، بل هو من أشراط الساعة، وسياق الآيات في البعث والحساب الذي كذب به المشركون.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٠١٣)؛ من حديث أبي هريرة ١٠١٣)

قوله: ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ ذكر الأرض مرة أخرى بالاسم دون الضمير؛ لأنه أبلغ في التهويل.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَمَا ﴿ إِن عَجبًا لعظم الدهشة وشدة الهول؛ أي: مالها زلزلت هذه الزلزلة وأخرجت ما في بطنها؟! والإنسان هو الكافر على قول الجمهور، كما يقول ابن عطية.

وقيل: المراد جنس الإنسان، ويؤيد هذا ما سيأتي من جزاء المؤمن والكافر.

وْيَوْمَيِذِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿ هَا جَوابِ ﴿ إِذَا ﴾ ، و ﴿ يَوْمَيِذِ ﴾ بدل مِن ﴿ إِذَا ﴾ لزيادة التقرير والتهويل؛ أي: يومئذ زُلْزلَتْ وأَخْرَجَتْ؛ تُحدِّثُ أخبارها ، أي: تحدث الناسَ بأخبارها ، و ﴿ أَخْبَارَهَا ﴿ ) منصوب بنزع الخافض ، ولم يذكر المفعول هنا؛ لأن المقصود ذكر تحديثها بالأخبار؛ إذِ الغرض تهويل اليوم ، وأنه مما ينطق فيه الجماد ، بقطع النظر عن المحدَّث ، وحديث الأرض حقيقيٌّ بلسان المقال ، ولا موجب لصرفه عن الظاهر .

وْبِأَنَّ رَبَّكَ أُوْمَىٰ لَهَا ﴿ إِلَى الباء سببية؛ أي: تحدِّث بسبب إيحاء الله لها؛ أي: إذنه لها أن تخبر بما عُمل عليها مِن خير أو شر، واللام في ولها ﴿ لَهَا ﴿ إِلَى الله على المراعاة الفواصل، وإلا فإن الفعل (أوحى) يتعدى بـ (إلى)، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْ حَيْ رَبُّكَ إِلَى ٱلغَيْلِ ﴾ [النحل: ٢٨].

﴿ يَوْمَهِ فِي الْهِ الْهِ الْهِ اللهِ عَلَى اللهِ الله عن موقف الحساب إلى مأواهم ؛ إما الجنة أو النار . و(الصَّدَر) ضد الورود ، ﴿ أَشْنَانًا ﴾ جمع شَتّ ، أي : متفرقين جماعاتٍ لا يلوي أحد على أحد ، ﴿ إِيدُرُوا أَعْمَلُهُم ﴿ أَي : ليريهم الله جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، فيرون الجزاء عيانًا .

﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ ﴿ إِنَّ اِي يَجِد عقوبته ؛ إلا أن يعفو الله عن عبده الموحد، وهذه الآية في المؤمن والكافر، والأولى في المؤمن، وإذا كان الحساب على القليل، فما فوقه من باب أولى، وعلى العبد ألا يحقر ذنبًا ؛ لأن احتقار الذَّنب ذنب آخر، قال على لعائشة : «يا عائشة ؛ إياكِ ومُحقَّرات الأعمال ؛ فإن لها مِن الله طالبًا »(١).

# ∰ الفوائد والأحكام:

ا ـ أنه يَحدث للأرض زلزالٌ عظيم يوم القيامة يحصل به للناس هولٌ عظيم، يفسره قوله تعالى: ﴿إِنَ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَقَ مَعْلِيمٌ ﴿ اللَّهُ عَظِيمٌ ﴿ اللَّهُ عَظَيمٌ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ

<sup>(</sup>۱) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٤٤١٥)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وقال البوصيري: «إسناده صحيح، رجاله ثقات». مصباح الزجاجة (٣٠٦/٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣١). وقوى إسناده محققو المسند.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧)؛ من حديث أبي هريرة عليه.

حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ شُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَاكِنَ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿ ﴾ [الحج].

٢ ـ أن الأرض تُخرج في ذلك اليوم أثقالها؛ وهم الأموات الذين غُيِّبوا في بطنوها في آماد الدهور.

٣ ـ الدلالة على قدرة الله رضي التصرف في العوالم وعلى إحياء الموتى، وإنطاق الجماد.

٤ \_ استنكار الإنسان وتعجبه من زلزلتها بعد ما كانت قرارًا.

٥ \_ أن الأرض في ذلك اليوم تُحدِّث أخبارها؛ أي: بما عُمل عليها.

٦ ـ أن ذلك بوحي مِن الله للأرض.

٧ ـ أن من الوحي ما هو كوني؛ كالمذكور في الآية، ومنه شرعي؛
 كالوحي للأنبياء.

٨ ـ صدور الناس بعد الحشر والحساب إلى ما أُعِد لهم من ثواب وعقاب، فيتفرقون بعد هذا الاجتماع، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَ بِذِ يَنَفَرَقُونَ ﴿ وَيَوْمَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

٩ ـ أن مِن عُصاة الموحدين من يدخل النار من غير خلود، كما هو مذهب أهل السُنَّة والجماعة؛ لقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ شَرَّا يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ شَرَّا يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةِ شَرَّا
 يَرُهُ ﴿ ﴾ .

اا \_ أن الجزاء على السيئات شامل لصغيرها وكبيرها إلا أن يغفر الله لمن يشاء؛ ﴿وَمَن يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّاكِهِ.

۱۲ ـ أن الذي يوزن هو الأعمال، ويشهد لهذا حديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان»(۱)، وحديث: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذىء»(۲).

١٣ \_ الترغيب في الحسنات وإن قلَّت.

١٤ ـ التحذير من السيئات وإن قلَّت.

١٥ \_ كمال علم الرب وعدله وعظيم فضله.



<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)؛ من حديث أبي هريرة عَلَيْهُ.

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له؛ من حديث أبي الدرداء والله الترمذي: حسن صحيح.



هذه السورة مكية، وقيل: مدنية، وعدد آياتها إحدى عشرة، تضمنت الآيات الخمس الأولى قَسَمًا مِن الله بثلاث صفات من صفات الخيل: (العاديات، الموريات، المغيرات)، ثم ذكر فعلين من أفعال الخيل: ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَفْعًا ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمَّمًا ﴿ فَ وَاسْتَملَت الآيات الباقية على جواب القسم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لِرَبِهِ لَكَنُودٌ ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ النَّهِ الْمَعْنَ وَإِنَّهُ عَلَى خَلِلُهُ وَعَلَى جهله وَعَقلته عن البعث والنشور وتحصيل ما في الصدور.

### الآيات:

﴿ وَالْعَدِيَتِ صَبْحًا ﴿ فَالْمُورِبَتِ قَدْمًا ﴿ فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا ﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ وَوَالْعَدِيَتِ صَبْحًا ﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمِّعًا ﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِهِ لَكُنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ وَإِنَّهُ لِي وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ وَالنَّهُ لِحَتِ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلًا يَمْلُمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۞ وَحُصِلُ مَا فِي ٱلصَّدُودِ ۞ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَهِنْ لَخَيِيدٌ ۞ [العاديات].

#### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿ هَ جَمع (عادية) صفة للخيل، من العدو، وهو الجري السريع، و(الضَّبْح): هو صوت أنفاسها عند جريها، وهو غير الصهيل والحَمْحَمة، فالله ﴿ قَالَ يقسم بالخيل العادية، وهي تضبَح ضَبْحًا، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله،

﴿ فَٱلْمُورِبَاتِ قَدْمًا ﴿ إِنَّ جَمِع (مُورِية) من الإيراء؛ أي: التي تُخرج النار بحوافرها إذا ضربت الحجارة؛ أي: حال كونها قادحات.

وَالْرُنَ بِهِ، نَقْعًا ﴿ أَي: فحركن الأرض بحوافرهن فأثرن الغبار في مكان الإغارة أو وقتها، فالضمير المجرور ﴿ بِهِ عُهِ يعود إلى الصّباح، أو إلى المكان المفهوم من الإغارة، وهذا من شأنه أن يبعث الخوف والهيبة في نفوس العدو، ﴿ وَسَطّنَ بِهِ جَمَّا ﴿ أَي: بالفارس، توسطن ودخلن جمعًا من الأعداء، فصار في قلب المعركة، والعطف بالفاء في الآيات يدل على الترتيب والتعقيب فيما بين هذه الصفات: العدو، والإيراء، والإغارة، والإثارة.

فهذه ثلاثة أقسام مِن الله بالخيل في حال عدوها وإيرائها وإغارتها، ففي القسم إعلاءٌ لشأن الخيل وحث على اقتنائها وركوبها، والتأمل في خلقها البديع، وإن أعظم ما اتخذت له الخيل الجهاد في سبيل الله وإرهاب أعداء الله، كما تشير إليه الآيات، لا للهو والتباهي، وقد قلّت الحاجة في الحرب إلى الخيل بما جدّ من آلات الحرب البرية والبحرية والجوية، والواجب على المسلمين أن يعدوا العدة للجهاد بما يناسب الزمان، قال تعالى: ﴿وَالْعِدُوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيلِ النومان، قال تعالى: ﴿وَالْعِدُوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوّةٍ وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيلِ النومان، قال تعالى: ﴿وَالْعِدُوا لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوّةٍ وَمِن رَبَاطِ ٱلْخَيلِ النومان، قال تعالى: ﴿وَالْعِدُولَ لَهُم مّا اسْتَطَعْتُم مِن قُوّةٍ وَمِن رَبَاطِ ٱلْخَيلِ النّه النّه وَعَدُوّ كُمْ ﴿ الأنفال: ١٠]، وقال ﷺ: «الخيل

# معقود في نواصيها الخير الأجر والمغنم إلى يوم القيامة»(١).

وذهب بعض إلى أن المراد بالعاديات الإبل، والأول هو قول الجمهور من أهل التفسير واللغة، كما يقول أبو حيان (٢).

وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَنَ ﴾؛ أي: جنس الإنسان ﴿لِرَبِهِ لَكُنُودٌ ﴿ إِنَّ أَي: جاحدها لَكُنُودٌ ﴿ إِنَّ أَي: لكفورٌ مبالِغ في كفره لنعمة الله؛ أي: جاحدها إلا مَن هداه الله، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِى ٱلشَّكُورُ ﴿ إِنَّ السَاء واسم (الرب) هنا أوقع؛ لأن الربوبية تقتضي من المخلوق الشكر لا الكفر.

وَوَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿ إِنَ الْإِنسَانَ عَلَى كُنوده لشهيد بلسان الحال، وهذه الشهادة أبلغ؛ لعدم احتمال الكذب في شهادة الحال، والمراد أن أعماله في الدنيا تشهد عليه بكفره، كما قال تعالى في المشركين: وشُهُهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧].

وقيل: إن الضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدٌ ﴿ اللَّهُ عَلَىٰ ذَالِكَ لَشَهِيدٌ ﴿ اللَّهُ الله الله ؟ أي: وربُّه شاهد عليه.

وفي هذا تفكيك للضمائر، ولذا فالصحيح هو القول الأول، إذْ تعود الضمائر في هذه الآيات إلى الإنسان.

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾؛ أي: المال ﴿ لَشَدِيدٌ ﴿ ﴾؛ أي: قويٌّ مبالغٌ في حب المال.

وهذه الآيات الثلاث هي جواب القسم، فيكون الله ﴿ أَقُلُ أَقَسَمُ اللَّهُ أَشْيَاء عَلَى ثَلاثة أَشْيَاء .

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣١١٩)، ومسلم (١٨٧٣)؛ من حديث عروة البارقي ﴿ اللهُ الل

<sup>(</sup>٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٢٧).

وْأَفَلا يَعْلَمُ الإنسان وَإِذَا بُعْيْرَ ﴾؛ أي: أنسر وأخرج وما في الفَبُورِ (أ) من الموتى للجزاء والحساب، وهذا كناية عن البعث والنشور، كما قال تعالى: ووَإِذَا القُبُورُ بُعْيْرَتُ (أ) [الانفطار]، وقوله: وَوَحُصِّلَ مَا فِي الصَّدُورِ (أ) ؛ أي: جُمع وأحصى ما في قلوبهم من خفايا أعمالهم، ورأوه عيانًا بين أيديهم، أفلا يعلم الإنسان ما يكون عليه حاله يومئذ، وما ينزل به من عذاب الله؟! فالاستفهام للإنكار والتهديد.

ومفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ محذوف دل عليه السياق، وخُص الصدر؛ لأن فيه القلبَ الذي فيه النوايا والخفايا، وهو موضع السريرة، والحساب يوم القيامة يكون على ما في القلوب، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلتَرَايِرُ ﴿ فَا لَمُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿ فَا الطارق].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّهُم بِهِمْ يَوْمَيِذِ لَخَبِيرٌ ﴿ إِنَّ يَومئذُ بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، ﴿لَخَبِيرٌ ﴿ إِنَّ الْنِي عليمٌ ببواطنهم وظواهرهم، فلا تخفى عليه خافيه، وسيجازي كلَّا بعمله، وخَصَّ علمه بهم في ذلك اليوم؛ لأنه يوم الحساب والجزاء الذي مردُّه إلى العلم، وإلا فإنه تعالى عالم بهم في ذلك اليوم وغيره.

# 🛞 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ القسم من الله بالخيل وصفاتها الفعلية.
  - ٢ \_ فضل الخيل.
- ٣ ـ أن الخيل عدة الجهاد وإرهاب العدو.
  - ٤ ـ اختيار وقت الغارة، وهو الصباح.
    - ٥ ـ كفر الإنسان بربه وبنعمه.
- ٦ \_ شهادة الإنسان على نفسه بلسان حاله.

٧ \_ محبة الإنسان للمال.

٨ ـ ذم الإنسان لغفلته عن اليوم الآخر.

٩ ـ التذكير باليوم الآخر وبما يكون فيه.

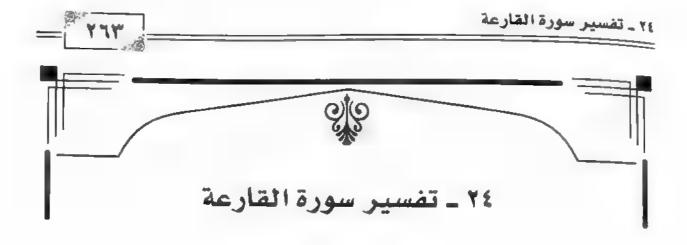
١٠ \_ إثبات البعث والجزاء.

١١ ـ التذكير بخبرته تعالى في ذلك اليوم بحال عباده.

١٢ ـ إثبات علمه تعالى بالجزئيات، والرد على الفلاسفة.

١٣ \_ إثبات الربوبية العامة.





هذه السورة مكية، وعدد آياتها إحدى عشرة، والقارعة اسم من أسماء القيامة، وتضمنت السورة وصفًا لبعض أحوال يوم القيامة وأهوالها، وذِكرَ الفريقين: السعداء والأشقياء؛ مَن يثقل ميزانه ومَن يخف، وعاقبة كلِّ منهما.

### ﴿ الآيات:

﴿ الْفَارِعَةُ ﴿ مَا الْفَارِعَةُ ﴿ وَمَا أَذَرَنكَ مَا الْفَارِعَةُ ﴿ يَكُونُ الْحَبَالُ كَالْمِهِنِ الْمَنفُوشِ ﴿ وَتَكُونُ الْحِبَالُ كَالْمِهِنِ الْمَنفُوشِ ﴿ وَالْمَاشُوثِ ﴿ وَالْمَاشُوثِ ﴿ وَالْمَاسَةِ رَاضِيةٍ ﴿ وَالْمَا مَن خَفَتْ فَالًا مَن خَفَتْ مَوَزِيئَةُ ﴿ فَا فَهُو فِي عِيشَكَةِ رَاضِيبَةٍ ﴿ وَالمَا مَن خَفَتْ مَوَزِيئَةُ ﴿ فَا فَهُو فِي عِيشَكَةِ رَاضِيبَةٍ ﴿ وَالَمَا مَن خَفَتْ مَوَزِيئَةُ ﴿ وَالْمَامِنَةُ وَالْمَامِنَةُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّا الللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّه

#### 🞕 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿ إِنَّ الْقَيَامَةِ السّمِ فَاعَلَ مِنَ القَرِع، وهو الضرب الشديد، وسميت القيامة بذلك؛ لأنها تقرع القلوب والأسماع، وتُفزعها بأهوالها، كما سماها الله الحاقة والطامة والغاشية، وكثرة أسمائها تدل على عظم شأنها وكثرة أهوالها، وأول ذلك النفخ في الصور، نفخة الفزع، وهذا الفزع يُلم بالخلائق، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصَّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوْتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَا مَن شَكَآءَ اللَّهُ ﴾

[النمل: ٨٧]، ولكنَّ المؤمنين بمنجاة مِن هذا الفزع، كما قال تعالى عقب الآية السابقة: ﴿مَن مَا يَوْمَيِذٍ عَلَمُ مَنْ مَا يَوْمَيِذٍ عَلَمُونَ ﴿ اللَّهِ عَلَمُ مَنْ فَنَع يَوْمَيِذٍ عَلَمُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّ

وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب: ﴿مِن فَزَعِ بَوْمَيِدٍ عَامِرُونَ اللَّهِ ﴾ بإضافة فزع إلى يومئذ، وخفض يوم.

وعليه فظاهر الآية دخول المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَكَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧]، فلا يصيبهم الفزع في ذلك اليوم.

وقوله: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿ مَبِتِداً الْأُول؛ أَيَ الْفَارِعَةُ ﴿ مَبِتِداً ثَانٍ وَخَبِرُه، والجملة خبر للمبتدأ الأول؛ أي: أي شيء هي، والاستفهام للتعظيم والتهويل والتعجب من حالها، وتكرار المبتدأ الأول بلفظه مغن عن الضمير الرابط لجملة الخبر بالمبتدأ، ولا يكون ذلك إلا في مواضع التعظيم.

ومن أهل العلم مَن يرى أنَّ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿ كَلَمة سدَّت مسدًا الجملة من حيث المعنى، فهي مبتدأ خبرُه فيه، أو خبرٌ مبتدؤه فيه، فهي كلمة مفردة ذات جَرْسٍ بالغ جيء بها للتفخيم، فلا تحتاج إلى ما تُضم إليه، ويؤيد ذلك أنها كتبت في المصحف آية مستقلة، فيقف القارئ عندها؛ ليكون لها دويٌّ في الأسماع.

وُومًا أَذْرَبْكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿ تَهُ تعظيمٌ بعد تعظيم، وتهويلٌ بعد تهويل، وأنها أكبر من أن تحيط العقول بكنهها؛ أي: أيُّ شيء أعلمك ما هي، والخطاب لكل من يصلح للخطاب، فهو لغير معين؛ أي: إنك \_ أيها الإنسان \_ لا تعلم كُنهها، ولا تدرك قدرها، ومهما قدرت فهي أعظم من ذلك، فشأن القارعة بعيدٌ عن متناول العقول.

وفي قوله: ﴿ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۞ وَمَاۤ أَدْرَبْكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۞ ﴿ إِظْهَارِ فَي

مقام الإضمار لزيادة التعظيم والتهويل، والأصل: ما هي، وما أدراك ماهي.

فهنا ستة أمور اشتملت عليها الآيات لتعظيم أمر القيامة: ١ - لفظ القارعة، ٢ - ذكر هذا اللفظ ثلاث مرات، ٣ - الاستفهام في قوله: ﴿مَا الْقَارِعَةُ شَ﴾، ٤ - الاستفهام في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَبْكَ﴾، ٥ - الاستفهام في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَبْكَ﴾، ٥ - الاستفهام في قوله: ﴿وَمَا الْقَارِعَةُ شَاكِ، ٦ - التقييد بالظرف الذي فيه تلك الأهوال في قوله: ﴿بَمَا الْقَارِعَةُ شَاكِ، ٦ - التقييد بالظرف الذي فيه تلك الأهوال في قوله: ﴿بَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ شَى وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْمِهْنِ الْمَنْفُوشِ شَاكُ.

وفي آية القمر شبههم الله بالجراد المنتشر، قال تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَنُرُهُر يَغْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿ ﴾ [القمر].

قيل: هما صفتان في وقتين مختلفين أحدهما عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيجيئون ويذهبون على غير نظام، فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض، لا جهة له يقصدها، فإذا سمعوا المنادي قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يتوجه دائمًا إلى ناحية مقصودة، نقله ابن عطية (١).

<sup>(</sup>١) تفسير ابن عطية: (٥١٦/٥).

وجاء وصف حال الناس يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَّنَا بَعْضَهُمْ وَمَا لِيَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ فَي الصُّورِ فَجَعَتَهُمْ جَعْكَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى القول بأن الضمير في ﴿بَعْضَهُمْ ﴾ يعود إلى جميع الناس.

هذا حال الناس في ذلك اليوم، وأما الجبال فاستمع إلى قوله سبحانه: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ﴾ بعد صلابتها وتمكنها في الأرض ﴿كَالْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿ فَيَ اللَّهِ الصوف المتفرق، ووجه الشبه التفرق والخفة واللين، وذكر الجبال مع الناس إشارة إلى عظم القارعة، حيث أثرت في الجبال، فكيف بالناس؟!

وقد جاء في القرآن ذكر أحوال الجبال يوم القيامة؛ فإنها تكون أولًا كالرمل المهيل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبَا مِّهِيلًا ﴿ المزمل]، ثم تكون كالعهن، كما في هذه السورة، ثم تكون كالعهن، كما في هذه فكانت هَبَاءُ مُنْبَثًا ﴿ الواقعة]، ثم تسيَّر كالسحاب، قال تعالى: ﴿ وَثَرَى الْجَبَالُ بَسَا ﴿ وَثَرَى النَّعَابُ النَّهُ اللهُ ال

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَزِينَهُ ﴿ إِنَّ اللَّهِ مَا حَرِف شُرط وَتَفْصِيل، والفاء للتفريع؛ أي: إذا كان الأمر كذلك من قيام الساعة ووقوع البعث، فإن أعمال العباد توزن، فمنهم من يثقل ميزانه، ومنهم من يخف، ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَزِينَهُ ﴿ إِنَّ ﴾؛ أي: رجحت موازين حسناته، وهو المؤمن ﴿فَهُو فِي عِيشَكُو رَّاضِيبَةٍ ﴿ إِنَ ﴾؛ أي: في

حياة هنيئة مَرضيَّة كاملة؛ أي: في الجنة، وأسند الرضا إلى العيشة إشارةً إلى رضا صاحبها على الوجه الأبلغ، وهذا مجاز عقلي.

وَوَالْمَا مَنْ خَفَّتُ مَوَزِينُهُ، ﴿ أَي: خفت موازيس حسناته ورجحت موازين سيئاته، وهو الكافر، كما قال تعالى: ووَمَنْ خَفَّتُ مَوَزِينُهُ، فَأُولَتِهِكَ اللَّذِينَ سَيئاته، وهو الكافر، كما قال تعالى: ووَمَنْ خَفَّتُ مَوَزِينُهُ، فَأُولَتِهِكَ اللَّذِينَ خَيرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴿ وَهُ المورونَا العباديوم و (الموازين) جمع ميزان، وهو الميزان الذي توزن به أعمال العباديوم القيامة، وجمع باعتبار تعدد الموزونات.

وقوله سبحانه: ﴿ فَأُمُّهُ مَكَاوِيَةٌ ﴿ أَي: مأواه الذي يأوي إليه جهنم، كما يأوي الطفل إلى أمه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَأْوَنَهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وأصل الهاوية المكان العميق.

ثم عظّم شأن النار، فقال: ﴿وَمَاۤ أَدۡرَنكَ مَا هِيمَهُ ۞﴾؛ أيْ: أيُّ شيءٍ أعلمك ما هي، والهاء للسكت، ثم بينها فقال: ﴿نَارُ عَامِيمَةٌ ﴿ إِنَّى ﴾؛ أي: شديدة الحرارة.

وهناك قسم ثالث لم يذكر هنا، وهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وقد قيل: إنهم أصحاب الأعراف، فإنهم يوقفون إلى ما شاء الله على الأعراف، وهو سور أو حجاب بين الجنة والنار، ثم يصيرون إلى الجنة، لقوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿ الْأَعراف]، ولأن رحمة الله سبقت غضبه.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ أن من أسماء القيامة القارعة.
  - ٢ \_ تهويل الحدث العظيم.
- ٣ ـ أن الناس بعد البعث يموج بعضهم في بعض، كالفراش المبثوث.

# ٤ ـ أن الجبال يوم القيامة تذهب صلابتها، وتصير كالعهن المنفوش.

٥ \_ أن مِن الناس مَن يثقل ميزانه.

٦ ـ أن من ثقل ميزانه يصير إلى الجنة التي فيها العيشة المرضية.

٧ ـ أن من خف ميزانه يؤول إلى النار.

٨ ـ إثبات الميزان، والرد على من أنكره.

٩ \_ وزن أعمال العباد.

١٠ ـ إثبات البعث والجزاء.

١١ \_ إثبات الجنة.

١٢ \_ إثبات النار.

١٣ ـ شدة حرارة نار جهنم.

١٤ \_ أن من أسماء النار الهاوية.

١٥ ـ أن الشقي يهوي في نار جهنم.

١٦ ـ تعظيم أمر النار.

١٧ ـ إثبات عدل الله وحكمته في جزائه للعاملين.





سورة التكاثر مكية في قول أكثر المفسرين، وعدد آياتها ثمان، وقد تضمنت توبيخ المعرضين عن الآخرة وتهديدهم، المؤثرين لعَرض الحياة الدنيا، ثم تأكيد أمر الآخرة، وأنهم سيرونها عيانًا، ويُسألون عمَّا مُتَّعوا به من نعيم الدنيا، وهو الذي ألهاهم التكاثر به.

وبهذا تظهر مناسبتها للسورة قبلها، القارعة، فبعد ذكر القيامة وأهوالها ناسب التحذير من اللهو عنها بالتكاثر.

# الآيات:

 ﴿ أَلْهَنَكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۞ كَلًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ الْمَقَابِرَ ۞ كَلًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ الْمَقَابِرَ ۞ كَلًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ الْمُقَابِرَ ۞ كَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَيْ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُمْ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُمْ أَلْمُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَهُ إِلَيْهُمْ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُمْ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ مِنْ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهِمْ إِلَيْهُمْ أَلْهُمْ أَلِيهُمْ أَلِي أَلِيهُمْ أَلِي أَلِي أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلِي أَلِي أَلِيهُمْ أَلِي أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلِيهُمْ أَلِي أَلِيهُمْ أَلِيهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلِهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلْهُمْ أَلِهُمْ أَلْهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلَالِهُمْ أَلْهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلَيْهُمْ أَلْكُولِهُمْ أَلْهُمْ أَلْمُوالِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِي أَلِهُمْ أَلِي أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِهُمْ أَلِلْمُ أَلِهُمْ أَلِهُ كُلُّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ١ كُلُّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَفِينِ ١ لَنَرُونَ ٱلْجَدِيمَ ١ ثُعَ لَنَرُوْنَهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿ ثُمَّ لَتُسْتَأُنَّ يَوْمَبِدٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿ إِلَّهِ التَكاثر].

#### 🕸 التفسير:

قال تعالى: ﴿ أَلْهَنكُم التَّكَاتُرُ ١ ١٥ الخطاب لجنس المكلفين - ويُستثنى منهم المؤمنون المؤثرون للآخرة على الدنيا \_ أي: شغلكم التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد والعشيرة، وصرفكم عن العمل بطاعة الله والاستعداد للآخرة.

و(اللهو) ما يُشغل الإنسان عمًّا يعنيه ويهمه ويصرف قلبه، و(التكاثر) تفاعل يكون من اثنين فأكثر، كلُّ يقول لصاحبه: أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحَنُ أَحَتَرُ أَمُولًا وَأَوْلَدُا وَمَا غَنُ مُعَلَّمِينَ وَالْعَل وَالْفَعَل (أَلْهَى) يعدَّى بـ (عن)، كما في قوله تعالى: ﴿لَا نُلْهِكُمْ آمَولُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَالله المَافقون: ٩]، وحُذِف المُلْهَى عنه في قوله: ﴿أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ إِللهِ لَا يَعُمَّ كُلَّ خيرٍ أَلْهِي عنه المُلْهَى عنه في قوله: ﴿أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ إِلَيْهِ لَا لَيَعُمَّ كُلَّ خيرٍ أَلْهِي عنه المُكلَّف، وذلك أبلغ في الذم والتنديم.

وقوله: ﴿ أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿ يَهَا خَبَرَ مَعْنَاهُ الْوَعْظُ وَالْتُوبِيخِ وَالْتَعْجِبِ مِنْ حَالِهُم؛ أي: شغلكم التكاثر مدة حياتكم بما لا ينفعكم عند الله ﴿ حَتَى نُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿ يَهُا ﴾؛ أي: إلى أن جاءكم الموت وصرتم من أهل القبور، يقال لمن مات: "زار حفرته، وتوسد لحده"، قال مروان ابن أبي حفصة:

وكانَ النَّاسُ كلُّهم لمعْنِ إلى أنْ زارَ حُفرتَه عِيالا وذِكر الزيارة في الآية إشارة إلى البعث، فإن الزائر لا بد أن ينصرف، والموتى سيرحلون إما إلى الجنة أو إلى النار، سمع بعض الأعراب ﴿حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿ اللَّهِ فقال: بُعث القومُ للقيامة وربِّ الكعبة؛ فإن الزائر منصرف لا مقيم.

والتعبير بالماضي في ﴿زُرْتُمُ ﴾ لتحقق وقوعه.

وَانْرَجُرُوا عَنِ التَّكَاثُرُ وَالتَّشَاعُلُ بِالْدُنِيا، وَسُوْفَ تَعْلَمُونَ آي سُوءَ عاقبة وانْرَجُرُوا عن التَّكَاثُرُ والتَّشَاعُلُ بِالْدُنِيا، وَسُوْفَ تَعْلَمُونَ آي سُوءَ عاقبة اللهو والتَّكَاثُر بعد الموت، وهذا إنذار لهم وتهديد، وَثُمَّ كُلَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ آي تَهْدِيدٌ بعد تهديد، وهو أبلغ من الأول لمجيء وَثُمَّ الدالة على الترقي.

﴿ كُلَّا لُو تَعُلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿ ﴾؛ ﴿ كُلَّا الله على المتقدم؛ أي: لو تعلمون الأمر الذي تصيرون إليه من البعث والجزاء علمًا يقينيًا،

وهو العلم الجازم المطابق للواقع الذي لا شك فيه، وإضافة ﴿عِلْمَ﴾ إلى ﴿ ٱلَّيَقِينِ﴾ من إضافة ﴿عِلْمَ﴾ إلى الصفة.

﴿ لَتَرَوْتَ ٱلجَحِيم، وهي النار، وسميت بذلك لشدة حرارتها وتأججها، والله لترون الجحيم، وهي النار، وسميت بذلك لشدة حرارتها وتأججها، يقال: «نارٌ جَحْمة»؛ أي: شديدة اللهب، ﴿ لَتَرَوُتَ ٱلجَحِيمَ ۞ الجملة تفسير لمفعول ﴿ تَعُلَمُونَ ﴾؛ أي: لو تعلمون عاقبة أمركم، إنها والله رؤية الجحيم! والتفسير بعد الإبهام يدل على التعظيم والتهويل.

وهذه الآية لعموم الناس، كما تقدم، فهي كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿ اللَّهِ ﴿ [مريم].

وْتُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْسَهِذِ ﴾؛ أي: يوم رؤية الجحيم في الآخرة وعَنِ النَّعِيمِ في الآخرة وعَنِ النَّعِيمِ النَّعِيمِ في الآخرة والشراب النَّعِيمِ في أي: جميع أنواع النعيم؛ من الصحة والطعام والشراب والأمن وغيرها، وسؤال الكافر للتوبيخ وإقامة الحجة، وسؤال المؤمن لتذكيره بنعم الله عليه، وتقريره بما قصر فيه من الشكر.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٩٠١)؛ من حديث أنس ﷺ.

روى مسلم عن أبي هريرة على قال: خرج رسول الله على ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه فأتى رجلًا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلًا، فقال لها رسول الله على: "أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله! ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق، فجاءهم بعِذْقِ فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله على: «إياك والحلوب»، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله على المربوك بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»(۱).

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ ذُمُّ اللهو بحظوظ الدنيا عن ذكر الله وذكر الآخرة.
- ٢ ـ ذمُّ التكاثر بالأموال والأولاد وبكل ما لا ينفع في الآخرة.
- ٣ \_ قبح التمادي في اللهو والتكاثر حتى الموت المفضي إلى المقابر.
  - ٤ ـ أن اللبث في القبور يسير، كلبث الزائر.
- ٥ \_ إثبات عذاب القبر؛ لقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ بعد قوله: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ .
  - ٦ ـ الإشارة إلى البعث من القبور.

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۰۳۸).

٧ \_ الرد على من يقول عن القبر: إنه المثوى الأخير.

٨ ـ الزجر عن اللهو والتكاثر.

٩ \_ التهديد بكشف غيب الآخرة.

١٠ ـ أن اليقين بالآخرة يصرف عن اللهو بمتاع الدنيا، ويورث العمل للآخرة.

١١ \_ أنه لا يكفي مطلق العلم حتى يكون يقينًا.

١٢ .. أن مَن لم يدع التكاثر ولم يعمل للآخرة فليس بموقن بها.

١٤ \_ الوعيد برؤية الجحيم رؤية عيانية.

١٥ \_ أن الجحيم من أسماء النار.

١٦ \_ الوعيد بالسؤال عما يمتع به الإنسان من نعيم الدنيا.

١٧ \_ الحث على شكر نعم الله، والتحذير من كفرانها.

١٨ \_ إثبات الجزاء على الأعمال.

19 \_ أن اليقين مراتب: علم اليقين، وعين اليقين ـ وهما مذكوران في السورة ـ وحق اليقين، وهو أعلاها، كما في سورة الواقعة والحاقة: ﴿إِنَّ مَلْنَا لَمُوَ حَقُ ٱلْبَقِينِ ﴿ إِلَّهُ لَحَقُ ٱلْبَقِينِ ﴾ [الحاقة].

٢٠ في السورة شاهد لحديث: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله مِن أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(١)، وحديث: «والذي نفسي بيده لتُسألنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة»(٢).

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)؛ من حديث أبي برزة رضي الترمذي: حسن صحيح.

<sup>(</sup>٢) تقدم تخريجه.





هذه السورة مكية، وآياتها ثلاث، وهي - مع قلة آياتها - متضمنة من الإنذار والتحذير والتذكير والتبشير بأمر عظيم، فهي إجمال لكثير من آيات القرآن، ولذا جاء عن الإمام الشافعي سَلَمَاهُ قوله: "لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم"(١).

وجاء عن الصحابة و أن الرجلين منهم إذا التقيالم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۞ ثم يُسلِّم أحدهما على الآخر(٢).

والمناسبة بين هذه السورة وما قبلها أن اللهو بالمال والأولاد من أعظم ما يضيع به عمر الإنسان، ويجلب له الخسران، فحقيق بالحازم أن يؤثر أسباب الربح من الإيمان والعمل الصالح.

#### الأيات:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّرْ إِنَّ العصر].
 وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّرْ ۞ [العصر].

#### 🛞 التفسير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصِرِ ١ ﴾ ، هذا قسم من الله بالعصر؛ أي:

<sup>(</sup>١) المجموع للنووي (١/ ١٢) ومفتاح دار السعادة (١/ ٢٣٨).

 <sup>(</sup>٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩١٢٥)، قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٠٧):
 «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن عائشة وهو ثقة»،
 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٤٨).

أقسم بالعصر، الذي هو الدهر، وهو الزمان كلَّه، وهو سبحانه يقسم بما شاء من خلقه، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله، كما تقدم مرارًا، وأقسَم الله بالعصر لما فيه من الأحداث العظيمة والعبر الدالة على قدرة الله الباهرة وحكمته الظاهرة، فما نراه من تعاقب الليل والنهار، وجريان الأقدار، وتتابع الفصول، واختلاف الأحوال؛ من صحة وسقم وغنى وفقر وفرح وحزن وأمن وخوف = كلُّ ذلك داع إلى التفكر في عظمة خالقه، وواسع علمه، وبالغ حكمته ولطف تدبيره، ومُنبًه إلى استثمار الزمان وعمارته بالطاعات، والتجافي عن الإثم واتباع الشهوات.

وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ ﴾؛ أي: عموم الإنسان، ف (أل) للجنس، فيشمل جميع أنواع الإنسان، كما يدل على ذلك الاستثناء، فإن الاستثناء معيار العموم؛ أي: إنه إذا جاء شيء واستثنى منه شيءٌ، دلَّ ذلك على أن بقية الصور غير المستثناة داخلةٌ في المستثنى منه، فيكون عامًّا إلا في الصورة المستثناة، ﴿لَنِي خُسْرٍ ﴿ فَي الْعُولَ اللّهُ وَالْكُفُرِانَ ، وتنكير وهَلَكة، والخُسر والخُسران بمعنى واحد، كالكُفر والكُفران، وتنكير خير للمعنى: أن جميع الناس منغمسون في خسر عظيم في جميع أحوالهم، بإيثار الدنيا واتباع الشهوات وغَمط الحق، وصرف العمر فيما لا يجدي، هذا هو الأصل في كل إنسان، ولهذا أكد الله تعالى الخبر بـ (إنَّ) واللام.

ثم استثنى مِن ذلك أهل الإيمان، فليسوا بخاسرين، وهم قليل بالنسبة إلى غيرهم، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والاستثناء متصل، ﴿وَعَيلُوا الْصَالِحَاتِ فَفَعلُوا مَا أَمْرِهُمُ الله به، واجتنبوا ما نهى الله عنه، فجمعوا بذلك بين الإيمان والعمل الصالح.

وقدم الله الإيمان على العمل الصالح؛ لأن العمل الصالح مبني على الإيمان، فالإيمان شرط في العمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الفَكَلِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَيْكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿ النساء].

وعطف عمل الصالحات على ﴿ اَمَنُوا ﴾ من عطف الخاص على العام، لأهميته وتأكيد القيام به، ولا حجة للمرجئة في الآية على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، فإنهم قالوا: إن العطف يقتضي المغايرة نقول: هذا ممنوع؛ فليس كل عطف يقتضي المغايرة دائمًا، بل المغايرة وعدمها يرجع فيه إلى ما بين المعطوف والمعطوف عليه من النسبة. وقد دل الكتاب والسنة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، كما في حديث شعب الإيمان (١) وغيره، فوجب أن يكون عطف الأعمال على الإيمان من عطف الخاص على العام في هذه السورة وغيرها. وقد حرر هذه المسألة الإمام ابن تيمية في كتاب الإيمان.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِ﴾؛ أي: أوصى بعضهم بعضًا بالحق، والحقُّ ضد الباطل، وهو كل اعتقاد صحيح وعمل صالح، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبِرِ ﴿ اَي: أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الشدائد والمصائب، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى حبس النفس عن المعاصي، ومعلوم أن الجنة حُفَّت بالمكاره، فلا بد من التزود بزاد من الصبر لسلوك طريقها، وكرر الفعل ﴿وَتَوَاصَوْا ﴾ تأكيدًا لشدة الصبر؛ ومجيء الأفعال بصيغة الماضي ﴿تواصوا ﴾ يشير إلى تحقق وقوع ذلك منهم.

وفي الآية الحث على مصاحبة العلماء والصالحين؛ فإنهم يعينون على معرفة الحق، ويدعون إلى العمل به والثبات عليه.

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥)؛ من حديث أبي هريرة عظيه.

وعطف التواصي بالصبر على التواصي بالحق ـ مع أنه داخل فيه ـ من باب عطف الخاص على العام؛ تنبيهًا لشرف الصبر وفضله، فإن عطفه على الحق يشعر بنوع مغايرة وتميّز، مع أنه مندرج تحته، كعطف جبريل على الملائكة في قوله تعالى: ﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَيّكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ القدر: ٤]، كما أن عطف التواصي بالأمرين على العمل الصالح ـ مع أن العمل الصالح ـ مع أن العمل الصالح . فيه دليل على أهميتهما.

وتأمل! كيف جاءت الآية بلفظ التواصي دون: (تآمروا) و(تناهوا)؛ لما في لفظ الوصية من معنى العهد، والعناية بالموصَى والموصَى به، فكأنه لعظم شأنه عهدٌ لا يتهاون به.

دلَّت الآيات على أن الناس جميعًا في خسر إلا من اتصفوا بأربعة أشياء: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهذه الأمور الأربعة عليها مدار الفوز والفلاح، فإن الإنسان يكمِّل نفسه بالإيمان والعمل الصالح، ويكمِّل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون حينئذ قائمًا بحق الله وحق عباده.

# ∰ الفوائد والأحكام:

١ ـ أن الله أقسم بالعصر، وهو الزمان في جملته، كما أقسم
 بأجزاء من الزمان؛ كالليل، والنهار، والضحى، والفجر.

٢ ــ أن الله يقسم بمخلوقاته، كما أقسم بالسماء والأرض والنفس
 والشمس والنجم والقلم.

٣ ـ التنبيه إلى عظم شأن الزمان ـ الذي هو عمر الإنسان ـ في الربح والخسران.

٤ \_ أن كل إنسان خاسر إلا مَن استثنى الله.

٥ ـ أن النجاة من الخسر مداره على الأمور الأربعة: الإيمان،
 والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

٦ - ضرورة الإنسان إلى العلم؛ فإنه لا إيمان إلا بعلم.

٧ - أن ثمرة العلم والإيمان العملُ الصالح، وهو من الإيمان.

٨ ـ اعتبار العمل في النجاة، ففيها:

٩ ـ الرد على المرجئة الغلاة.

١٠ - اعتبار الصلاح في العمل، وجِماع الصلاح: الإخلاص لله،
 والمتابعة للرسول ﷺ.

١١ ـ أن الناس يتفاوتون في الخسر بحسب ما يفوتهم من أسباب الربح المذكور.

١٢ ـ أن أخسر الناس هم الكافرون.

١٣ ـ أن كل من عصى الله فهو خاسر بقدر معصيته.

العلوم والشرائع.

١٥ ـ فضل التواصي بالصبر بأنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله،
 والصبر عن معاصى الله، والصبر على أقدار الله.

١٦ ـ أن الصبر عماد كل بر وفضيلة.

١٧ - اعتبار الرفق واللين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
 كما يدل له لفظ الوصية.

۱۸ ـ أن الحق ثقيلٌ على نفس الإنسان، كالصبر، فلذا ندب إلى التواصى بهما.

١٩ - أن المؤمن في ربح دائم وإن طال عمره؛ بفعله الحسنات،
 وبما يكتب له في حال عجزه.





هذه السورة مكية، وهي تسع آيات، وقد افتتحت بتهديد كل هُمَزة لمزة، وهو الكثير الهمْز واللمْز، وتضمنت السورة ذكر بعض صفاته الذميمة ذمًّا له وتقبيحًا، وأن عاقبته أن يطرح في النار التي تحطّم كل ما يُلقَى فيها، فهي الحُطَمة، ومن شأن هذه النار أنها تطّلِع على الأفئدة، وأنها مؤصدة على أهلها، نعوذ بالله من النار.

# וצוב:

﴿ وَرُبِلُّ لِيكُنِ هُمَزَةٍ لَمُنَوَةٍ ﴾ اللَّهِ مُمَالًا وَعَدَدَهُ ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَةُ وَمَا الْمُطَمَةُ ﴾ وَمَا أَذَرَنكَ مَا الْمُطَمَةُ ۞ نَارُ مَالَةُ الْمُوفَدَةُ ۞ اللَّهِ الْمُوفَدَةُ ۞ اللَّهِ الْمُوفَدَةُ ۞ اللَّهِ الْمُوفَدَةُ ۞ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللّهُ

#### 🕸 التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَيِّلُّ﴾؛ أي: هلاك وعذاب شديد، وهو لفظ يُراد به الذم والتقبيح والوعيد، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾؛ أي: كثير الطَّعْن والعيب في غيره، ﴿لُمَزَةٍ ﴿ لُمُرَةٍ ﴿ لَكُمْ رَقِ ﴾ كثير اللمز، قيل: الهمز باليد، واللمز باللسان، وقيل: الهمز في الوجه، واللمز في الغيبة، وكل هذه الأقوال جاءت عن مفسري السلف، وهي متقاربة المعنى، وترجع إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب، وإن كان الهمز أشد،

والتاء في الكلمتين للمبالغة في الوصف، كما في قولهم: (راوية) و(علَّامة).

و(فُعَلة) \_ بضم ففتح \_ صيغة مبالغة للفاعل؛ أي: المكثر المتعود للشيء، كما يقال: (لُعَنة) و(ضُحَكة) إذا كان يكثر اللعن والضحك، وإذا سُكّنت العين فهي صيغة مبالغة للمفعول، فيقال: (لُعْنة) و(ضُحُكة)؛ إذا لُعن وضُحك منه.

وقوله: ﴿ وَمَثِلُ لِكُلِ هُمَزَةٍ لَمُزَةٍ ﴾ وإن كان وعيدًا للمكثر المعتاد، فإن لكل من صدر منه ذلك نصيبًا مِن هذا الوعيد.

ثم ذكر صفة الهُمزة اللُّمزة، فقال تعالى: ﴿ اللَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ فَ مَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ فَ مَالَهُ وَعَدَدَهُۥ فَ مَالَهُ وَعَدَّدَهُۥ فَ مَالَهُ وَعَدَّدَهُ، فَ مَالَهُ وَعَدَّدَهُ، فَ مَالَهُ وَعَلَّدَهُ وَهُ وَعَدَّدَهُ المَرة بعد المرة ويتفقده وبالتنكير، ﴿ وَعَدَّدَهُ وَ فَ فَ اللهِ وَحَرَصًا عليه، وتلذَّذًا بإحصائه، وهو مع ذلك ممسك له، فلا ينفقه في وجوه الخير، ويظهر أن هذا المال الكثير هو الذي غرّه، فصار يحتقر الناس ويهمز ويلمز كثيرًا، كما قال تعالى: ﴿ كُلّا إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَيُطْنَى اللهُ الله المسبّل بعد المسبّل من ذكر السّب بعد المسبّل.

قوله: ﴿يَعْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخَلَدَهُ ﴿ يَهُ يَظُن لَفَرْط جهله وغروره أَن ماله يجعله خالدًا في الدنيا فلا يموت، وهذا من باب التشبيه؛ أي: إن حاله كحال من يظن أنه لا يموت، وإلا فلا أحد من البشر يظن ذلك في قرارة نفسه.

وقوله تعالى: ﴿ كُلُّا ﴾ ردعٌ له وزجرٌ على هذا الحسبان الباطل؛ فإنه سيموت لا محالة، وسيترك أمواله وراء ظهره، ثم ﴿ لِلنَّالَانَ فِ النَّالِهِ وَالله ليُلقَين مهينًا حقيرًا في النار، وسميت الناد

بذلك؛ لأنها تحطم بشدة كل ما يُلقَى فيها؛ أي: تكسره أيًّا كان، كما قال تعالى: ﴿لَا نُبْنِي وَلَا نَذَرُ شَا﴾ [المدثر].

﴿ وَمَا أَذْرَنْكَ مَا ٱلْخُطُمَةُ ﴿ ﴾: أيُّ شيءٍ أعلمك ما الحطمة، استفهام تهويل وتعظيم للنار، فمهما قُدِّر في العقول مِن شأنها فهي أعظم من ذلك، ولفظ الحُطمة في مقابل الهمزة، فالهُمَزة جزاؤه الحُطمة. والجزاء من جنس العمل.

﴿ إِنَّهَا ﴾؛ أي: تلك النار ﴿ عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ ﴿ إِنَّهَ ﴾؛ أي: مطبقة مغلقة الأبواب، فلا خروج منها، وهذا حبس الأبد، يقال: "أوصدتُ الباب وآصدتُه"، لغتان بمعنّى؛ أي: أغلقته.

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿ أَي: النار في عَمَدٍ ممددةٍ عليهم من كل جانب، فهي محيطة بهم لتيئيسهم من الخلاص.

أو هم في عَمَد؛ أي: موثقون بها، والله أعلم بمراده وبكيفية

ذلك. فالجملة حالية إما من الضمير المنصوب في قوله: ﴿إِنَّهَا ﴾؛ أي: النار، أو من الضمير المجرور في ﴿عَلَيْهِم﴾.

### 🦓 الفوائد والأحكام:

١ \_ تحريم الهمز واللمز.

٢ ـ التنفير من الحرص على المال وجمعه وتعديده.

٣ \_ أن من الجهل والغرور؛ ظَنَّ الخلود بجمع المال.

٤ ـ أن الشقيَّ يُطرح في النار طرح الحقير.

٥ \_ أن من أسماء النار الحُطَمة.

٦ ـ تعظیم أمر النار بإضافتها إلى الله، ففیه شاهد لقوله ﷺ: «إن النار لا يعذب بها إلا الله»(١).

٧ ـ أن النار موقدة، ووَقُودها الناس والحجارة.

٨ ـ أن النار تطلع على ما في قلوب أهلها من الكفر وسوء
 الاعتقاد، فيمسهم من عذابها بحسب ذلك.

٩ ـ أن النار موصدة على أهلها .

١٠ \_ أن النار ممددة في عَمَد.

١١ \_ أن عذاب النار \_ والعياذ بالله \_ ما وراءه عذاب.

١٢ ـ تيئيس أهل النار من الخروج منها، نعوذ بالله من النار ومن حال أهل النار.



<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٢٩٥٤)؛ من حديث أبي هريرة ﴿ اللهُ



سورة الفيل مكية، وهي خمس آيات، وقد تضمنت ذكر حادثة الفيل، وما جرى على أصحابه من النكال، وما صدر منهم من الكيد، وقد وقعت حادثة الفيل قرب مكة قبل منى، وذلك سنة مولده وقله، وقد جاءت بذلك أخبار وآثار عن حادثة الفيل، ذكرها المفسرون والمؤرخون بأسانيدهم.

#### الآيات:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ ﴿ أَلَمْ بَجْعَلْ كَبْدَهُمْ فِي تَضْلِيلِ ﴾ أَلَمْ بَجْعَلْ كَبْدَهُمْ فِي تَضْلِيلِ ﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةِ مِن سِجِّيلٍ ﴿ فَعَلَهُمْ كَعَصْفِ مَأْحُولٍ ﴿ فَهُ الفيل].
كَعَصْفِ مَأْحُولٍ ﴿ ﴿ إِللهِ لَا إِللهِ إِلَى اللهِ إِلَى اللهِ اللهِ إِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهَا اللهَا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ

#### التفسير:

قال تعالى: ﴿ أَلَة تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصَّابِ ٱلْفِيلِ ﴿ وَأَلَدْ تَرَ كُنُ لَا لَعْطَاب، والاستفهام للتقرير الخطاب للنبي ﷺ ولكل مَن يصلح للخطاب، والاستفهام للتقرير والتعجيب؛ أي: ألم تعلم أيها الرسول بالأخبار المتواترة كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. والرؤية قلبية بمعنى العلم، وأطلقت الرؤية هنا على العلم؛ لأن قصة الفيل كانت معروفة عندهم، فكأن المخاطب يراها بعينه.

وهذه القصة من أعجب الحوادث التاريخية وأعظمها في جزيرة

العرب، لما فيها من خوارق العادة، وذلك أن أبرهة حاكم اليمن من قِبَلِ ملك الحبشة بنى كنيسة في صنعاء، وأراد أن يصرف الناس ليحجوا إليها بدل الكعبة، فخرج إليها أحد العرب فلوثها بقدر، فغضب عندئذ أبرهة، وعزم على هدم الكعبة، فتوجه إلى مكة بجيش جرار، ومعه فيل عظيم، وقيل: أفيال، ليرهب بها العرب، ولم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك، فلما بلغ الجيش مكانًا يسمَّى المُغَمَّس من ضواحي مكة، أهلكهم الله شر إهلاك، وأبادهم عن آخرهم بطير صغار من أضعف خلق الله، تحمل عجارة ترميهم بها فتقتلهم؛ لأنهم جاؤوا بأكبر الحيوانات مستنصرين بها.

والأصل أن هذه الطير نوع من الطيور المشاهدة للناس، فلا يصح بعد ذلك أن يقال: إنها طيور خفية، وهي جراثيم مرض الحصبة وميكروباتها، كما قاله بعض المعاصرين، اعتمادًا على ما ذُكر أن مرض الحصبة لم يعرف إلا بعد حادث الفيل، فإنَّ هذا \_ لو صح \_ لا يوجب مخالفة ظاهر القرآن؛ إذْ لا يمتنع أن يكون للحجارة التي رُمي بها أصحاب الفيل آثارٌ نشأ عنها مرض الحصبة.

وهذه القصة وقعت قبيل مولده ﷺ، في العام الذي ولد فيه، ففيها وهذه القصة وقعت قبيل مولده ﷺ في العام الذي ولد فيه، ففيها والله أعلم \_ إرهاص بنبوته عليه الصلاة والسلام، وتذكير لقريش بنعمة الله عليهم أنْ صدَّ عدوهم عنهم، وبيانُ عاقبة المكذبين المعتدين على حرمات الله، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْعَابِ على حرمات الله، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْعَابِ الفيلِ الله فعل عجيب يدعو إلى التفكر والاعتبار.

والاستفهام بـ (كيف) يدل على تهويل الحادثة، وأنها وقعت على كيفية هائلة تدل على عظيم قدرة الله تعالى، وكمال علمه وحكمته، وشدة عطشه.

ومجيء ﴿ وَنَعَلَى اللهِ دُونَ (عَمِلَ) لَمَا فِي (فعل) مِن الدلالة على شدة البطش وسرعة الأخذ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ فَعَكُنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿ فَهَا قَالَ تعالى: ﴿ وَمَهَا قَالَ تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَكَيْكَ فَعَلَ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم]، وكما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَكَيْكَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿ فَهَا لَهُ وَلَهُ اللهِ وَلَهُ اللهِ وَلَهُ اللهِ وَلَهُ اللهِ وَهَا لَهُ اللهِ وَاللهِ اللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَلَهُ وَاللهُ وَلَهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَا

ثم فصّل تعالى ما فعل بهم، فقال: ﴿أَلَدَ بَجْعَلْ كَيْدَهُنَ ﴾؛ أي: مكرَهم في هدم الكعبة وانتهاك الحرمة ﴿فِي تَضَلِيلٍ ﴿ ﴾؛ أي: تضييع وخسار، فخاب سعيهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ﴾ جمع طائر؛ مثل: صحب وصاحب، ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مَن كُل جهة، ﴿ أَبَابِيلَ ﴿ فَهُ ﴾؛ أي: جماعاتٍ هائلةً متتابعة تأتيهم من كل جهة، و(أبابيل) جمعٌ لا واحد له من لفظه؛ على قول الجمهور.

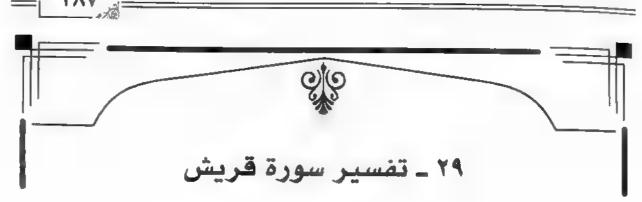
وترميهم بِحِجَارَةِ مِن سِجِيلِ ﴿ أَي: من طين متحجر، من جنس الحجارة التي أرسلها الله على قوم لوط، كما قال تعالى: ﴿ لِلرَّسِلَ عَلَيْهِم عِجَارَةً مِن طِينٍ ﴿ إِللهُ عِلَى اللهُ على هود: ﴿ وَأَمْطَرَنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِن طِينٍ ﴿ أَنْ طِينٍ ﴿ آللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهَا عَجَارَةً مِن طِينٍ مَن طَينٍ مَن اللهُ وقوله: ﴿ وَقُولُه: اللهُ عَلَيْهِم اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَى ال

وَبُعَلَهُمْ كَعَصِّفِ مَّأْكُولِ ( العصف) ورق الزرع، واحدته عَصْفة، سمِّي بذلك لأنه إذا قطع تعصف به الريح إلى كل جهة، والمعنى أن الله جعلهم كزرع أكلته الدواب ثم داسته، فصاروا مفتَّين هالكين، وهذا التشبيه يكشف حالهم وما لحقهم من المهانة والخسة والتلف.

# 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ ـ ثبوت حادثة الفيل.
- ٢ \_ إهلاك الله لأصحاب الفيل الغُزاة لهدم بيته الحرام.
  - ٣ \_ أن فعل الله بهم عجيب.
  - ٤ \_ إحباط كيدهم وحماية الله لبيته.
  - ٥ \_ إثبات الربوبية الخاصة والعامة لله تعالى.
- ٦ عظم حرمة البيت عند الله، وقد أضافه الله إلى نفسه؛ ﴿ أَن طَهِرَا بَيْتِي ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وخصه بربوبية منه؛ ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَ هَذَا
   ٱلْبَيْتِ ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا
   ٱلْبَيْتِ ﴿ فَالْمَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا
  - ٧ \_ بيان نوع العذاب الذي نزل بهم.
- ٨ أن كيفية إهلاكهم آيةٌ من آيات الله؛ إذ كان بإرسال جماعات من الطير تحمل حجارة، فلكل واحد من الغازين طائر وحجر، وليس لهذا نظير في عذاب الأمم المكذبين.
  - ٩ ـ أنهم صاروا على إثر ذلك كروث الدواب؛ تَفَتَتُ أجسامهم،
     فجعلهم الله كعصف مأكول.
- ١٠ ـ أن من أراد دينه سبحانه وبيته بسوء فسينتقم الله منه، وقد يُستدرجون فيُملَى لهم.





سورة قريش مكية، وهي أربع آيات، وقد تضمنت السورة الامتنان من الله على قريش بما يسر لهم من الرحلتين، وما ينتج عنهما من المكاسب وجلب الحوائج، مما كان قوامًا لمعاشهم، ثم أمْرهم بعبادة ربّ البيت الحرام الذي شرفهم به بين قبائل العرب، وقد جعله الله سببًا لرزقهم وأمنهم، فأطعمهم سبحانه من جوع، وآمنهم من خوف.

ويظهر التناسب بين هذه السورة والتي قبلها ـ سورة الفيل ـ أن سورة الفيل تضمَّنت التذكير بنصر قريش على ذلك العدو الباغي لإذلالهم ولا ولهدم سبب عزهم، فنصَرهم الله بسبب سماويٍّ لم يكن بحولهم ولا قوتهم، ولم يكن لهم طاقة بقتال ذلك العدو، وهذا النصر هو من أعظم إيمان الله لهم من أعظم خوف طرقهم.

# 徽 الآيات:

﴿ لِإِيلَافِ تُحرَّيْنِ ﴿ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿ فَلْبَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا
 ٱلْبَيْتِ ﴿ لِإِيلَافِ تُحرَيْنِ ﴿ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿ فَالْمَعْبُدُواْ رَبَّ هَاذَا
 ٱلْبَيْتِ ﴿ اللَّهِ ٱلَّذِي ٱلْطُعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿ ﴿ ﴾ [قريش].

#### 🛞 التفسير:

قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ متعلق بقوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ﴾؛ أي: لإلفِ قريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت، وقوله: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞ مصدر مضاف إلى فاعله. تقول: أَلِفتُ الشيءَ إِلْفًا وإِلافا، وآلَفْتُه إِيلافا، إذا لزمتَه وأنستَ به، وضد الإيلاف الإيحاش، وقُدم في السورة لعظم المنة به.

وقال بعض أهل التفسير: إن أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الفيل بناخر سورة الفيل فيكون الكلام: أهلك الله أصحاب الفيل لأجل إيلاف قريش هاتين الرحلتين.

وهذا بعيد؛ لأن الأصل أن تبقى كل سورة مستقلة بنفسها، كما يدل عليه وجود البسملة بين السورتين.

وقريش قبيلة عربية حجازية من ذرية فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وفِهْر هو الملقب قُريشا، وكان لهذه القبيلة مكانة في نفوس العرب؛ لأنهم المجاورون للبيت والقائمون عليه، وإليهم ولاية الكعبة وسِدانتها وسِقاية الحاج، وقد شرفهم الله بذلك، وهو أثر اصطفاء الله لهم، كما قال على: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم،

وقوله: ﴿إِيلَفِهُمْ رَحَّلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلْصَّيْفِ ﴿ اللهِ اللهِ من إِيلَفِهُمْ رَحَّلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلْصَيْفِ ﴿ اللهِ اللهِ من باب التفصيل بعد الإجمال الذي يراد به تفخيم الأمر لبيان عظم المنة، ولتمكين الكلام في نفس السامع، و﴿ رَحَّلَةَ ﴾ مفعول به للمصدر، والرحلة: السفر من مكان إلى مكان، وكان لقريش رحلتان لغرض التجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن، ورحلة إلى الشام في الصيف، فيجلبون الأطعمة والثياب وكل ما يحتاجون إليه.

وإنها لنعمة عظيمة من الله على قريش أن ألفوا هاتين الرحلتين،

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)؛ من حديث واثلة بن الأسقع ظليه.

ولا يعرض لهم أحد، ولا يبغي عليهم باغ، في حين أن غيرهم لا يأمن على نفسه إذا سافر، ولا على ماله، ولهذا أمرهم الله بشكر نعمته عليهم، وإخلاص العبادة له وحده، فقال: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَلَا ٱلْبَيْتِ ﴿ فَكَ أَي اللَّهِ وَقَد أَضَافَ الله ربوبيته إلى البيت تشريفًا له، والإشارة إليه باسم الإشارة تعيين له وتعظيم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَلَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِ الإشارة تعيين له وتعظيم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَلَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِي هِ الْإِسَارة : ٩] والفاء في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾ للتفريع؛ أي: إذا كان الأمر كذلك فليعبدوا.

قوله: ﴿ ٱلَّذِى ٱلْعَمَهُم مِن جُوعِ ﴾ مع أنهم في واد غير ذي زرع، والاسم الموصول صفة لـ (رب البيت)، ﴿ وَءَامَنَهُم مِنْ خَوْفِ ﴿ ﴾ أي: جعلهم مطمئنين سالمين حضرًا وسفرًا، فهم في آمنِ مكان وأرغد عيش مما لم يكن لغيرهم، كما قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِن لَهُمْ حَرَمًا عَلِينًا يُجْبَى اللَّهُ مُرَتُ كُلِّ شَيْءِ رَزَّقًا مِن لَدُنًا وَلَكِنَ أَكُنُونَ لَكُمْ لَا يَعَلَمُونَ ﴾ إليه في آمنِ مكان وأرغد عيش الله يكن لغيرهم، كما قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِن لَهُمْ حَرَمًا عَلِينًا يُجْبَى اللَّهُ مَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزْقًا مِن لَدُنًا وَلَكِنَ أَكُنُونَ أَكُنُونَ لَكُمُ لَا يَعَلَمُونَ ﴾ إليه القصص]، وقال إبراهيم عَلَى ﴿ وَالرَزْقَهُم مِن الشَّمَرَتِ لَعَلَهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿ ﴾ [القصص]، وقال إبراهيم عَلَى ﴿ وَالرَزْقَهُم مِن الشَّمَرَتِ لَعَلَهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [ابراهيم].

# 🎕 الفوائد والأحكام:

١ \_ فضل قريش على سائر قبائل العرب، وقد شرَّفهم الله بكرم النسب ورفعة الحسب، ثم شرفهم بأن جعلهم أهلَ الحرم، ورعاة بيته العتيق، ثم شرفهم ببعثة سيد ولد آدم منهم على وجعل الخلافة فيهم.

٢ ـ أن من اعتاد سببًا مِن أسباب المعاش فإنه يألفه وينشط فيه دون غيره.

٣ \_ أن قريشًا كانوا تجارًا، والتجارة أفضل وسائل الكسب.

إنه كان لقريش رحلتان؛ رحلة في الشتاء لليمن، ورحلة في الصيف للشام.

- ٥ \_ تيسير أسباب الرحلتين.
  - ٦ ـ وجوب شكر النعمة.
- ٧ ـ أن شكره يكون بعبادته وحده لا شريك له؛ بفعل ما أمر به،
   وترك ما نهى عنه.
  - ٨ ـ أن أعظم الضروريات في حياة الإنسان: الطعام.
    - ٩ ـ أن أعظم الضروريات لهناء العيش: الأمن.
- ١٠ أن الله هو المطعم لعباده، والمؤمّن لعباده، وإن جعل لذلك أسبابًا؛ فإنه خالق الأسباب والمسبّبات، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿ الشعراء].
- ا ا ـ الندب إلى ذكر نعم الله؛ فإنه أعظم الدواعي لشكرها، كما قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ اَذَكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ [فاطر: ٣].
- ١٢ \_ فضل البيت الحرام؛ لإضافة اسم الرب إليه، كما أضافه تعالى إلى نفسه في قوله: ﴿أَن طَهِرا بَيْتِي) [البقرة: ١٢٥].
  - ١٣ \_ إطلاق اسم البيت على الكعبة.
- ١٤ ـ أن هذه السورة مكية؛ لقوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَاذَا ٱلْبَيْتِ ﴿ ﴾.





هذه السورة الأظهر أنها مدنية، ويُروى ذلك عن ابن عباس، وقيل: مكية، وقيل: الآيات الثلاث الأولى مكية، والأربع الأخيرة مدنية .

ومنشأ الاختلاف هو مضمون الآيات، ولا ريب أن الآيات الأربع الأخيرة مناسبة لحال المنافقين في المدينة، وأما الآيات الثلاث الأولى فهي مناسبة لحال المشركين المكذبين للبعث بمكة، ومع ذلك فإن مضمونها يليق بالمنافقين؛ فإنهم مكذبون بالبعث في الباطن، ويظلمون اليتيم، ولا يحضون على طعام المسكين.

ولذا يترجح أنها مدنية، فمضمون السورة كلها يصدق على المنافقين، فتضمن أولَها ذكر باطنهم، وآخرها ذكر ظاهرهم، والأمر في هذا يسير، والله أعلم.

## الآيات:

 ﴿ أَرَهَ يْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿ فَنَالِكَ ٱلَّذِى يَدُعُ ٱلْيَنِهِ ﴿ وَلَا يَحُشُّ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿ فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ بُرَآءُونَ ١ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ١ الماعون].

#### 🕸 التفسير:

قوله سبحانه: ﴿ أَرَهَ بِنَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ ﴿ الاستفهام للتعجب

والتعجيب من حال المكذب بالدين، وهو الجزاء، وهذا كقولك: أرأيت فلانًا ماذا ارتكب، والأكثر أن تستعمل هذه الصيغة (أرأيت) في حالة عجيبة.

والرؤية بمعنى المعرفة؛ أي: هل عرفت هذا الذي يكذب بالدين، والخطاب للنبي على أو لكل عاقل يصلح للخطاب.

ولما حصل التشوف إلى معرفته بيَّنه بقوله: ﴿فَذَالِكَ ٱلَّذِى يَدُعُ اللَّهِ مِن أَخْصُ صِفَاته أَنه يدفع اليتيم عن حقه المينيم؛ أي: فهو الذي مِن أخصِّ صِفَاته أنه يدفع اليتيم عن حقه بعنف ويظلمه، واليتيم: مَن مات أبوه ولم يبلغ.

﴿ وَلَا يَعُضُّ عَلَى طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿ أَي: ولا يحثُ غيره على إطعام المسكين، وإذا كان لا يحث غيره، فمن باب أولى أنه لا يفعل ذلك لشدة بخله وقسوة قلبه، وفي الآية الحث على الرحمة والتواصي بها، وأن ذلك من صفات المؤمنين، كما صرح به قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصُواْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصُواْ بِالْمَرْحَمَةِ ﴿ أَوْلَيْكَ أَصَّنَهُ الْمَيْمَةِ ﴾ ومن الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين (١٠).

قال عطاء بن دينار: «الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلاَتِهِمْ ﴾ ولم

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)؛ من حديث معاذ بن جبل ظُفَّتِه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

يقل: في صلاتهم»، وذلك لأن السهو في الصلاة لا يكاد يخلو عنه مسلم، فليس هو أمرًا اختياريًا، خلافًا للسهو عن الصلاة؛ فإنه أمر متعمد، نسأل الله السلامة.

﴿ اللَّهِ اللَّهِ عَمْ يُرَاءُونَ ﴿ النَّاسِ بصلاتهم وسائر أعمالهم، فيُظهرون أنهم من أهل الصلاح والتقوى، وهم بضد ذلك، فليس همُّهم رضا الله عَلَى وهذه صفة المنافقين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخْلِيعُونَ ٱللَّهَ وَهُو خَلِيعُهُم وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُوا كُسَالَى يُرّاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذَكّرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ النَّاسَ وَلَا يَذَكّرُونَ ٱللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ النَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

ووَيَعْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿ إِنَ الله الله الله الله الله الأشياء مما يتعاوره الناس فيما بينهم؛ كالكأس والإبرة ونحوهما، ومن باب أولى أنهم يمنعون الزكاة، فهم موصوفون بأشد البخل.

وفي الإخبار عنهم بصيغة المضارع (يكذب، ويدعُ، ويراؤون، ويمنعون) إشارة إلى تجدد ذلك منهم واستمرارهم عليه.

## ه الفوائد والأحكام:

١ ـ تقبيح حال الكافر المكذب بالجزاء، والتعجب والتعجيب من
 قبح ما صنع.

٢ ـ ذم هذا المكذب بالقسوة والظلم للضعيف، وبإعراضه عن الدعوة إلى الإحسان.

٣ \_ أن التكذيب بالبعث والجزاء ينشأ عنه فساد العمل؛ لأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخاف عقابًا.

٤ \_ إثبات الجزاء على الأعمال.

٥ - أن الإيمان بالله واليوم الآخر يبعث على صلاح العمل والرحمة والإحسان رجاء ثواب الله، وترك الظلم خوفًا من عقاب الله.

- ٦ ـ التحذير من ظلم اليتيم والضعيف.
- ٧ أن اليتيم أحق بالرحمة من سائر المساكين.
- ٨ ـ الإرشاد إلى الحض على الإحسان وإطعام المساكين.
  - ٩ ـ أن للمسكين حقًا في مال الغني.
  - ١٠ ـ أن الطعام أهم ضروريات الإنسان.
  - ١١ ـ تهديد المصلين الساهين عن صلاتهم.
- ١٢ ـ ذمهم بالرياء وبمنع الإحسان الذي لا يضرهم ولا ينقصهم.
- ١٣ ـ أن هذه الآيات مدنية؛ لأن ما ذكر من الصفات هي صفات المنافقين، وذكرُ المنافقين وصفاتهم من خصائص السور المدنية.
- ١٤ ـ أن من صفات المنافقين السهو عن الصلاة، وهو الغفلة عنها الناشئة عن عدم الاهتمام.
  - ١٥ ـ الفرق بين السهو عن الصلاة والسهو في الصلاة.
    - ١٦ \_ عظم شأن الصلاة عند الله.
    - ١٧ \_ أن من صفات المنافقين الرياء.
- ١٨ ـ أن من صفات المنافقين البخل ولو بالشيء اليسير من النفع؛
   كعارية الدلو والماعون والفأس، ففيه شاهد لقوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧].
  - ١٩ ــ أن هذه الصفات جمعت التفريط في حق الله وحق عباده.
- ٢٠ ـ أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لأن الله ذم الكافر على ظلم اليتيم، وعلى ترك الحض على إطعام المسكين، وأخبر تعالى عن المجرمين إذا سئلوا عن سبب عذابهم أنهم يقولون: ﴿ وَالْوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ وَالْمِدُرِينَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر].



سورة الكوثر مدنية، وهي ثلاث آيات، وقد تضمنت كلُّ آيةٍ معنَّى مستقلًا عن معنى الآية الأخرى، مع التناسب بينها لفظًا ومعنى؛ فتضمنت الآية الأولى الامتنان من الله على عبده ورسوله محمد ﷺ بأن أعطاه الكوثر، وتضمنت الآية الثانية أمر الله نبيه بالصلاة له والنحر له، وتضمنت الآية الثالثة تهديدًا من الله لشانئ الرسول ﷺ بقطع دابره، وفي كل ذلك تكريم وتشريف من الله لنبيه عليه الصلاة والسلام.

#### الآيات:

 ◄ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ ٱلْكُوْثَرَ شَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ شَ إِنَّ شَانِعَكَ مُوَ ٱلْأَبْتُرُ ۗ ﴿ الْكُوثُرِ].

#### 🕸 التفسير:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ ٱلْكُونُرَ ١ الخطاب خاص بالنبي ﷺ، و(الكوثر) في اللغة الخير الكثير، على وزن (فَوْعل)، فهي صيغة مبالغة، تدل على أنه خيرٌ بالغٌ النهاية في الكثرة، والآية بشارةٌ وامتنانٌ مِن الله على نبيه محمد ﷺ؛ أي: إنا وهبنا لك ـ أيها الرسول ـ من النعم والأفضال في الدنيا والآخرة شيئًا عظيمًا؛ من النبوة، والقرآن، والإسراء، وسائر المعجزات، ورفعة الذكر، وبقاء اسمك على كل لسان مقرونًا باسم الله في الذكر وغيره، وكثرة أتباعك، وسلامتك مِن أعدائك، وظهورك عليهم، وكثرة الفتوحات، والمقام المحمود في الآخرة، وهو الشفاعة العظمى، وكذلك النهر في الجنة، والحوض الذي في عرصات القيامة، وأنك أول مَن تُفتح له الجنة، وصاحبُ الوسيلة، وهي الدرجة العالية في الجنة، التي لا تكون إلا لك، إلى غير ذلك من الأعطيات الربانية الكريمة، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ فَضَلُ اللّهِ عَلِيَكَ عَظِيمًا اللهِ وقال تعالى: ﴿وَلَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى اللهِ فَا للهِ عَلَيك الله عليه النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَى اللهِ اللهِ الله عليه الله عليه الله عليه النساء]؛ أي: عطاء لا حدود له.

وتصدير السورة بهذه الآية من حسن الافتتاح، مع ما اشتملت عليه الآية من أنواع التأكيد؛ لأنها تضمنت بشارة ووعدًا ورضًا مِن الله عن نبيّه على فمن ذلك مجيء ﴿إِنّا ﴾، وضمير العظمة الذي تكرر مرتين، وصيغة المبالغة ﴿أَلْكُوْثُرَ شَا﴾، ومجيء الفعل ماضيًا ﴿أَعْطَيْنَكَ ﴾ لتحقق الوقوع.

وقد ورد عن النبي على تفسير الكوثر بالنهر في حديث أنس هله الله وقد ورد عن النبي على تفسير الكوثر بالنهر في حديث أنس هله في "صحيح مسلم"، ولفظه: قال: بينا رسول الله وقلنا: ما أضحكك يا أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آنفًا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم فإنّا أعطيننك الكوثر؟ فصل لربك وانحر في إن شانئك مُو الأبتر في ان شانئك مُو الأبتر في في الله ورسوله أعلم، قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربى في مله خير كثير» الحديث (١).

<sup>(</sup>١) مسلم (١٠٤).

وتفسير النبي على للكوثر بأنه النهر من تفسير اللفظ ببعض ما يدل عليه؛ وهو من التفسير بالمثال، فإن الكوثر يعم النهر وغيره، فإنه ثبت في الآثار عن طائفة من مفسري السلف؛ كابن عباس، وسعيد بن جبير، وغيرهما، تفسير الكوثر بالخير الكثير، ساق هذه الآثار ابن جرير وابن كثير.

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِكَ وَٱلْحَرُ ﴿ الله الله الله على الصلاة عماد فرضِها ونفلِها شكرًا لله على ما وهبك من صنوف النّعم، والصلاة عماد الدين، وهبي أجل الأعمال، وأحبها إلى الله على ﴿ وَٱلْحَرْ ﴿ الله النسائك مِن البُدن وغيرها لله تعالى، وقوله: ﴿ وَصَلِّ ﴾ الفاء للسببية ؛ لأن الإنعام الكثير سبب لمداومة الشكر، كأنه قال: إنا أعطيناك الكوثر فدم على الشكر، وقوله: ﴿ وَصَلَّ لِرَبِكَ ﴾ ؛ أي: اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر لوجهه تعالى، وباسمه سبحانه، فهو أمر بالتوحيد والإخلاص، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَعَيْكَي وَمَمَاقِ بِلَهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَعَيْكَي وَمَمَاقِ بِلَهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَعَيْكَي وَمَمَاقِ بِلَهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَعَيْكَي وَمَمَاقِ بِلَهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَعَيْكَي وَمَمَاقِ بِلَهِ رَبِ ٱلْعَلَمِينَ اللهِ كَالَهِ السبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِي وَهَيْكَي وَمَمَاقِ اللهِ وَبِ الْعَلَمِينَ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ الله وَلَهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ مِن الشنآن؛ أي: مبغضك من قومك وغيرهم ﴿هُوَ ٱلْأَبْدُ ﴿ ﴾ لا محالة؛ أي: المنقطع عن النَّسل وعن الذِّكر الحسن وعن كل خير، ويكفيه خزيًا خلودُه في النار، أمَّا أنت أيها الرسول فذكرك باقي إلى آخر الدهر، واسمك مرفوعٌ على المنابر

والمناثر، جارٍ على كل لسان، وأتباعك الذين يؤمنون بك ويحبونك ويعظمونك ويذكرونك هم أكثر الأمم.

ويذكر المفسرون أسماء جماعة من المشركين كانوا ينالون من النبي على ويصفونه بالأبتر، فنزلت الآية ردًا عليهم، والآية لم تذكرهم بأسمائهم بل بأوصافهم فتعم جميع من ذُكروا وغيرَهم ممن أتى ومن لم يأت ممن اتصف بالشنآن؛ لأن اسم الفاعل (شَانِئ) يفيد الاستمرار، فيشمل الماضي والمستقبل.

وفي الآية معجزة قرآنية ظاهرة، وتأمل كيف أكد الجملة بمؤكدات عدة: أولها: (إنَّ)، الثاني: بضمير الفصل الدال على قوة الإسناد والاختصاص، الثالث: مجيء الخبر على أفعل التفضيل دون اسم المفعول، الرابع: تعريف الأبتر بـ (أل)، ليدل على كمال القطع والبتر لهذا العدو الشانئ لخير الخليقة وأحبهم لربه على .

وهذه السورة - على وجازتها وكونها أقلَّ سور القرآن كلمات - تضمنت معانيَ عظيمة؛ مِن بشارة، ودعوةٍ إلى التوحيد، وإخبار بالغيب، وحماية للجناب النبوي، فأولها بُشرى مِن العزيز الحميد، وأوسطها عبادةٌ وتوحيد، وآخرها نصرٌ للنبي وتهديد للشَّانئ العنيد، ففيها البرهان على أن هذا الكتاب العزيز في أعلى طبقات البلاغة والبيان، فسبحان من أنزله! وبحلية الإيجاز والإعجاز زيَّنه وكمَّله!

## 🏶 الفوائد والأحكام:

١ - ذِكْر الله نفسه بصيغة الجمع الدالة على العظمة وعلى كثرة
 الأسماء والأوصاف والجنود، مع كمال الطاعة والعبودية.

٢ ـ عظم شأن هذه العطية؛ فإن الكوثر هو الخير الكثير، وهو شاملٌ لكل ما أعطاه الله في الدنيا، وما يعطيه في الآخرة، ومنه نهر الكوثر.

٣ ـ إنعام الله على نبيه بأن أعطاه الكوثر على التفسيرين في المراد بالكوثر.

٤ ــ اختصاص النبي ﷺ بالكوثر تشريفًا وتكريمًا، ولأمته ورد على حوضه وشربٌ منه، وماء الحوض مِن الكوثر، وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ في وصفه، وذكرِ وُرَّاده مِن أُمَّته.

٥ ـ أمر الله نبيه على بشكر هذه النعمة؛ بالصلاة له والنحر له، فهما سبب لما أعطاه، وسبب للمزيد من الإنعام.

٦ ـ وجوب الإخلاص لله في الصلاة والنحر وغيرهما من العبادات.

٧ - التناسب بين عبادتي الصلاة والنحر، ولهذا قرن الله بينهما في آيتين من القرآن: في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشُكِى وَعُيْاى وَمَمَاقِ لِلَهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴿ الْاَنعام]. فالصلاة أجلُ العبادات البدنية والقلبية، والنَّحر أجلُ العبادات المالية والقلبية؛ فإنهما تتضمنان التواضع لله والبذل والسخاء وتعظيم الله بتحقيق التوحيد، والإقبال عليه، والإعراض عمَّا سواه، وعدم الالتفات إلى زهرة الدنيا التي مُتِّع بها أصناف من الناس.

٨ ـ أن من جزاء النبي ﷺ على شكر ربه وقيامِه بما أوجب الله عليه = أنْ جعل كلَّ مُبغِضِ للنبي ﷺ هو الأبتر؛ أي: الخاسر ومقطوع الدابر مِن جميع الوجوه، في الدنيا والآخرة. ولكلِّ مَن أبغض شيئًا مما جاء به النبي ﷺ نصيبٌ من هذا الوعيد.

9 \_ وجوب محبة النبي على فوق محبة النفس والأهل والولد، كما جاء في الحديث الصحيح، ويتبع ذلك محبة ما جاء به عليه الصلاة والسلام.

الأكبر؛ لأن البغض عملٌ قلبي، وهو نقيض حب الله ورسوله على النفاق

ال من فرَّغ نفسه لله ولعبادته كفاه الله ما يخشاه، ويشهد له قبوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ عَرْبُكا ﴿ وَيَرْزُقَهُ مِنْ حَبْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَك مَنْ عُلُو مَا لَلَه عَرْبُكا ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَ الطلاق]، وقوله: ﴿ وَلَا عَلَى اللّهِ فَهُو حَسْبُهُ وَ الطلاق]، وقوله: ﴿ وَلَا عَلَى اللّهِ فَهُو حَسْبُهُ وَ الطلاق].





سورة الكافرين المشركين، ومن معبوداتهم، وإعلانَ التميَّز عنهم بعبادة الله دين الكافرين المشركين، ومن معبوداتهم، وإعلانَ التميَّز عنهم بعبادة الله وحده، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا الله كُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴿ الله عمران]. وهذه السورة شقيقة ﴿ قُلُ هُو اللهُ أَحَدُ ﴿ الله الله الله بصفات الله بعلاص، لما تضمنتاه مِن تقرير التوحيد، والثناء على الله بصفات الكمال، وكان النبي الله يقرأ بهما في سُنَّة الفجر (۱)، وفي سُنَّة المغجر (۱)، وفي سُنَّة المغجر (۱)، وفي سُنَّة المغرب (۲)، وفي ركعتي الطواف (۳).

#### 🛞 الآيات:

﴿ وَلَا يَكَأَيُّهَا الْكَنْفِرُونَ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَنبِدُونَ مَآ
 أَعْبُدُ ﴿ وَلِى إِنَّا عَابِدٌ مَّا عَبَدَتُمْ ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَنبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿ لَكُونَ لَمَّا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون].

#### 🕸 التفسير:

روى ابن جرير والواحديُّ وغيرهما أن رهطًا من المشركين عرضوا على النبي ﷺ أشياء، فممَّا عرضوا عليه أن قالوا: تعبُد آلهتنا سنة:

<sup>(</sup>١) ينظر: مسلم (٧٢٦)؛ عن أبي هريرة فظه.

<sup>(</sup>٢) ينظر: الترمذي (٤٣١)، وابن ماجه (١١٦٦)، عن ابن مسعود ﷺ.

<sup>(</sup>٣) ينظر: مسلم (١٢١٨)؛ عن جابر ﷺ.

اللات والعُزَّى، ونعبد إلْهك سَنَة، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا اللهِ وَاللهِ السورة.

فالمراد بالكافرين \_ إذن \_ قومٌ مخصوصون، بقرينة سبب النزول، واختار ذلك ابن جرير وغيره، قالوا: يؤيده نظمُ السورة؛ لأن قوله تعالى: ﴿لاّ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ لَا يجوز أن يكون خطابًا مع كل الكفرة؛ لأن فيهم من يعبد الله تعالى، كاليهود والنصارى، فلا يجوز أن يقال لهم: لا أعبد ما تعبدون، ولا يجوز أن يكون قوله: ﴿وَلا أَنْتُ اللهُ عَلَيْدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿ وَلا يَعْبِدُونَ مَا الكفار مَن آمن بعد ذلك، وصار يعبد الله تعالى.

وذهب آخرون إلى أن الخطاب في السورة لكل كافر، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية تَغَلِّلهُ، وقال: «الخطاب للمشركين كلِّهم، مَن مضى ومَن يأتي إلى يوم القيامة»(١)، وقال أيضًا: «وكان يُقرأ بالسورة في المدينة بعد موت أولئك المعينين، وكان [النبي ﷺ] يأمر بقراءتها، ويقول: «هِي براءةٌ مِن الشِّرك»(١)، فلو كانت خطابًا لأولئك المعينين، أو لمن عَلم [الله] منهم أنه يموت كافرًا، لم يخاطَبُ بها مَن لم يَعلم ذلك منه»(١).

<sup>(</sup>۱) مجموع الفتاوي (۱٦/٥٤٥).

<sup>(</sup>۲) أخرجه الترمذي (۳٤٠٣)؛ من حديث فروة بن نوفل على أنه أتى رسول الله على فقال: يا رسول الله، عَلَّمني شيئًا أقولُه إذا أَوَيتُ إلى فِراشي؟ فقال له: "اقرأ: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهُا ٱلْكَنِرُونَ ﴾ ثم نَمْ، فإنها بَراءة من الشرك، وأخرجه أبو داود (٥٠٥٥) عن فروة عن أبيه، قال الترمذي: "وهو أصح". وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار (ص: ٢٦٥)، وعبارته: "حديث حسن، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وفي سنده اختلاف كثير على أبي إسحاق السبيعي، فلذا اقتصرت على تحسينه.

<sup>(</sup>۳) مجموع الفتاوي (۱٦/ ٥٣٩).

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا ٱلْكَ فِرُونَ ﴿ هُو الله المحذبونِ المحذون؛ أي: المحذبون الجاحدون؛ أي: قل \_ يا أيها الرسول \_ للكافرين بالله وبرسوله هذا القول العظيم الفصل.

وفي ندائهم بهذا الوصف تحقيرٌ لهم وتوبيخ؛ لأنهم كانوا يسترذلون هذا الوصف، ومع ذلك فقد حفظ الله نبيه ﷺ من كيدهم، وذلك من أعلام النبوة.

ولا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ إِي: لا أعبد في المستقبل، فإن (لا) تُخْلِص المضارع للمستقبل، ونفي عبادة آلهتهم في المستقبل يفيد نفي عبادتها في الحال بدلالة فحوى الخطاب، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ إِي اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

وَوَلاَ أَنتُمْ عَنبِدُونَ مَا أَعَبُدُ ﴿ إِن اللهِ اللهِ أَن وَلا أَن مَا عَابِدُونَ في الماضي والحاضر والمستقبل الإله الحقّ الذي أعبده، فإنّ ولا وكا دخلت على جملة اسمية فأفادت ثبوتَ النفيّ وشمولَه لجميع الأوقات.

ويصح أن يعبر عن الله بـ (ما)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنْهَا ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا يَعِبُرُ عَنْهُ سَبِحَانُهُ بِـ (مَن).

قوله: ﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدَتُمْ ﴿ إِنَهُ اللهِ وَلَسَتُ فِي جميعِ الأُوقات بِعَابِدٍ معبودَكم.

وَوَلا أَنتُم عَلِدُونَ مَا أَعَبُدُ ﴿ هَا هَذه الآية تأكيد لنظيرتها السابقة، والتأكيد بتكرار الكلمة معروف في أساليبهم، وهو في القرآن كثير، قال تعالى: وَكَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ ثُمَّ كُلًّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ فَهُ السَالِيهِ وَالسَالِيهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّا اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له؛ من حديث المسور بن مخرمة والله

التأكيد هنا الدلالة على إصرارهم على الشرك، واستمرارهم عليه، وتحقيقُ الخبر بموتهم على الكفر، وأنهم لا يسلمون أبدا، وهذا على قول مَن قال إنَّ الخطاب في الآية لقوم مخصوصين من الكفار.

وفي قوله: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞﴾ ﴿وَلا آنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدَّتُمْ ۞﴾ دلالة على رسوخهم في عبادة الأصنام، كما أنه يدل على تنزهه ﷺ عن عبادتها، فإنه أضاف عبادتها إليهم فقال: ﴿مَا عَبَدَتُمْ ۞﴾.

ويصح أن تكون ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿ وَقُولُه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿ وَقُولُه: ﴿مَا عَبَدَتُمْ ﴿ وَ وَكُونَ الْمُعنَى: وَلا عَبَدُ مِنْ اللَّهِ مُعالِمُ وَيَكُونَ الْمُعنَى: وَلا أَنَا عَابِدٌ عَبَادَتِي الْحَقَّ؛ أي: فلا معبودنا واحد، ولا عبادتنا واحدة، فلا تكرار حينئذ.

وقوله تعالى: ﴿لَكُرُ دِينَكُرُ ﴾ الذي هو الشرك، ولا أوافقكم عليه ﴿وَلِيَ دِينِ شَ﴾ وهو الإسلام، فلا أحيد عنه، وأصلها: ديني، حذفت الياء تخفيفًا مِن أجل الفاصلة.

## ﴿ الفوائد والأحكام:

١ \_ عموم رسالة محمد ﷺ؛ لأنه أمر بخطاب جميع الكافرين.

٢ ـ التباين بين دين الرسول ﷺ ودين الكافرين.

٣ ـ أن دين الرسول ﷺ ـ وهو دين الرسل كُلِّهم ـ يقوم على عبادة الله وحده لا شريك له.

٤ ـ أن دين المشركين يقوم على عبادة غير الله.

٥ ـ براءة الرسول على معبودات المشركين، ومن عبادتها:

\* ١ - أن هذه البراءة عامة من جميع المشركين، ومطلقة في كل

\* ٢ ـ براءة المشركين من الله ومن عبادته؛ ﴿أَنتُم بَرِيَّعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنتُه بَرِيَّعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنا بَرِينَ \* مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ إِيونِسِ].

\* ٣ \_ بطلان ما يدعيه المشركون ويظهرونه من عبادة الله، فليسوا عابدين لله، وإن زعموا ذلك.

\* ٤ \_ التباين بين دين الموحد ودين المشرك في المعبود والعبادة.

استثارة الكفار بالبراءة منهم ومعاداتِهم والصبرِ على أذاهم، واستثارتُهم للتفكير في حالهم، وبعثُ هممهم لقبول ما دُعوا إليه. ففي السورة:

٦ ـ دعوة الكفار إلى الإيمان بالرسول على، والاستجابة لما دُعوا إليه من التوحيد، وترك الشرك الموجب للبراءة منهم وعداوتِهم وبغضِهم.
 ٧ ـ فضل هذه السورة لما اشتملت عليه من أصل الدين، وهو توحيد العبادة.

٨ ـ أن ما عليه الكفار من اعتقادات وأعمال تعبدية يسمى دينًا، وشواهد هذا كثيرة؛ ﴿ أَلَغَنَدُ دِينِ ٱللّهِ يَبْغُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٣]، ﴿ وَمَن يَبْغُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]،
 يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٩ \_ الإجمال بعد التفصيل في هذه البراءة.

وبعد ما تيسر من هذه الفوائد، نذكر لك فوائد سبق تحريرها، وهي مختصة بفوائد تصدير بعض السور وكثير من الآيات بوقل، وأصلها منتقى من كلام الفخر الرازي في تفسيره لهذه السورة مع التلخيص والتحرير، وإليك هذه الفوائد:

١٠ \_ أن الله يتكلم.

١١ ـ أن الله يأمر.

١٢ ـ أن الرسول ﷺ مأمور .

١٣ \_ أن هذا القرآن كلام الله.

١٤ ـ أن الرسول مبلّغ؛ وفي ذلك إعلام المخاطبين بأنه لم يأت بهذا
 الكلام ابتداءً من عنده، بل هو مبلغ لكلام مرسِله، وهم مقرّون بربوبيته.

١٥ \_ وجوب التبليغ.

١٦ \_ أهمية مضمون الجملة.

١٧ \_ التنبيه لما سيأتي بعد.

١٨ \_ تشريف المأمور بتوجيه الخطاب له.

١٩ ـ الرد على الجبرية، فإن العبد لو كان مجبرًا لما توجه إليه الأمر.

٢٠ ـ تثنية هذا الأمر في القرآن فيه تأكيد أن من جاء به رسول،
 وأن كل ما يتلوه هو كلام مرسِله.

٢١ \_ تلقين الرسول ﷺ الرد على المشركين في قولهم: نعبد إلهك سُنَّة، وتعبد إلهنا سُنَّة.

۲۲ \_ الدلالة على إعراض الله عنهم وترك خطابهم، وإحالة ذلك
 إلى الرسول ﷺ، وإن كان ذلك غير مطرد.

٢٣ \_ أن ما بعد ﴿قُلَّ ﴾ قد لا يناسب أن يتكلم الله به ابتداءً ، كما في هذه السورة .

٢٤ \_ تكليفه ﷺ بمواجهة المكذبين له من قومه وغيرهم بنعتهم
 بالكفر بشركهم وتكذيبهم، وهذه المواجهة من الصدع بما أمر به ﷺ.

على مراجعة أمرهم.

٢٦ ـ تكليفه عَلِيْ البراءة من المشركين؛ من عباداتهم ومعبوداتهم. ٢٧ ـ أن ما أُمر به من القول كبيرٌ على الكافرين المشركين، وقرة عين المؤمنين الموحدين؛ ﴿ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْتُ اللَّهُ يَجْتَبِى عَين المؤمنين الموحدين؛ ﴿ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْتُ اللَّهُ يَجْتَبِى

عين المؤمنين الموحدين؛ ﴿ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نُدَّعُوهُمْ إِلَيْهِ أَللَهُ يَجْتَمِ اللَّهِ اللَّهُ يَجْتَمِ اللَّهِ اللَّهُ يَجْتَمِ اللَّهِ اللهُ اللهُ يَجْتَمِ اللهُ اللهُ

٢٨ ـ أن البراءة في هذه السورة تتضمن تنزيه الله عن الشركاء، وتسفيه المشركين، وتدل على حكمة الرسول و ورجاحة عقله بهداية ربه؛ فتسوية المخلوق بالخالق فيما هو من حقه تعالى غاية السفه.

٢٩ ـ أمْرُ الله نبيَّه برفض ما طلبه المشركون مِن الصلح مع النبي ﷺ بأن يعبدوا إلهه سنة، ويعبدوا آلهتهم سنة، وبأن يعلن أن ذلك ممتنع؛ لأن الإله واحد، فلا يجوز الصلح على أنه متعدد.





هذه السورة مدنية بالاتفاق، وإن قيل: إنها نزلت بمكة؛ فإن المدني \_ على الصحيح \_ ما نزل بعد الهجرة، ولو كان نزوله بمكة.

وهي ثلاث آيات، تضمنت الآيتان الأُوليان البشارة بالنصر والفتح، وتضمنت الآية الثالثة الأمر بالتسبيح والاستغفار، وثناءه تعالى على نفسه بأنه تواب.

## الآيات:

## 🛞 تفسير الآيات:

الخطاب في هذه السورة للنبي ﷺ، فقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللّهِ وَٱلْفَتْحُ ۚ إِذَا جَاءَ نَصْرِ الله لك وللمؤمنين؛ أي: إعانته لكم، وألفَتْحُ إلى الكافرين من قريش وغيرهم، و﴿نَصْرُ ٱللّهِ مصدر مضاف إلى فاعله، والتعبير بـ ﴿إِذَا ﴿ (الذي هو ظرف لما يُستقبل من الزمان) يفيد تحقق هذا المجيء.

والنصر معلوم أنه لا يكون إلا من الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصِّرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وأضافه إلى نفسه المقدسة

للدلالة على أنه نصرٌ عظيم يهزم به العدو أشنع هزيمة، ولذا وصفه بالعزة في قوله تعالى: ﴿وَرَبْصُرَكَ ٱللَّهُ نَصَّرًا عَزِيزًا ﴿ اللهَ اللهِ اللهُ عَالِي اللهُ عَزِيزًا ﴿ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَزِيزًا ﴿ اللهُ اللهُ

وَالْفَتْحُ شَهُ [النصر]؛ أي: فتح مكة، الذي وقع في رمضان من السنة الثامنة، إذْ دخل النبي على مكة في عشرة آلاف مقاتل فاتحًا خاشعًا شاكرًا، يقرأ سورة الفتح ويُرجِّع في قراءتها، وهو على راحلته (۱) فأظهره الله على قريش، وحكَّمه فيهم، وهم لا يشكون في استئصاله شأفتهم وإبادة خضرائهم؛ إذْ لقي منهم ما لقي من الشدائد، ولكنه عليه الصلاة والسلام بعد النصر والفتح المبين قال لهم وهو على باب الكعبة، وهم بين يديه ينتظرون حكمه فيهم: «ماذا ترون أني صانع بكم؟» فقالوا: وهم بين يديه ينتظرون حكمه فيهم: «ماذا ترون أني صانع بكم؟» فقالوا: أخ كريم، وابنُ أخ كريم، فما زاد على أن عفا عنهم وصفح، وقال: «أقول لكم كَمَا قَالَ أخِي يوسف: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيُومِ المِسف: ١٩٢]، اذهبوا؛ فأنتم الطلقاء (۱).

فهذا الفتح هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به المؤمنين، وأذل به الكافرين، وطهّر الله به بيته من الرجس والأصنام، ولهذا سماه الله فتحًا مبينًا في قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحَا لَكَ فَتَعًا شَيِينًا ﴿ [الفتح]، وهذه السورة (سورة النصر) نزلت قبل فتح مكة على الصحيح، ولقد وقع ذلك كله كما أخبر الله به، فكان ذلك مصداقًا لنبوة محمد على ومعجزة من معجزات القرآن. وعطف الفتح على النصر من عطف المسبّب على السبب؛ لأن النصر سبب للفتح.

قوله: ﴿ وَرَأَيْتَ ﴾ أيها الرسول، والرؤية قلبية بمعنى علمت،

<sup>(</sup>١) ينظر: البخاري (٧٥٤٠)، عن عبد الله بن مغفل ظليه.

<sup>(</sup>٢) ينظر: المعجم الكبير للطبراني (١٠٥٢)، سيرة ابن هشام (٧٨/٤)، الأموال لأبي عبيد (ص: ١٤٣).

ويحتمل أنها بصرية ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإسلَامُ الله الله الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللّهِ ٱلإسلَامُ وَاللّهُ وَالْلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَا الللّهُ وَاللّهُ وَال

ثم إن القبائل بعد فتح مكة جعلت تتوافد نحو المدينة داخلة في الإسلام زُمَرًا زُمَرًا، من عرب الحجاز ونجد واليمن وشرقي جزيرة العرب، حتى سمي ذلك العام ـ وهو التاسع من الهجرة ـ عام الوفود، وكانوا قبل ذلك يسلمون أفرادًا؛ واحدًا بعد واحد، روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلِمة وَ الله قال: كانت العرب تَلوَّمُ (أي: تنتظر) بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إنْ ظهر عليهم فهو نبيً صادق، فلما كانت وقعة الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم (٢).

وقوله: ﴿ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ آللَهِ أَفْوَاجًا ﴿ ﴾؛ جملة: ﴿ يَدْخُلُونَ ﴾ حالية ؛ إن كانت (رأى) علمية ، إن كانت (رأى) علمية ، و ﴿ أَفُواَجًا ﴿ إِنْ كَانْتَ (رأى) علمية ، و ﴿ أَفُواَجًا ﴿ إِنْ كَانْتَ (رأى علمية ، و ﴿ أَفُواَجًا ﴿ إِنْ كَانْتَ (رأى علمية ، و ﴿ أَفُواَجًا ﴿ إِنْ كَانْتَ (رأى ) علمية ،

قوله تعالى: ﴿ فَسَيِّعْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ الفاء رابطة؛ لأنها واقعة في جوابِ (إذا) المتضمنة معنى الشرط، والمعنى: نزّه ربك بقلبك ولسانك؛ أي: قل: سبحان الله والحمد لله، ونزّهه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله من النقائص، ومنها العجز، فإنه تعالى هو الذي نصرك على أعدائك، وهو على كل شيء قدير.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)؛ من حديث أبي هريرة الله

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٢).

والباء في ﴿ عِمَدِ رَبِّكَ ﴾ للمصاحبة، متعلقة بحال محذوفة؛ أي: سبِّحه حالَ حمدك له؛ أي: بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال؛ لأن لفظة: ﴿ عِمَدِ ﴾ أضيفت إلى معرفة ﴿ رَبِّكَ ﴾؛ فتعم جميع المحامد من كل وصفِ كمالٍ وجلالٍ ثابتٍ لله.

ومن رحمته - سبحانه - أن علَّمنا صيغ الحمد، ولم يترك لنا إنشاءها، إذنْ لفات على غير الفصحاء أن يحمدوا الله كما يكون الحمد، ولكن جاءت النصوص في الكتاب والسنة، وفيها صيغ كثيرة للحمد، فالحمد لله على ما هدى وعلَّم.

وفي ذكر اسم الرب ﴿رَبِّكَ ﴾ إشارة إلى أن ما حصل من النعمة بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا هو من آثار ربوبيته تعالى الخاصة بالنبي ﷺ، وأن ذلك كلَّه من آثار ما أنعم به عليه من النبوة والرسالة عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿ وَالسّتَغْفِرُهُ ﴾ أي: اسأله المغفرة ؛ فإنها نهاية الخير ، ﴿ إِنَّهُ وَكَانَ تَوَّابُ ﴿ إِنَّهُ مِبالغة ، وكَانَ تَوَّابُ ﴿ إِنَّ الله على من تاب ، وتوَّاب صيغة مبالغة ، لكثرة من يتوب الله عليهم ، وكثرة توبته على العبد نفسه ، ومن كرمه تعالى أنه يوفق العبد للتوبة ، ثم يتقبلها منه ، فيكون العبد كمن لم يذنب ، كما قال على « كيوم ولدته أمه » في أحاديث (١) .

وهو تعالى لم يزل توابًا، لم يحدث له هذا الوصف بعد أن لم يكن، ف ﴿كَانَ ﴾ هنا بصيغة الماضي لا مفهوم لها، وإنما تدل على اتصاف اسمها بخبرها مطلقًا. وهكذا ما كان مثلها مما ورد في أسماء الله وصفاته، نحو: ﴿إِنَ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ النساء]،

<sup>(</sup>۱) منها حديث أبي هريرة على: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» البخاري (۱۷۲۳) ومسلم (۱۳۵۰).

# ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٠ [النساء]، فإنه سبحانه لم يزل كذلك.

وقد امتثل النبي على أمر ربه مُذ نزلت عليه السورة، قالت عائشة عليه: ﴿ إِذَا جَاءَ عَائشة عَلَيْهِ : ما صلى النبي على صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتَحُ ﴿ إِلَا يقول فيها: "سبحانك ربنا وبحمدك، اللَّهُمّ اغفر لي "(۱)، وفي لفظ قالت: يتأول القرآن (۲)؛ أي: يفعل ما أمر به.

وهذه السورة آخر ما نزل من سور القرآن، كما قال ابن عباس (٣)، وفيها الإشارة إلى دنو أجله عليه الصلاة والسلام، حيث أمر بالاستغفار، والاستغفار تختم به الأعمال الصالحة؛ كالصلاة وغيرها، وقد أتم الله نعمته على نبيه، ومكّنه من تبليغ رسالة ربه، وما مات عليه الصلاة والسلام وفي بلاد العرب كلّها موضع لم يدخله الإسلام.

فهو تعالى يقول لنبيه رَا إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فاعلم أنه دنا أجلُك؛ فأكثر من التسبيح والاستغفار، وإلا فمقتضى السياق في الظاهر أن يكون: فاشكر الله على ذلك. وفي الآيات تنبيه للعاقل إذا قرب أجله أن يكثر من الاستغفار والحمد.

قال ابن عباس على: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللّهِ وَٱلْفَتَحُ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللّهِ وَٱلْفَتَحُ الله عَلَيْ نَفْسُه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة(٤).

أخرجه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤).

<sup>(</sup>٣) ينظر: مسلم (٣٠٢٤).

<sup>(</sup>٤) رواه الطبراني في الكبير (١١٩٠٣)، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦/٩) وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحد أسانيد رجاله رجال الصحيح».

وفي البخاري عن ابن عباس الله قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصَّرُ اللهِ وَٱلْفَتَحُ اللهُ؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله على أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصَّرُ اللهِ وَٱلْفَتْحُ اللهِ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَيَّعُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ وَٱلْفَتْحُ اللهِ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَيَّعُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ وَٱلْفَتْحُ اللهِ وَالْفَتْحُ الله وذلك علامة أجلك ﴿فَسَيَّعْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ وَالْفَتْحُ الله وذلك علامة أجلك ﴿فَسَيَّعْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ وَالْفَتْحُ الله وَلَا الله على منها إلا ما تقول؟.

<sup>(</sup>۱) مسلم (٤٨٤). (٢) البخاري (٢٦٦١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٦٩١).

فعلم مما تقدم أنَّ قُرب أجل النبي ﷺ قد أُشير إليه في القرآن في هذه السورة، ودلت عليه السُّنَّة في حديث أبي سعيد هذا.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

٢ ـ البشارة بالنصر والفتح.

٣ \_ أن النصر من الله، ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

٤ ـ الفرق بين النصر والفتح؛ فالنصر بغلبة المؤمنين للكافرين،
 والفتح يكون بالفصل بين أوليائه وأعدائه في حكمه الكوني، والمراد به
 هنا: فتح مكة.

٥ ـ أن من آثار نصر الله للمؤمنين كثرة من يدخل في الإسلام. وقد وقع هذا في آخر حياة النبي ﷺ، فإنهم بعد ما كانوا يدخلون أفرادًا صاروا يدخلون أفواجًا؛ أي: جماعات كثيرة.

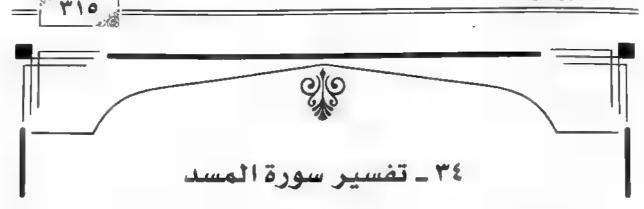
٦ - وجوب شكر النعمة، ومن أعظم ذلك: النصر والفتح. وقد شكر النبي ﷺ ربه كما أمره، فهو سيد الشاكرين، فصار يكثر من التسبيح والاستغفار.

٧ ـ أن الشكر يكون بمضاعفة العبودية لله، والاجتهاد في طاعته،
 ومن ذلك تمجيده بالتسبيح والتحميد، والخضوع له بالاستغفار.

٨ ـ مشروعية ختم الأعمال والأعمار بالذكر والاستغفار.

٩ ـ أن الأنبياء يجوز عليهم ما يقتضي الاستغفار.

١٠ - إثبات اسمه تعالى: التَّواب، وما دلَّ عليه مِن صفة التوبة وصفة الكثرة فيها.



سورة المسد مكية، وهي خمس آيات، وقد تضمنت الخبر عن شِقوة عدوِّ من أعداء الله ورسوله، وهو عبد العُزَّى بن عبد المطلب، عمَّ النبي ﷺ، ولقبه أبو لهب، والخبر عن شِقوة امرأته المؤذية للنبي ﷺ وقولها وفعلها، المنعوتة بقبيح فعلها ﴿حَمَّالَة ٱلْحَطَبِ ﴿ هَ وَقد علم بذلك مصيرهما: ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿ وَالْمَرَأْتُهُ وَبُسُ المصير.

## 🕸 الآيات:

﴿ وَتَبَّنَ يَدَا آبِي لَهَبٍ وَتَبَ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبَّلُ مِن مُسَيْمِ ۞ [المسد].

#### 🛞 التفسير:

هذه السورة لها سبب نزول، فقد روى الشيخان عن ابن عباس الله النبي على البيا عباس الله النبي على خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى: "يا صباحاه"، فاجتمعت إليه قريش فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مُصبِّحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونني؟"، قالوا: نعم، قال: "فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تَبًا لك! فأنزل الله عَلَى: ﴿تَبَتُ يَدَا آبِي لَهَبٍ وَتَبَ اللهِ اللهِ

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٩٧٢) وفي مواضع أخرى، واللفظ له، ومسلم (٢٠٨).

وكان أبو لهب شديد العداوة للنبي والله وكان يتبعه في المجامع ليكذبه أمام الناس، روى الإمام أحمد في مسنده عن ربيعة بن عباد الديلي والله الله وأيت النبي والله في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين (۱)، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله والله والله الله عله الهب (۲).

فقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبِ وَتَبَّ لَكِ؛ أَي: خَسِر وَهَلَك، فَ (التَّبُ) وَالتَّبَابِ والتَّتْبيب كلها بمعنى الخسران والهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِنْرَعُونَ إِلَا فِي تَبَابِ ﴿ إِلَا فِي تَبَابِ ﴾ [غافر]، وقال: ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرُ تَبْيبٍ ﴿ إِلَا فِي تَبَابٍ ﴿ إِلَا فِي تَبَابٍ ﴿ إِلَا فِي تَبَابٍ ﴾ [هود].

والفعل (تب) من باب ضرب. وتباب يديه كناية عن تبابه هو، وهو من التعبير بالبعض عن الكل؛ لأن اليدين أداة الفعل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدْمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج: ١٠]، وقال: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [السورى: ٣٠].

فالآية دعاءٌ على أبي لهب، فهي ردٌّ على الشقيٌ في مقابل دعائه على النبيِّ ﷺ، وقوله: ﴿وَتَبَ لَهِ ﴾؛ أي: وقد تبَّ وهلك، فهو إخبار بحصول هلاكه بعد الدعاء عليه، وجاء بصيغة الماضي، لأنه في حكم

<sup>(</sup>١) مثنى غديرة وتجمع على غدائر؛ وهي العقيصة أو الضفيرة من الشَّعر.

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٠٠٤)، والطبراني في الكبير (٤٥٨٢) والحاكم في المستدرك (١/ ١٥). قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢): «وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال»، وله شاهد من حديث طارق المحاربي والمنابد عبد الله الملقن في البدر المنير (١/ ٦٨٠).

المقطوع به، ولهذا مات الشَّقي على كفره، وهذه أعظم هَلَكة، حيث خسر الدنيا والآخرة.

وأبو لهب لقبه، وهو وإن كان كنية فلا تكريم فيه؛ لأنه أضيف إلى غير ذي العقول، واسمه عبد العُزَّى، والعُزَّى صنم فلا يناسب أن يذكر هذا الاسم في القرآن؛ لما فيه من التعبيد لغير الله، ثم إن في ذكره بهذا اللقب \_ أبي لهب \_ تعيينًا له، وموافقة لحاله؛ فإنه من أصحاب النار، وبئس القرار.

وما أغنى عنه ماله ولا كسب شه اي: لم ينفعه ماله ولا كسبه (وهُو: ولَدُه) في كيده للنبي شي ولا في دفع العذاب عنه، ف كسبه (وهُو: ولَدُه) في كيده للنبي شي ولا في استفهامية للإنكار؛ أي: بمعنى النفي، والمعنى: أي شيء أغناه ؟! لا المال ولا الولد، وهما في قوله: هوما كسب ش مصدرية؛ أي: وكسبه، أو اسم موصول بمعنى الذي. وتفسير الكسب بالولد يدل له حديث: "إن أطبب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم مِن كسبكم» (١).

وسَيَصْلَى نَارُا﴾؛ أي: سيدخل نارًا عظيمة ويحترق فيها، وذَاتَ لَمَبِ شَي صَاحبة اشتعال وتوقد، والسين حرف استقبال لتأكيد الوعيد.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُل

<sup>(</sup>۱) أخرجه أبو داود (۳۵۲۸)، والترمذي (۱۳۵۸)، والنسائي (٤٤٤٩)، وابن ماجه (۲۲۹۰)؛ من حديث عائشة ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن.

النبي عَلَيْ ولذا قال سبحانه: ﴿ حَمَّالُهُ ٱلْحَطَبِ ﴿ وَنُصِب ﴿ حَمَّالُهُ وَنُصِب ﴿ حَمَّالُهُ ﴾ ونُصب ﴿ حَمَّالُهُ ﴾ بفعل مقدر مفهوم من السياق يدل على الذم؛ أي: أعني الشقية حمالة الحطب، والنصب قراءة عاصم، وقرأ الجمهور بالرفع نعتًا لامرأته.

﴿ فِي جِيدِهَا ﴾؛ أي: عنقها، وهو خبر مقدم، ﴿ حَبُلُ ﴾ مبتدأ، ﴿ مِّن مُسَدِم ﴾؛ أي: من ليف مفتول فتلًا شديدًا، أو من حديد، تُجَر به في جهنم، وفي هذا إهانة لها، وتشهير بها عند أهل النار.

وهذه السورة من أكبر الأدلة على صحة الوحي وصدق الرسالة؛ فإنها نزلت في أبي لهب وامرأته وهما حيّان، فكانت إعلامًا بأنهما لا يسلمان، بل يموتان على الكفر، في حين أن كثيرين مِن المشركين آذوا النبي عَيْقُ ولم ينزل فيهم قرآن؛ لأن الله كتب في سابق علمه أنهم سيدخلون الإسلام، فما أعظم هذا الكتاب! وما أصدقه!

وذهب بعض المتكلمين إلى أن هذه السورة دليل على جواز التكليف بما لا يطاق؛ حيث يكون أبو لهب مكلفًا بالإيمان بأنه لا يؤمن، وليس ذلك بصحيح؛ فإن القول بأنه مكلفٌ بالإيمان بأنه لا يؤمن: ممنوعٌ، بل بإعلامه بأنه سيصلى نارًا ذات لهب رُفع عنه التكليف؛ لأنه صار إلى ما يشبه حال من عاين الموت، فلا ينفعه الإيمان حينئذ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَأُوجِى إِلَى نُوجٍ أَنَهُ لَن يُؤْمِن مِن قَرِّمِكَ إِلّاً مَن عَالَى : ﴿وَأُوجِى إِلَى نُوجٍ أَنَهُ لَن يُؤْمِن مِن قَرِّمِكَ إِلّاً مَن عَالَى الموت المودا.

## ه الفوائد والأحكام:

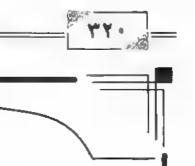
١ ـ الخبر من الله بأعظم خسرانٍ لأبي لهب، وهو التَّباب، والآية
 وإن كان لفظها دعاء فإنها متضمنة للخبر بخسرانه.

٢ \_ إسناد الوصف إلى اليدين؛ لأن الفعل بهما غالبًا.

- ٣ ـ أن أبا لهب ذو مال وولد، ولم يغنيا عنه شيئًا.
- ٤ ـ أن ولد الرجل من كسبه، ويؤيده ما جاء في الحديث.
  - ٥ \_ بيان خسرانه المبين بإصلائه النار ذاب اللهب.
    - ٦ ـ التناسب بين لقب هذا الشقي ومصيره.
    - ٧ ـ أن مصير امرأته مصيرُه، فبئس الزوجان!
- ٨ ـ تقبيحها بالنص على فعلها القبيح، وهو وضع الشوك في طريق النبي ﷺ، كما قاله ابن عباس وغيره.
- ٩ أن من شعب الكفر وضع الأذى في طريق المسلمين، ويفهم
   منه:
- ١٠ \_ أن من شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق، كما جاء في الحديث.
  - ١١ \_ صحة أنكحة الكفار، لقوله: ﴿وَٱمْرَأْتُهُ، ﴾.
- ۱۲ ـ أن النسب لا عبرة به مع الكفر، فلم ينفع أبا لهب شرف نسبه، وفي الحديث: «مَن بطَّأ به عملُه لم يسرع به نسبُه»(١).
- ١٣ ـ أن المعصية ممن له شرف أقبح، كما قال تعالى: ﴿ يَكْنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضْعَفّ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعَفَيْنِ وَكَاكَ النَّبِيّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضْعَفّ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعَفَيْنِ وَكَاكَ وَلَاكَ عَلَى ٱللّهِ يَسِيرًا ﴿ الْأَحزابِ].
- ۱٤ \_ جواز الأكل من مال الولد؛ لأنه الله سماه كسبًا، كما يدل له حديث: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم» (٢).

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)؛ من حديث أبي هريرة ١

<sup>(</sup>٢) تقدم تخريجه.



٣٥ ـ تفسير سورة قل هو أحد

ومما يدل على فضلها ما ثبت عن النبي و أنها تعدل ثلث القرآن (٢)، ومما قيل في معنى الحديث إنه لما كان القرآن ثلاثة أقسام: توحيد، وأحكام، وقصص؛ وهذه السورة أخلصت لصفات الله تعالى، وذلك هو التوحيد، فكانت لذلك تعدل ثلث القرآن، وسميت سورة الإخلاص.

وفي "صحيح البخاري" أنه عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلُ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ الْحَدُ اللَّهُ وَوَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [السلسة]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [السلسة]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣)؛ من حديث عائشة وللجنا.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٥٠١٣)؛ من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨١١ و٨١٢)؛ من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة، ﴿

[الناس]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات (١١).

وتقدم أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ بهذه السورة وبالكافرون في سُنَّة الفجر، وفي سُنَّة المغرب، وفي ركعتي الطواف<sup>(۲)</sup>، وكان يقرأ بها في الوتر<sup>(۳)</sup>.

#### الآيات:

وَلَمْ يَكُن لَدُ كُفُوا اللهُ أَحَدُ اللهُ الصَّحَدُ اللهِ وَلَمْ يُولَدُ اللهِ وَلَمْ يُولَدُ اللهِ وَلَمْ يُولَدُ اللهِ وَلَمْ يَولَدُ اللهِ وَلَمْ يَولَدُ اللهِ وَلَمْ يَكُن لَدُ كُفُوا أَحَدُ اللهِ وَالإخلاص].

#### التفسير:

جاء في سبب نزول السورة ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبيّ بن كعب في أن المشركين قالوا للنبي على: يا محمد؛ انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدُ اللهِ السورة (٤).

قوله تعالى: ﴿ قُلُ هُو اللهُ أَحَدُ ﴿ الخطاب للرسول عَلَى أُولًا ، ولكل مَن يصلح للخطاب، وابتداء الكلام بـ (قل) يدل على أهمية

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)؛ من حديث عائشة ريالياً.

<sup>(</sup>٢) تقدم تخريج ذلك في تفسير سورة الكافرون.

<sup>(</sup>٣) ينظر: ما أخرجه أبو داود (١٤٢٣)، والنسائي (١٦٩٩)، وابن ماجه (١١٧١)؛ من حديث أبي بن كعب ﷺ، وصححه ابن حبان (٢٤٣٦)، وابن القطان في «الوهم والإيهام» (٢٨٣٤)، وقال الحاكم (٢١٦٦): "إسناده صحيح». وما أخرجه الترمذي (٤٦٣)، من حديث عائشة ﷺ، وقال: حسن غريب.

<sup>(</sup>٤) مسند الإمام أحمد (٢١٢١٩) وأشار محققوه إلى ضعف إسناده، والترمذي (٣٣٦٤) و (٣٣٦٥)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦)، وحسن ابن حجر إسناده في فتح الباري (٣١٩/١٣)، وهو من حديث ابن عباس ، وفيه: أن اليهود هم الذين سألوا، فقالوا: صف لنا ربك، فأنزلت السورة.

مضمونه، ولفت الأذهان إليه، وإعلانه للأمة، فإن من أساليب الكلام البليغ أن يُفتتح بالمؤكدات، أو بفعل أمر، مثل: (اعلم) أو (قل)، كما هنا، ونحو ذلك.

والاسم الشريف ﴿ الله على الربّ على الربّ على الأسماء الحسنى، ولا يسمى به غيره الله والصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، فحذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام مع التفخيم، و(الإله) بمعنى: المألوه؛ أي: المعبود، كالكِتَاب بمعنى: المكتوب، والفراش بمعنى: المفروش، قال ابن عباس في معناه: «الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين» (١).

وقوله: ﴿ اللهُ الصَّكَمُدُ ﴿ اللهِ الجملة خبر ثانٍ للضمير ﴿ هُو ﴾ والصمد الذي يُصمد إليه؛ أي: يُقصد في الحوائج، فهو الملجأ والملاذ لجميع المخلوقات جلَّ وعلا، يقال: صمده يصمده إذا قصده، فالصّمَد فعل بمعنى مفعول، ونظيره: السَّنَد الذي تسند إليه الأمور المهمة.

<sup>(</sup>۱) أخرجه ابن جرير (۱/۱۲۱).

وجاء عن السلف تفسيرات عدة للصمد؛ منها: السيد الذي انتهى سؤدده، والحيُّ القيوم الذي لا زوال له، والمُصمَّت الذي لا جوف له؛ أي: فلا يأكل ولا يشرب، لغناه عن كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَهُو يُطِّعمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وكل هذه التفسيرات صحيحة يحتملها اللفظ.

وقوله: ﴿ اللهُ ٱلصَّكَدُ ﴿ عَلَى مَبَداً وَخَبَرٍ ، وَفَي الْجَمَلَةُ قَصَرُ بتعريف الجزأين؛ أي: لا صمَد إلا الله.

وَلَمْ سَكِلِدٌ ﴾؛ أي: لم يتخذ ولدًا، وتنزه عن ذلك، وهذا من تمام غناه سبحانه وأحديته؛ فإن الولد بضعة مِن أبيه وجزء منه، والله لا مثيل له، والوالد يتقوى بابنه، والله غني عن كل أحد، والأب يتخذ ولدًا ليخلفه إذا مات، والله حي قيوم لا يموت، ولهذا كان وجود الابن في حق الله نقصًا، وإنْ كان كمالًا في حق العبد لضعفه وحاجته وأنه يموت. ثم إن الولد لا يكون إلا لمن له زوجة، والله ليس له زوجة، كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ مَنْ عَلَى مَنْ عَلَى الله عَنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ أَسَابِ الولادة منتفية عن الله.

وفي الآية رد على اليهود الذين قالوا: عزيرٌ ابن الله، وعلى النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، وعلى مشركي العرب القائلين: الملائكة بنات الله، وعلى الفلاسفة القائلين بتولد العقول والنفوس من العلة الأولى (الإله) بزعمهم، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدُ ﴿ أَي: لم يكن له والد، فهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء، كما في الحديث (١)، والولادة تستلزم

<sup>(</sup>١) وهو قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء»، أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

الحدوث، فكل مولود حادث. وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فلا ولد ولا والد.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَهُ صُّفُوا ﴾؛ أي: مكافئا ومماثلا، ﴿ أَحَدُ الله ﴾ أي: ولم يكن أحد من خلقه يكافئه ويماثله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ الله ﴾ [الشورى].

وقرأ الجمهور: (كُفُوًا) بالواو مهموزة وضم الفاء، وقرأ حمزة ويعقوب وخلف: (كُفْتًا)، وقرأ حفص: ﴿كُفُوًّا﴾.

## 🎕 الفوائد والأحكام:

في هذه السورة فوائد؛ منها ما يتعلق بتصدير السورة بـ ﴿قُلْ﴾، وقد دُوِّنت في فوائد سورة الكافرون، وهي إحدى عشرة فائدة، من الفائدة العاشرة إلى الفائدة العشرين، فارجع إليها، ومن فوائدها أيضًا:

- ١ \_ فضل هذه السورة لفضل ما تضمنته من صفة الرحمٰن.
  - ٢ \_ إثبات اسمه تعالى الأحد.
    - ٣ \_ إثبات اسمه الصمد.
- ٤ ـ تميز هذه السورة عن سائر سور القرآن بذكر هذين الاسمين،
   وهذا من أسباب فضلها.
  - ٥ ـ أنه تعالى لا يأكل ولا يشرب، ولا جوف له.
  - ٦ \_ أنه تعالى الكاملُ في جميع صفات الحمد والجلال.
    - ٧ \_ أنه الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها.
      - ٨ \_ تنزيهه تعالى عن الولد والوالد.
      - ٩ \_ تنزيهه عن الكُف، وهو المِثل والنَّظير.

١٠ ـ التفصيل بعد الإجمال، وبيان ذلك أن اسمه الأحد يدل على تنزيهه تعالى عن الشريك والنظير، وفي الجمل الثلاث الأخيرة تفصيل لهذا التنظير.

١١ ـ أن الله يوصف بالإثبات والنفي المتضمن لإثبات الكمال.
 ١٢ ـ الرد على جميغ الأديان والمذاهب الباطلة.





هذه السورة مكية، وهي خمس آيات، وقد افتتحت بـ (قل)، كما افتتحت بذلك سورة الكافرون، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الناس.

وتضمنت السورة الأمر بالتعوذ بالله تعالى بربوبيته للفلق، من شر أربعة أشياء في أربع آيات ﴿مِن شَرِ مَا خَلَقَ ﴿ اللهِ السورة، وتقدم (۱) أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُو اللّهُ أَحَدُهُ من سورة الإخلاص، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِ الْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النّاس ﴿ فَلَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ ا

وعن عقبة بن عامر في قال: قال لي رسول الله على: «ألم تر آلم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؛ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»(٣)، وعنه في أن رسول الله على قال له: «يا ابن عابس، ألا

<sup>(</sup>١) في تفسير سورة قل هو الله أحد.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢)؛ من حديث عائشة ولله الحافظ معلقًا على قول البخاري "باب فضلِ المعوذات»: "أي: السور الثلاث [الإخلاص، الفلق، الناس]، وذكر سورة الإخلاص معهما تغليبًا؛ لما اشتملت عليه من صفة الرب، وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويذ» فتح الباري (٩/ ٢٢).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (٨١٤).

أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: قلت: بلى، فقال رسول الله على: "قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتين السورتين (())، وعنه وله الله على أمرني رسول الله الله الله الله أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة (()). وسُميت بالمعودات؛ أي: المحصّنات؛ لأنها تحصن قارئها مِن الشَّر والأذى.

### 線 الآيات:

﴿ وَقُلْ أَعُودُ بِرَتِ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِ غَاسِةٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِ عَاسِهٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِ حَاسِهٍ إِذَا حَسَدُ ۞ ﴿ [الفلن].
 حَسَدُ ۞ ﴾ [الفلن].

## تفسیر الآیات:

وقُلُ أَعُوذُ بِرَبِ ٱلْفَلَقِ ﴿ الخطاب للنبي ﷺ ويشمل كل مَن يصلح له الخطاب مِن أمته، ﴿ أَعُوذُ ﴾ ألتجئ وأعتصم وأستجير، فهو طلبٌ للعياذ من هذه الشرور، فهو إنشاءٌ وإن كان بصيغة الخبر، ﴿ بِرَبِ الْفَلَقِ ۞ ﴾ أي: الصبح، وربه هو الله ﷺ وسمي الصبح فَلَقًا ؛ لأنه يُفلَق عنه سواد الليل وظلمتُه ؛ أي: يُزَال، فالفَلَق بمعنى المفعول، كالصّمد بمعنى المصمود، والله تعالى هو فالق الصبح ومجليه، كما قال سبحانه: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

<sup>(</sup>١) أخرجه أحمد (١٧٢٩٧)، وحسن إسناده ابن حجر في "بذل الماعون في فضل الطاعون» (تحقيق: أحمد الكاتب)، (ص: ١٦٣).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذي (٢٩٠٣) وقال: "حسن غريب"، والنسائي (٢) (١٣٣٦)، وصححه ابن حجر في "نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار" (٢/

وذكر الربوبية ﴿ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿ لَهُ لَمَا فِيها مِن مَعنى الملك والتدبير والتصرف في الخلق والإنعام، فهو سبحانه الذي يجلِّي الصبح، ويسلخ عنه ظلام الليل، وبهذا تظهر مناسبة التعوذ برب الفلق من هذه الشرور، فبالصبح ينقشع الظلام، والله هو القادر على ذلك، فهو تعالى فالق الإصباح، وهو القادر على دفع هذه الشرور، ورفع ما وقع منها.

ومِن شَرِ مَا خَلَقَ ﴿ أَي: من شر جميع المخلوقات مما فيه شر، ومن ذلك شر النفس، وأضاف الشر إلى المخلوقات لا إلى الخلق الذي هو فعله؛ لأن الشر لا يدخل في صفاته ولا في أفعاله تعالى، كما قال على: "والشر ليس إليك" (١).

ولما عمّ في التعوذ مِن شر جميع المخلوقات خصّ بعضها فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ أي: الليل، كما قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلنِّلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿ إِذَا وَقَبَ شَ ﴾ إذا أظلم، ففي الليل ينتشر الشر وتنطلق السباع والهوام واللصوص، والغاسق أيضًا القمر، ﴿ إِذَا وَقَبَ شَ ﴾ إذا غاب، ففي الترمذي عن عائشة ﴿ أَنَ النبي عَلَيْ نظر إلى القمر، فقال: "يا عائشة، استعيذي بالله مِن شرّ هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب (٢)، وهذا يؤول إلى القول الأول؛ لأن القمر إذا غاب هجمت الظلمة.

﴿ وَمِن شَكِرِ ٱلنَّفَائِنَتِ فِى ٱلْمُقَدِ ﴿ النَّفْث نفخ خفيف مع ريق قليل؛ أي: وأستجير بالله من شرِّ النفوس النفاثات الشريرة التي تنفث في عُقدٍ عَقَدَتُها لينفذ السحر، فينفذ بإذن الله، ﴿ وَمَا هُم بِضَا رَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾ ﴿ وَمَا هُم بِضَا رَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٧٧١)؛ من حديث على رفيه.

 <sup>(</sup>۲) الترمذي (۳۳۲٦) وقال: "حسن صحيح"، والحاكم (۲/ ٥٤٠)، وحسن إسناده الحافظ
 في فتح الباري (۸/ ۷٤۱).

وفُسر ﴿ ٱلنَّفَّدُتُ فِ بالنساء السواحر، على اعتبار أن النساء أكثر تعاطيًا للسحر، ولكن الأولى تعميم اللفظ؛ فإن السحر موجود عند الرجال أيضًا، ومن ذلك أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله (١).

وَوَمِن شُرِّ حَاسِدٍ وهو الذي يتمنى زوال نعمة الآخرين، وإذا حسد حسد وقد تنفعل نفس الحاسد الخبيثة فيصيب المحسود بعينه، ويلحق الأذى به، فلهذا أمر الله بالاستعاذة من شر الحاسد، نسأل الله أن يعيذنا منه ومن جميع الشرور بمنه وكرمه.

# ه الفوائد والأحكام:

١ \_ مشروعية العياذ بالله من جميع الشرور.

٢ ـ التوسل إلى الله بربوبيته للفلق في الوقاية من الشرور عمومًا
 وخصوصًا

٣ \_ أن الله فالق الإصباح.

٤ ـ أن الضياء خير، والظلمة شرًّ؛ في الحسيات والمعنويات، والله وَالله وَإِنَّهُ وَإِنَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواً وَاللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ وَإِنَّهُ اللَّهُ وَإِنَّهُ اللَّهُ وَاللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَإِلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالَّالِمُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَالِلَّا اللَّهُ اللَّاللَّالَا لَا الللّهُ الللَّا

٥ \_ التناسب بين الوصف المستعار والشرور المستعاذ منها.

٦ \_ أن في المخلوقات خيرًا وشرًّا.

٧ \_ أن الله خالق الخير والشر.

<sup>(</sup>١) ينظر ما أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩)؛ من حديث عائشة ﴿عُمُّنَّا.

٨ \_ الرد على من قال: إن الله لم يخلق الشر.

٩ ـ فيها تفسير «أعوذ بك منك»(١)، فالمعاذ به سبحانه من شر ما خلقه.

١٠ \_ أن مجيء الظلام بحلول الليل أو غياب القمر مظنة الشر.

١١ ـ أن السحر موجودٌ، وأن منه ما يكون بالعَقد والنفث.

١٢ ـ أن في السحر شرًا وضررًا، لكن لا يضر إلا بإذن الله، ﴿ وَمَا هُم بِضَكَآدِينَ بِهِ، مِنْ أَحَكِ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

١٣ \_ أن في الحسد شرًّا للمحسود.

١٤ \_ أن شرَّ الحاسد أشدُّ ما يكون إذا أراد الشر بالمحسود.

10 \_ أن كلًّا من الثلاثة المذكورة: الغاسق، والنفاثات، والحاسد؛ يختص بنوع من الشر يقتضي الاستعادة منه، فاقتضى ذلك تكرار هذا الاسم.





# 緣 الآيات:

﴿ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِ ٱلنَّاسِ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ إلَّذِي مِن شَرِ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْحَنَّاسِ ﴾ وألَّذِي يُوسُوسُ فِ صُدُودِ ٱلنَّاسِ ﴾ مِن اللَّهِ النَّاسِ ﴾ والناس].

#### 🛞 التفسير:

يقول سبحانه مخاطبًا نبيّه عليه الصلاة والسلام وكلَّ مَن يتأتى خطابه من أمته: ﴿ قُلَّ أَعُوذُ ﴾؛ أي: أعتصم وألتجئ وأستجير في كلِّ وقت، وفي كل مكان، وفي كل حال، كما تفيده صيغة المضارع، ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنّاسِ ﴿ اَي: خالقهم ومربيهم ورازقهم، فهو تعالى الذي أوجدهم بعد العدم، وصرف عنهم النقم، وهيأ لهم بفضله النعم.

وخص (الناس) بالذِّكر مع أنه تعالى رب كل شيء؛ لشرفهم، ولأنهم المقصودون بالتعويذ.

ومَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿ عطف بيان، وهو وصف يدل على الـمُلك؛ أي: مالكِهم ومدبر أمورهم، والقائم عليهم، والمتصرف فيهم بما شاء سبحانه مِن أمرٍ ونهي، وإعزاز وإذلال، وإحياء وإماته.

﴿ إِلَهِ ٱلنَّاسِ ﴿ عطف بيان آخر؛ أي: معبودِهم الحق، ف(الإله) فِعال بمعنى مفعول، ككتاب؛ أي: مكتوب، ومن كانت هذه صفاته فهو أهل أن يستعاذ به لكمال قدرته.

وكرر (الناس) دون إضمار؛ لتأكيد تعلق هذه المعاني بهم، من الربوبية والملك والإلهية، ﴿مِن شَرِ ٱلْوَسُواسِ ٱلْخَنَاسِ ﴿ مَعلق بِ ﴿ أَعُوذُ ﴾ ، و﴿ ٱلْوَسُواسِ ﴾ هو الموسوس، وهو الشيطان، و(الوسواس) في الأصل اسم مصدر بمعنى الوسوسة، وإطلاقه على الشيطان يفيد المبالغة للفعل؛ أي: كثير الوسوسة، كقولهم: فلانٌ عَدْلٌ، كأنه لكمال اتصافه بالعدالة صار نفس العدالة.

وذلك إذا ذكر العبد ربه خنس الشيطان، فهو تارة يوسوس، وتارة يخنِس، قال مجاهد تَخَلَّلُهُ في الآية: «الشيطان يكون على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خَنس» (1).

<sup>(</sup>١) أخرجه ابن جرير (٧٤/٢٤) وإسناده صحيح.

تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ثم بيَّن حقيقته فقال: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّكَاسِ ﴿ هَ أَي: يكون الشيطان الموسوس مِن الجنِّ ويكون مِن الإنس، كما قال تعالى: ﴿ شَيَطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُم إِلَى بَعْضِ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوزًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

## 🎕 الفوائد والأحكام:

- ١ \_ إثبات ربوبيته تعالى للناس، وملكه لهم، وإلهيته لهم.
  - ٢ \_ مشروعية التعوذ بالله بهذه الصفات.
- ٣ ـ افتقار الناس إلى ربهم في جلب منافعهم ودفع مضارهم، ولا سيما شرُّ عدوهم الشيطان؛ لأنه لا قيام للمربوب إلا بالرب، ولا صلاح إلا به؛ فإن الرب هو المربي القائم على غيره.
- ٤ ـ الرد على الاتحادية؛ لأن الآيات فرقت بين الرب والمربوب،
   والاتحادية يزعمونهما واحدًا.
- ٥ ـ أن شر الوسواس أعظم الشرور، وهو أصل جميع الشرور،
   ولهذا جاء التعوذ منه بثلاث من صفات الله تعالى، كما في الآيات الثلاث الأولى.
- ٦ أن هذه الصفات تقتضي رحمته تعالى بالناس، وأعظم ذلك وقايته إياهم من شر ذلك الوسواس، وبهذا تظهر المناسبة بين المستعاذ به والمستعاذ منه.
  - ٧ \_ أن الوسواس هو الشيطان الذي يوسوس بالشر.
- ٨ ـ أن وسوسته في الصدور، فهي معانٍ يلقيها في القلب ليست
   كلامًا يسمع في الآذان.

٩ ـ أنه عدوٌ باطنٌ لا يُدفع إلا باللجأ إلى الله بدعائه، والاستعادة
 به، وأعظم ذلك ما علَّمه الله نبيه عليه الصلاة والسلام وعباده المؤمنين.

١٠ أن الشيطان يوسوس ويخنس، فإذا غفل العبد وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

١١ ـ أن الشيطان خنَّاسٌ، أي كثير الخنوس، وهو الانقباض، وهو شيطان المؤمن.

۱۲ ـ أن الوسواس يكون من الإنس كما يكون من الجن، وأصله وسواس الجن، وكلاهما شيطان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ وَسواس الجن، وكلاهما شيطان، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًا شَيَطِينَ ٱلْإِنِسِ وَٱلْجِنِ يُوحِى بَعَضُهُمْ إِلَى بَعْضِ زُخُونَ ٱلْقَوْلِ غُرُوزًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وإلى هنا ينتهي ما أردنا مِن القول في تفسير الجزء الثلاثين من الكتاب الكريم، وهو جزء عم يتساءلون، فلله الحمد على ما هدى ويسر، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه، ونسأله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه سبحانه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	≉ المقدِّمة مسمود مساور مساور مساور مساور المساور الم
11	١ ـ تفسير سورة (النبأ)
4.	۲ ـ تفسير سور النازعات
00	٣ ـ تفسير سورة (عبس)
٧٣	٤ ـ تفسير سورة التكوير
۸٥	٥ ـ تفسير سورة الانفطار
AV	٦ ـ تفسير سورة المطففين ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
114	٧ _ تفسير سورة الانشقاق مسموسية المستعدد المستعد
ITV	٨ ـ تفسير سورة البروج ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
188	٩ ـ تفسير سورة الطارق
107	١٠ _ تفسير سورة الأعلى
124	١١ _ تفسير سورة الغاشية
148	١٢ _ تفسير سورة الفجر
149	١٣ ـ تفسير سورة البلد ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
197	١٤ ـ تفسير سورة الشمس
7 . 2	١٥ ـ تفسير سورة الليل
711	١٦ ـ تفسير سورة الضحى
117	١٧ ـ تفسير سورة الشرح
777	١٨ ـ تفسير سورة التين
YYX	١٩ ـ تفسير سورة العلق

#### 447

الصفحة	الموضوع
779	٢٠ ـ تفسير سورة القدر
720	٢١ ـ تفسير سورة البينة
707	۲۲ ـ تفسير سورة الزلزلة
101	٢٣ _ سورة العاديات
777	٢٤ ـ تفسير سورة القارعة
779	٢٥ ـ تفسير سورة التكاثر ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
3 7 7	٢٦ ـ تفسير سورة العصر
444	٢٧ _ تفسير سورة الهمزة
۲۸۳	۲۸ ـ تفسير سورة الفيل ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
۲۸۷	٢٩ ـ تفسير سورة قريش
191	٣٠ _ تفسير سورة الماعون
790	٣١ _ تفسير سورة الكوثر
4.1	٣٢ _ تفسير سورة الكافرون
۲٠۸	٣٣ ـ تفسير سورة النصر
410	٣٤ _ تفسير سورة المسد
44.	٣٥ ـ تفسير سورة قل هو أحد
۲۲٦	٣٦ ـ تفسير سورة الفلق
144	٣٧ ـ تفسير سورة الناس
۲۳٥	* فهرس الموضوعات

